دار الحكمة
لندن

د. صبري فالح الحمدي

أضواء
على تاريخ البحرين الحديث

أضواء
على تأريخ البحرين الحديث

د. صبري فالح الحمدي

دار الحكمة
لندن

صوت البحرين
VOICE OF BAHRAIN
WWW.VOB.ORG

حقوق الطبع محفوظة

● أضواء على تاريخ البحرين الحديث

● المؤلف : د. صبري فالح الحمدي

● الطبعة الأولى ٢٠٠٧ .

● الناشر : دار الحكمة ـ لندن

ISBN 1 904923 19 4

88 Chalton Street, London, NW1 1HJ
Tel: 44 (0) 20 7383 4037 Fax: 44 (0) 20 7383 0116
E-Mail: al_hikma_uk@yahoo.co.uk

صوت البحرين
VOICE OF BAHRAIN
WWW.VOB.ORG

DAR ALHIKMA
Publishing and Distribution

88 Chalton Street, London NW1 1HJ Tel: 44 (0) 20 7383 4037 Fax: 44 (0) 20 7383 0116

E-Mail: al_hikma_uk@yahoo.co.uk Website: www.hikma.co.uk

المقدمة

احتلت البحرين مكانة خاصة لأعتبارات استراتيجية واقتصادية في جلب انتباه القوى المحلية والدولية التي راحت تحاول السيطرة عليها تحت دعاوى وذرائع متعددة ، وعلى الرغم من اشتداد ذلك التنافس وتصاعد وتائره عبر اكثر من اربعة قرون وبهدف السيطرة على جزر البحرين ، فقد بقي الامراء العرب يحكمون الاخيرة في الحقبة التي سبقت تلك الاحداث وحتى اوائل القرن السادس عشر ، وخلال تلك الحقبة الطويلة ظل البحرانيون تواقون الى تحقيق استقلال بلادهم في خضم تصاعد ذلك الصراع . ومن الجدير بالذكر ان مطلع العصور الحديثة قد شهد توافد القوى الاوربية الى منطقة الخليج العربي لاسباب سياسية واقتصادية ودينية ، وكان البرتغاليون في مقدمة تلك القوى التي استطاعت احتلال هرمز عام ١٥٠٧ ، ثم اندفعوا شمالاً للسيطرة على المدن والموانئ العربية الاخرى ، وجاء اول اكتشافهم للبحرين عام ١٥١٤ لكن الفتح البرتغالي لها لم يتم الا بعد سبع سنوات من هذا الاكتشاف حين استطاع البرتغاليون عام ١٥٢١ تدمير مدينة المنامة ، مما ادى الى اندلاع انتفاضات عربية شملت مدن هرمز ومسقط وقلهات والبحرين رداً على سياسة القتل المتعمد والتنكيل التي اتبعها المستعمرون البرتغاليون واثمر ذلك في اجبارهم على الخروج من البحرين عام ١٦٠٢ .

على ان الدولة العثمانية لم تقف مكتوفة الايدي ازاء اتساع النفوذ البرتغالي في منطقة الخليج العربي عامة والبحرين بخاصة لان السلطان كان

يعد نفسه خليفة المسلمين وحامي الحرمين الشريفين ، وهوما فرض عليه المساهمة في محاربة البرتغاليين ورفع راية الجهاد وفي العمل على طردهم من المنطقة ، وبرز ذلك جلياً في الحملات البحرية التي ارسلتها استانبول في القرن السادس عشر وقد تمكنت من تخليص بعض المدن والموانئ العربية من الاحتلال البرتغالي ، الا ان الاوضاع الداخلية للدولة وانشغالها في حروبها الاوربية وافتقادها لأسطول بحري قوي كلها عوامل ادت الى عدم نجاحها في تحقيق اهدافها ، غير ان تلك المجهودات العسكرية والسياسية العثمانية ساهمت والى حد ما في اضعاف قوة البرتغاليين البحرية .

تزايدت اهمية البحرين خلال القرن السابع عشر مع دخول الهولنديون الى حلبة الصراع كقوة منافسة للبرتغاليين والانكليز في الخليج العربي فيما استمرت جزر البحرين تؤدي وظيفتها التجارية المقترنة بازدياد ثقلها السياسي والمتزامن مع اشتداد الصراع الاوربي والمحلي حولها ، وبعد ان اجبر البرتغاليون على الانسحاب من مسقط آخر معاقلهم في المنطقة عام ١٦٥٠ ، فقد أدى ذلك الى فسح المجال امام القوى العربية كي تعطي لنفسها السيادة على اراضيها وشعور عرب الخليج بقوتهم الفعلية وسيادتهم البحرية ، مما شجعهم ذلك بالتالي على اقامة تشكيلات سياسية طورت نفسها بمرور الوقت ومنهم عتوب البحرين الذين عاشوا حياة قوامها الترحال منذ مغادرتهم نجد نهاية القرن السابع عشر واستقرارهم مع اطراف العتوب الاخرى في الكويت مطلع القرن الثامن عشر ، ثم انتقالهم الى الزبارة التي شكلت القاعدة التي انطلقوا منها لتحرير البحرين من الاحتلال الاجنبي عام ١٧٨٣ .

ولا شك فان القرن الثامن عشر قد شهد تحولات سياسية ألقت بظلالها على تاريخ البحرين الحديث في ظل ظروف تنافس دولي للسيطرة على مناطق الخليج العربي برمته ومنها البحرين لاعتبارات معروفة هذا من جانب ، ومن

جانب آخر لم تسلم البحرين من اطماع القوى المحلية التي راحت تتحرك وباتجاه فرض هيمنتها على الجزر المذكورة ، اذ بعد ان اخضع السعوديون الدرعية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر والمناطق الداخلية من نجد لحكمهم ، اصبحت مشيخات الخليج العربي وفي مقدمتها البحرين هدفاً لهجماتهم واستمر ذلك حتى العقود الاولى من القرن التاسع عشر ، الى جانب توجهات حكام عمان الرامية الى توسيع نفوذ دولتهم باعتبارها اقوى دولة بحرية بالمنطقة في تلك الحقبة التأريخية ، وعلينا ان نتذكر محاولات الدولة العثمانية لمعاودة سيادتها على البحرين عبر ولاية البصرة من خلال الحملات العسكرية التي كان يرسلها السلطان والتي تواصلت خلال القرن التاسع عشر ، وكان ابرزها حملة الاحساء عام ١٨٧١ ، فضلاً عن سياسة الفرس التوسعية وادعاءاتهم التاريخية المتكررة في البحرين والتي استمرت حتى عام ١٩٧١ حينما اعلن استقلال الامارة .

اهتمت بريطانيا بالبحرين ومنذ وقت مبكر من دخول سفن شركة الهند الشرقية مياه الخليج العربي في القرن السابع عشر ، وقد امضى الاستعمار البريطاني القرنين السادس عشر والسابع عشر في توطيد مراكزه على شواطئ الخليج العربي ، اذ شهدت السنوات التي اعقبت انحسار النفوذ البرتغالي عن المنطقة تغلغل شركة الهند الشرقية الهولندية والتي استطاعت اقامة وكالات تجارية لها في مدن وموانئ الخليج العربي ، وظلت البحرين محتفظة بمركزها التجاري ودورها السياسي كونها باتت ساحة للصراع الذي دار بين تلك القوى المتنافسة ، والذي انتهى لصالح بريطانيا التي تمكنت من الانفراد لوحدها في ادارة المنطقة على اثر زوال ضعف النفوذ العثماني في البحرين والذي تزايد خاصة في السنوات اللاحقة واسهم في عدم تمكن الدولة من تحقيق اهدافها لاسباب تتعلق بضعف الدولة ذاتها ، واعقب ذلك نجاح

حكومة بومباي في عقد معاهدة عام ١٨٢٠ مع شيوخ الساحل العماني بعد اندحار القواسم العسكري امام القوات البريطانية في معركة رأس الخيمة ، وهكذا استطاعت بريطانيا ان تنتزع من الشيوخ العرب التزامات من جانب واحد بان يمتنعوا عن التصرف في اراضيهم باي وجه من الوجوه الا بموافقة مسبقة من السلطات البريطانية التي اصبحت تتولى لوحدها ادارة علاقاتهم الخارجية ايضاً .

اخيراً اود التذكير بان الحقبة الزمنية التي تناولتها فصول الكتاب تعد فترة التاريخ الحديث للبحرين بدءاً من دخول البرتغاليين الى الخليج العربي مطلع القرن السادس عشر وانتهاءاً باحكام بريطانيا سيطرتها على الامارات العربية والتي استكملت فعلياً عقب خروج القوى الاوربية المنافسة لها وفشل القوى المحلية والدولة العثمانية وفارس بالاضافة الى محمد علي باشا في احتلال البحرين ، واستمر الصراع المحلي والدولي على جزر البحرين لاكثر من اربعة قرون وحتى عام ١٩١٤ وقد انتهى بترسيخ النفوذ البريطاني في جزر البحرين وبقية الامارات العربية . والمؤلف الذي ما انفك يتابع المصادر التاريخية بحثاً عن حقائق تدعم دراسته في محاولته التحري عن جوانب غير مدروسة من تاريخ البحرين واضافة معلومات جديدة استقاها من مصادر عديدة تلقي الضوء على احداث غير متناولة ، وجاءت دراسته الاكاديمية لهذه الامارة العربية من وجهة نظر عربية خالصة ملتزمة بمنهج البحث العلمي المرتكز على الحيادية في تحليل النصوص التاريخية ومحاولة استخلاص الحقائق بروح علمية بناءة قوامها الدقة والتحميص والتأني في تفسير الاحداث التاريخية ومجرياتها ، وهي في مجملها مبادرة حري بالمؤرخين والباحثين العرب ان يدعموها ويردفوها بدراسات رصينة لاحقة للكشف عن مزيد من تاريخ امتنا العربية وخدمة للعلم واهله وبغية تعزيز وترصين

الدراسات التاريخية العربية ، واملي كبير بان اكون قد وفقت في كتابة تاريخ البحرين وفق استحقاقه العربي والانساني وبرؤية عربية بعيدة عن تأثيرات الجهات الاجنبية التي دونت احداث تاريخ الخليج العربي بصورة غير منصفة وحسب ما تفرضه طبيعة مصالحها الخاصة واسهمت بالتالي في تشويه بعض صفحاته لتحقيق ذات الاغراض ، وحسب المؤلف وهو يضع اللمسات الاخيرة لكتابه الذي انجز بعون من الله تعالى ان يحصل على رضا القارئ الكريم وهو يضع بين يديه هذا الجهد العلمي المتواضع والله من وراء القصد .

المؤلف

الفصل الأول

البرتغاليون والبحرين

١٥٠٧ـ ١٦٠٢

المقدمة

جذبت البحرين مثل بقية مناطق الخليج العربي الاخرى انتباه القوى الاوربية وفي مقدمتها البرتغال التي راحت تتعجل الخطى لفرض هيمنتها على المنطقة في اعقاب اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح في نهاية القرن الخامس عشر ، بسبب موقعها الجغرافي الذي جعل منها طريقاً تجارياً مهماً وغناها بثرواتها الطبيعية وفي مقدمتها اللؤلؤ واشتهارها بمصائد السمك وارضها الزراعية المنتجة ، ومعلوم ان العوامل الصليبية والاقتصادية قد تداخلت في دفع المستعمرين البرتغاليين للاستحواذ على ثروات الشرق والتحكم في معابر طرق التجارة العالمية التي تربط بين الشرق والغرب ، وهما طريقي البحر الاحمر والخليج العربي ، وازاحة العرب كوسطاء للتجارة العالمية والحلول محلهم ومحاولة احتكار تجارة التوابل ذات الاهمية الاقتصادية ، لكن حركة التوسع البرتغالي لقيت مقاومة شديدة ومنذ بداية القرن السادس عشر من قبل سكان الخليج العربي عموماً قلما لاقوا مثلها في بقاع اخرى من العالم ، خاصة بعد اتضاح النوايا الحقيقية للبرتغاليين عقب احتلالهم هرمز عام ١٥٠٧ وتوجههم شمالاً لفرض هيمنتهم على البحرين ، للاسباب المذكورة انفاً ، وقد تبلورت حالة الرفض والمقاومة العربية بسبب الوحشية المتناهية التي اتسم بها الاحتلال البرتغالي ضد السكان ومحاولة اجبارهم على الارتداد عن الاسلام الى النصرانية وانتشار الرشوة والخيانة بين صفوف القوات البرتغالية حتى صار قادتهم يحاربون من اجل النهب والسلب والحصول على المكاسب الشخصية ، فكان الرد الطبيعي على تلك السياسات هو في قيام الثورات

المتتالية في البحرين ، وابرزها خلال عامي ١٥٢٢ و ١٥٢٩ التي برهنت على وجود رغبة اكيدة لدى السكان في التخلص من الوجود الاجنبي في بلادهم ، حتى انها اجبرت السلطات البرتغالية في بعض الاحيان على الاعتراف بتولي اهالي البحرين ادارة شؤونهم بأنفسهم ، وذلك يشير الى بلوغ حركة المقاومة البحرينية مرتبة طيبة من التنظيم يرقى الى مستوى التحديات التي واجهتها البحرين وهي تتعرض للغزوات البرتغالية الواحدة تلو الاخرى طيلة القرن السادس عشر حتى امكن ازاحة الوجود الاجنبي عن البلاد مع بداية القرن السابع عشر .

ممهدات الاستعمار البرتغالي ودوافعه

يعد المستعمرون البرتغاليون اول من وضعوا اقدامهم من الاوربيين على شواطئ الخليج العربي خلال السنوات الاولى من القرن السادس عشر ، وكان حصول البرتغاليون على موطئ قدم راسخة في المنطقة على هذا النحو هو احد ثمار وصول فاسكودي جاما الى الشاطئ الغربي للهند مكتشفاً بذلك طريق رأس الرجاء الصالح ، وقد اتخذت سياسة البرتغاليين في هذه الجهات طابعاً تجارياً بحتاً في بادئ الامر ، ولعل هذا هو ما دفع فرانسكودي الميدا De Almeida اول حاكم ونائب للملك في الممتلكات البرتغالية الهندية الى ان يفكر في اقامة مراكز تجارية في الهند لضمان سلامة الروابط التجارية مع هذا البلد ، غير ان هذه الآراء لم يتمسك بها خلفه الفونسو البوكيرك والذي كان يرى ضرورة تاسيس امبراطورية برتغالية ضخمة في الشرق ، ولكي يتحقق له ذلك اولى اهتماماً خاصاً بأقامة القلاع بالمراكز التجارية في الخليج العربي لا لحماية التجارة على الشاطئ فقط ، ولكن لكي تمكنه ايضاً من السيطرة على

الحكام المحليين والزامهم بالاعتراف بالسيادة البرتغالية[١] .

أدرك مانويل الثالث Manuel III ملك البرتغال تمام الادراك انه لأحتكار تجارة التوابل يجب عليه احتلال مواقع استراتيجية ، وقد عهد في تنفيذ اهدافه الى البوكيرك[٢] الذي ينظر اليه المؤرخون بكونه المؤسس الحقيقي للأمبراطورية البرتغالية في الشرق ، وتضمنت خطة الاخير العسكرية ضرورة احكام السيطرة على معابر التجارة الشرقية البحرية والمتمثلة بالبحر الاحمر وعدن وجنوب الجزيرة العربية وسواحلها والبحرين والقطيف والبصرة ، والعمل على اضعاف تجارة المسلمين وجعل البرتغاليون يحتكرون التجارة الاوربية ـ الاسيوية وتحويلها الى طريق رأس الرجاء الصالح[٣] ، وابعاد العرب من اداء دورهم المعروف في تسيير التجارة الشرقية التي ظلت احتكاراً خالصاً لهم طيلة قرون عديدة والذين اشتهروا بنجاحهم في مزاولة النقل البحري وبوساطتهم للتبادل التجاري العالمي[٤] .

من جانب آخر ادت حالة الانقسام والتشتت التي عاشتها القوى العربية الاسلامية وابتعادها عن أي شكل من التوحد والتكتل في مجهوداتها ، ومثالها الانقسامات بين الدولتين العثمانية والفارسية الى انقسام جديد بجانب الانقسامات السياسية والقبلية في منطقة الخليج العربي ومنذ مطلع

---

١ ـ د . بدر الدين عباس الخصوصي ، الخليج العربي والمطامع الاجنبية ، مجلة كلية الآداب والتربية ، العددان الثالث والرابع ، حزيران (يونيو) ١٩٧٣ ـ جمادي الاولى ١٣٩٣ ، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ ـ ذو القعدة ١٣٩٣ ، ص ص ٢٤٠ ـ ٢٤٢ .

٢ ـ سونيا . ي . هاو ، في طلب التوابل ، ترجمة محمد عزيز رفعت ، مراجعة د . محمود النحاس ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ٢١٤ .

٣ ـ Alboguerque, Alfouso ; The Commentries of (Trans) into English by W _ De Gray Birch Haki soc , vol . I , London , 1973 . P . 115 .

٤ ـ لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع الى ك . م . بانيكار ، آسيا والسيطرة الغربية ، ترجمة عبد العزيز جاويد ، مراجعة احمد خالي ، القاهرة . ص ٥٢ .

القرن السادس عشر[١] ، الأمر الذي شجع القوى الاوربية للتحرك بهدف فرض سيطرتها وفي مقدمتهم البرتغاليون ، اذ لم تواجه القوات البرتغالية اثناء غزوها سواحل البحر الاحمر والخليج العربي مقاومة من القوى الاسلامية الكبرى ، سوى من دولة المماليك التي تصدت لهم عسكرياً وخاضت ضدهم معارك خلال السنوات الاولى من وصولهم الى الهند ، وكان اصطدامهم اكثر وضوحاً مع القوى المحلية الاسلامية[٢] ، وهو ماجعلهم يتمكنون من الاستحواذ على تجارة الهند الشرقية وبالتالي السيطرة عليها طيلة القرن السادس عشر[٣] .

جذبت البحرين انظار البرتغاليين اليها كغيرها من مون وموانئ الخليج العربي الاخرى ، بعد نجاح الاخيرين بقيادة البوكيرك في احتلال هرمز عام ١٥٠٧ ، لموقعها الجغرافي ذات الاهمية غير القليلة على الطريق البحري بين هرمز والبصرة ، وغناها بمغاصات اللؤلؤ المعروف بالحسن والجودة والتي اشار اليها الرحالة تافيرنير Tavernier الذي زار المنطقة خلال هذه الفترة[٤] ، فضلاً عن ان البحرين قد حظيت بمركز تجاري هام لكثرة جزرها وموقعها الجغرافي الذي يسيطر على مدخل الخليج العربي[٥] ، كما تعد منفذاً تجارياً لدواخل شبه الجزيرة العربية .

---

١ ـ انظر نوار عبد الوهاب القيسي ، الخليج العربي الاهمية الاستراتيجية وملامح السياسة البرتغالية ، مجلة الوثيقة ، العدد ١٤ ، السنة٤ ، جمادي الثانية ١٤٠٩ هـ / يناير (كانون الثاني) ١٩٨٩ م ، ص ١٠٩ .

٢ ـ Douglas, Carruthers ; The Desert Route to India, London, 1922 , P.xiii

٣ ـ Holden, Furber; Rival Empires of Trade in The Orient 1600 _ 1800, Oxford University Press 1976, P30.

٤ ـ John Baptista Tavernier; The Six Voyages of John Baptista Tavernier, and the East Indies,- London, 1678. P. 94.

٥ ـ محمود بهجت سنان ، البحرين درة الخليج العربي بغداد ، ص ٨٨ .

ثورة الأهالي على البرتغاليين

بعد النجاح الذي حققته القوات البرتغالية في احكام سيطرتها على هرمز ، اخذت سفن الاسطول البرتغالي تتحرك صوب شمال الساحل العماني ، وبدات اولى المحاولات البرتغالية بالتحرش في البحرين عام ١٥٠٩ ، وطبقاً لما اورده الرحالة البرتغالي سوسا Sousa الذي كان شاهد عيان على وصول البرتغاليين موانئ ومدن الخليج العربي ، فقد ذكر ان بعض السفن البرتغالية قامت عام ١٥٠٩ بمهاجمة سفينة كانت تبحر في مياه الخليج العربي قادمة من جزيرة البحرين وهي تحمل بضاعة ثمينة من لؤلؤ البحرين[١] .

وعلى عكس ما كان متوقعاً من ان تتجه القوى المحلية للتضامن وتوحيد جهودها لمواجهة الخطر المشترك المتمثل بالغزو البرتغالي ، نجد ان تلك القوى اخذت تعاني قدراً كبيراً من التفكك وافتقاد الوحدة ، اذ إنصرف ملوك هرمز الى سحق نفوذ الجبور[٢] في البحرين ، حين قامت هرمز عام ١٥١١ بأرسال حملة عسكرية الى البحرين نجحت في السيطرة عليها وانتزاعها من شيوخ بني جبر الذين عاودوا السيطرة عليها[٣] .

تزايدت اهمية البحرين للمصالح البرتغالية ووفقاً لما ذكرته الوثائق

---

١ ـ Faria, Sousa; The History of the Discovery and conquest of India By the portugues,- Translated Into English By Jhon stevens, vol. I, London, 1894, P. 142.

٢ ـ لمزيد من التفاصيل عن امارة الجبور انظر د . عبد اللطيف ناصر الحميدان ، التاريخ السياسي لأمارة الجبور في نجد وشرق الجزيرة العربية ٨٢٠/ ١٤١٧ ـ ١٥٢٥ / ٩٣١ ، مجلة كلية الآداب ، جامعة البصرة ، العدد ١٦ ، ١٩٨٠ ، ص ص ٤٧-٨٣ .

٣ ـ د . جمال زكريا قاسم ، الاوضاع السياسية في الخليج العربي ابان الغزو البرتغالي ، مجلة الوثيقة ، العدد ١٢ ، السنة ٦ ، جمادي الاولى ١٤٠٨ هـ / يناير (كانون الثاني) ١٩٨٨ م ، ص ٤٩ .

البرتغالية لعام ١٥١٥ ، فأن البركيرك بعث برسالة في ذات العام الى الملك مانويل (١٤٩٤-١٥٢١) يؤكد فيها على الاهمية الاستراتيجية للبحرين[١] ، ويبدو ان البحرين كغنيمة محتملة يستدر بها رضا المسؤولين في لشبونة لاسيما حيال العجز الواضح من اقتحام البحر الاحمر وتنفيذ التهديدات الفارغة ضد البيت الحرام بمكة المكرمة كانت لأول مرة تثير اهتماماً عملياً من البوكيرك ، ولهذا فقد تجول ابن اخيه بيرو عام ١٥١٥ في المناطق الشمالية من الخليج العربي ، وكان بذلك اول برتغالي يزور البحرين زيارة سلمية لم يرافقها قتال من أي نوع ولا تركت من بعدها حامية في تلك الجزيرة ، واغلب الظن ان الرجل ربما اقترب ببعض سفنه من الجزيرة مستكشفاً لكنه لم ينزل[٢] ، اما المؤرخ النبهاني فيشير الى تلك الحادثة بقوله : «وفي سنة ٩٢١ هـ (١٥١٥ م) بسط البرتغاليون نفوذهم على اغلب مدن خليج فارس وفي ضمنها (جزيرة البحرين) وبنو غربي المدينة قلعة عظيمة تسمى اليوم (قلعة عجاج)»[٣] .

وفي محاولتنا توضيح طبيعة العلاقة بين هرمز والبحرين في الفترة موضوع البحث ، علينا التذكير انه بعد احتلال البرتغاليين هرمز عام ١٥١٥ باسطولهم المكون من (٢٧) سفينة ، فقد وقعّوا اتفاقية مع ملكها والذي اصبح بموجبها

---

١ ـ احمد بوشرب ، مساهمة الوثائق البرتغالية في كتابة تاريخ الغزو البرتغالي لسواحل المغرب والبحر الاحمر والخليج العربي وما تولد عنه من ردود فعل ، مجلة المناهل ، الرباط ، العدد ٢٦ ، السنة ١٠ ، جمادي الاولى ١٤٠٣ هـ / مارس (آذار) ١٩٨٣ م ، ص ٦٦ .

٢ ـ احمد العناني ،البرتغاليون في البحرين وحولها خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ، مجلة الوثيقة ، العدد ٤ ، السنة ٢ ، ربيع الآخرة ١٤٠٤ هـ / يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤ م ، ص ٩٣ .

٣ ـ محمد بن خليفة النبهاني ، التحفه النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ، القاهرة ، ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٤ م ، ص ١٠٤ .

ملكاً على البحرين والقطيف ، الى جانب بنوداً اخرى تضمنت تعهد البرتغاليون على مساعدة الفرس على غزو كل من البحرين والقطيف ومعاونة الشاه في القضاء عليالحركات الأنفصالية للبلوش في مكران ، وذلك بسبب الأضطرابات التي حدثت بالمدينة ووقع خلالها ملكها في اسر الثوار وادت الى رفض البرتغاليين التعاون مع الصفويين[١] ، وعلى مايبدو فأنه لم يكن هناك وجود في انحاء مملكة هرمز خارج الجزر نفسها ، ولكن جاء وقت كان فيه ملك هرمز بحاجة الى القوات البرتغالية للمحافظة على سلطته في ممتلكاته الواسعة الارجاء ومنها البحرين[٢] وهذا ما سنتناوله في الصفحات القادمة .

على ان هناك عوامل اسهمت في اضعاف النفوذ البرتغالي في الخليج العربي والبحرين خاصة في العقدين الاولين من القرن السادس عشر تأتي في مقدمتها تنامي المقاومة العربية بسبب عدم احترام البرتغاليين لحرية وعقيدة السكان الاسلامية واتباعهم سياسة اللامبالاة في التعامل مع الاهالي وعدم الاستماع الى شكاوي السكان ، الى جانب سطوتهم وثقل الضرائب التي كانوا يفرضونها على السفن التجارية والملاحة مما ادى الى تدهور واضعاف تجارة الخليج العربي[٣] ، اضافة الى ان البرتغاليين لم يعمدوا الى استغلال مغاصات اللؤلؤ مباشرة عكس مصادر الثروة الاخرى اذ ان عملية الغوص شاقة وخطرة ولذلك قاموا بفرض ضرائب باهضة على المختصين بهذه المهمة ، وكانوا يجبرون السكان على بيعها بأثمان بخسة وينقلونها الى الغرب

---

١ ـ انظر الخصوصي ، الدولة الصفوية في مواجهة التحديات ،مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد ٤٤ ، السنة ١١ ،الكويت ، تشرين الاول ١٩٨٥ ، ص ١٦٢ .

٢ ـ ب . ج . سلوت ، عرب الخليج في ضوء مصادر شركة الهند الشرقية الهولندية ١٦٠٢ ـ ١٧٨٤ م ، ترجمة عايدة خوري ، ابو ظبي ، ١٩٩٣ ، ص ص ٦٤- ٦٥ .

٣ ـ M _ Ferdinand Denis; Portugal , Paris, 1846, P. 171

ويحصلون على ارباح وايرادات ضخمة من هذه التجارة الرائجة[1] .

في الوقت ذاته كان لوفاة البوكيرك نائب الملك في تشرين الاول عام ١٥١٥ اثر في اضعاف النفوذ البرتغالي في الهند وجنوب آسيا واشاعت الذعر في صفوف البرتغاليين في المحيط الهندي ، واقترن ذلك مع تزايد معارضة سكان الخليج العربي ضد الاستعمار البغيض الذي لم يتوان عن استعمال اقصى ضروب الوحشية في سبيل جمع الضرائب من الاهالي[2] ، ويورد لنا الدكتور محمود علي الداود نقلاً عن مصادر برتغالية تفاصيل وفاة البوكيرك بقوله : «بعد مغادرة البوكيرك جزيرة هرمز توجه الى الهند ، لكنه توفي على ظهر السفينة التي اقلته على بعد اميال قليلة من العاصمة غوا[3] .

لابد لنا من تتبع الأصول التاريخية لأسباب وطبيعة الهجوم البرتغالي الهرمزي الذي تعرضت له البحرين عام ١٥٢١ ، وذلك ان دوافع الهجمات المستمرة التي كان يشنها الهرمزيون لأستعادة جزيرة البحرين والقطيف هي لوضع مواردهما الكبيرة تحت تصرفهم المباشر ، ويبدو ان هذه الرغبة قد ازدادت بعد ان فرض البرتغاليون على مملكة هرمز ان تدفع لهم سنوياً مبالغ كبيرة ، وهذا ما لم يكن بأمكانها تلبيته او انه على الاقل كان يشكل عبئاً مالياً كبيراً على خزانتها خاصة وان امراء الجبور ومقرن بن زامل على الخصوص لم يكونوا يسددون بانتظام ما فرضته عليهم شروط الاتفاقية

---

١ ـ د . محمد عارف الكيالي ، الأسس الاقتصادية للأستعمار البرتغالي في الخليج العربي ، مجلة الوثيقة ، العدد ١٤ ، السنة٧ ، جمادي الثانية ١٤٠٩ هـ / يناير (كانون الثاني) ١٩٨٩ م ، ص١١٦ .

٢ ـ Barbosa, Durate; The Book of Durate Barbosa, vol. I, London, PP. 90-109.

٣ ـ نقلاً عن د . محمود علي الداود ، العلاقات البرتغالية مع الخليج العربي ١٥٠٧ ـ ١٦٥٠ ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد٢ ، شباط ، ١٩٦٠ ، ص ٢٣٦ .

المعقودة بينهم وبين هرمز من اموال سنوية ، وعندما تكرر فشل الهرمزيون في فرض هيمنتهم بالقوة على البحرين والقطيف لجأوا الى تحريض البرتغاليين على ذلك . وتشير الى المصادر البرتغالية لى ان ملك هرمز تورانشاه كان قد اعتذر للبرتغاليين بعجزه عن دفع المبالغ السنوية التي كانوا قد فرضوها عليه ، وقد عزا عجزه عن ذلك الى ان مقرن بن زامل لم يكن يدفع له بأنتظام المبالغ المقررة عليه سنوياً من واردات جزيرة البحرين[1] ، بل الاكثر من ذلك ان مقرناً كان يقوم بالتعرض على السفن التي كانت تبحر ما بين البصرة وهرمز وذلك رداً على المضايقات التي اخذت تتعرض لها تجارة بلاده من قبل البرتغاليين والهرمزيين[2] .

توحدت مصالح البرتغاليين مع مصلحة توارنشاه في قيام تحالف بينهما وكان ذلك التحالف يستهدف استعادة مملكة هرمز ، وبالفعل تعرضت البحرين لهجوم برتغالي ـ هرمزي مشترك عام ١٥٢٠ اثناء تغيب السلطان مقرن بن زامل حيث كان قد سافر في ذلك العام الى مكة لتأدية فريضة الحج ، وتولى مقاومة هذا الهجوم حاكم البحرين والقطيف الشيخ حميد ابن اخت السلطان ، وبسبب المقاومة العنيفة التي أبداها الجبور وسكان البحرين اضافة الى معاكسة الرياح الشديدة لسفن الحملة تم احباط هذا الهجوم[3] .

وعلى اثر ذلك سارع السلطان مقرن بالعودة من الحجاز وتوجه الى جزر

---

١ ـ انظر الحميدان ، المصدر السابق ، ص ٧٨ .

٢ ـ د . صالح أوزبران ، الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤ ـ ١٥٨١ ، ترجمة وتعليق د . عبد الجبار ناجي ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، ١٩٧٩ ، ص ص ٢٠ ـ ٢١ .

٣ ـ انظر قاسم ، الخليج العربي دراسة لتاريخ الامارات العربية في عصر التوسع الاوربي الاول ١٥٠٧ ـ ١٨٤٠ ، جـ ١ ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ٧٥ ، الحميدان ، المصدر السابق ، ص ٧٩ .

البحرين ليشرف بنفسه على الاستعدادات الضرورية لمواجهة هجوم ثان مرتقب ، وفي الحقيقة فان السلطان كان يتوقع هجوماً برتغالياً على بلاده منذ مدة ، لذا كان قد بدأ باتخاذ الاستعدادات الضرورية لذلك ، فقد بدأ ببناء اسطول يتكون من سفن كبيرة وجند مقاتلين يحسنون الرمي بالسهام والبنادق حتى بلغت قواته حوالي (١١) الف مقاتل مزودين بمختلف الاسلحة ، اضافة الى (٣٠٠) فارس عربي و(٤٠٠) رامي سهم من الفرس و(٢٠) عثماني من حملة البنادق[١] ، فضلاً عن بناء المدافعون العرب سدوداً كبيرة كما حفروا خنادق عميقة حسبما يتطلب الحال على امتداد الساحل[٢] .

اما الجيش البرتغالي فقد تولى قيادته انطونيو كوريا (Antonio Correa اثناء فترة حكم نائب الملك في الهند دييجودا سكويرا (Diego De Sequeira وتكونت الحملة من سبع سفن عليها اربعمائة محارب ومائتي مركب[٣] ، وقد خاض البرتغاليون المياه الضحلة وهاجموا التحصينات العربية التي وقف مقرن وجماعته يدافعون عنها دفاعاً مستميتاً ، وكان الحر بالغ الشدة بحيث اضطر الفريقان ساعة الظهيرة للتوقف عن القتال حيث كان مايشبه المستحيل الوقوف تحت سياط الشمس اللاسعة ، وفي المساء عاود البرتغاليون الهجوم وقد اصيب الشيخ مقرن بطلق ناري في فخذه الامر الذي بث اليأس في نفوس رجاله ، بحيث بدأوا ييأسون ويستسلمون وقد قتل وجرح منهم جمع غفير ، وفي ساعة العتمة كان البرتغاليون قد حققوا انتصاراً كاملاً وبداوا من ذلك اليوم من منتصف حزيران عام ١٥٢١ احتلالهم جزر

---

١ ـ الحميدان ، المصدر السابق ، ص ٧٩ .

٢ ـ العناني ، البرتغاليون في البحرين ، ص ٩٧ .

٣ ـ نوال حمزة الصيرفي ، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، الرياض ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ص ١٢٩ .

البحرين[١] ، ثم اجبر المحتلون سكان البحرين على دفع الاتاوة السنوية والتي يقدرها الرحالة البرتغالي تكـيرا Teixeira بأربعمائة دوكات[٢] سنوياً[٣] .

ومما يسترعي الانتباه انه لم يكن مصرع السلطان مقرن وخضوع البحرين للبرتغاليين حدثاً عابراً وانما احدث صدى كبيراً ورنة حزن وأسى في انحاء الخليج العربي ، بل ان المؤرخ المصري ابن أياس رغم اتهامه للسلطان مقرن بالتحاذل امام البرتغاليين ، الا انه لم يتردد في التعبير عن حزنه والتعليق على استشهاده بانه كان من اشد الحوادث في الاسلام واعظمها ، اذ اورد في حوادث عام ٩٢٨ هـ (١٥٢١ م) ما نصه : «واشيع قتل الامير مقرن امير عرب بني جبر متملك جزيرة البحرين بلاد هرمز الاعلى وكان امير جليل القدر معظماً مبجلاً في سعة من الحال وكان قد اتى الى مكة وحج في العام الماضي ، فلما حج ورجع الى بلاده لاقته الفرنج في الطريق وتحاربت معه فأنكسر الامير مقرن وقبضوا عليه باليد واسروه فسألهم ان يشتري نفسه فيهم بألف الف دينار فأبوا الفرنج ذلك وقتلوه بين ايديهم ولم يغن عنه ماله شيئاً وكان ذلك من اشد الحوادث في الاسلام واعظمها»[٤] .

لكن الاحتلال البرتغالي لاقى مقاومة وطنية قوية بسبب استمرار السلطات البرتغالية في اتباع سياسة القوة وسوء تصرفات البرتغاليين ضد سكان البحرين[٥] ، وهو ما اثار استياء الاهالي وتذمرهم وقيامهم بالتالي في

---

١ ـ العناني ، البرتغاليون في البحرين ، ص ٩٧ .

٢ ـ دوكات : جمع دوكة (دوقة) وهي عملية فينيسية قديمة تعادل الواحد منها ستة شلنات انكليزية او ما يعادلها .

٣ ـ Fereydaun, Admiyat; Bahrein Islands, Alegal Diplomatic Study of the British - Iranian controversy, New York, 1935, PP. 21-22.

٤ ـ نقلاً عن قاسم ، الاوضاع السياسية ، ص ٥١ .

٥ ـ John, Hopkins; The Gulf States, London, 1981, PP. 22-23.

ثورة عام ١٥٢١ ، التي عمت اغلب مدن الخليج العربي والتي يرجع ويلسون اسبابها الى تعيين بعض المسؤولين البرتغاليين كمشرفين على الجمارك ، وانهم بسبب معاملتهم الصلفة تسببوا في اندلاع هذه الثورة ، حين اخذ سكان الخليج العربي عموماً يضيقون ذرعاً بالحكم البرتغالي بما اتسم به من قوة وتعسف في جمع الاموال من الناس ودون ضوابط[١] .

ومن الامور التي تبعث على الاهتمام اكثر مما تثير الدهشة ان يتوصل سكان الخليج العربي في ذلك الوقت المبكر الى خطة محكمة لتوقيت الثورة ومهاجمة الحصون البرتغالية دفعة واحدة ، وهو الامر الذي ادى الى ايقاع خسائر فادحة بالبرتغاليين بل كادت هذه الثورة ان تقضي على الوجود البرتغالي برمته خاصة حين ثار سكان البحرين[٢] .

وعلى العكس مما حصل في عمان وهرمز التي كان الفشل نصيب ثورتهم على البرتغاليين ، فقد نجحت الثورة في البحرين بسبب حالة الغليان والاستياء بين صفوف الناس ومحاولتهم الانتقام من القوات البرتغالية لمقتل قائدهم مقرن بن زامل ، وتولى قيادة الثورة حسين بن سعيد الذي تمكن من قتل الحاكم البرتغالي البغيض وطرد الحامية العسكرية ، وبعد مدة من الحكم المستقل توصل حسين الى اتفاق مع البرتغاليين وقبل وجود مستشار لهم في البحرين[٣] ، وخلال احداث الثورة قاتل سكان مدينة المنامة بالشوارع القوات الغازية وابدوا من ضروب الشجاعة مما لا يمكن وصفه[٤] .

---

١ ـ ارنولدت . ويلسون ، الخليج العربي ، نقله الى العربية وقدم له د . عبد القادر يوسف ، الكويت (د . ت) ص ص ٧٩ ـ ٨٠ .

٢ ـ لمزيد من التفاصيل انظر قاسم ، الخليج ، ص ٧٨ .

٣ ـ ابراهيم خلف العبيدي ، الحركة الوطنية في البحرين ، ١٩١٤ ـ ١٩٧١ ، بغداد ، ١٩٧٦ ، ص ٢٢ .

٤ ـ عباس احمد العصفور ، صراع الخليج العربي ضد المطامع الاجنبية في العصر الحديث ،

واذا كان البرتغاليون قد نجحوا في الابقاء على وجودهم في البحرين ، الا انهم لم ينعموا بالهدوء والاستقرار والامن ، اذ كانت تقوم انتفاضات وثورات ضد الاحتلال البرتغالي ففي عام ١٥٢٨ اغتيل في البحرين اخ لنائب الملك في الهند ، كما انتجت الثورات المتتالية انفصال البحرين التي جهد البرتغاليون في ضمها ولم يفلحوا[١] .

تجددت الثورات العربية ضد الوجود البرتغالي في البحرين كنتيجة طبيعية لمجمل الممارسات البرتغالية وسياسة فرض الضرائب على السكان ، ففي عام ١٥٢٩ شهدت البحرين اندلاع ثورة جديدة لم يتمكن قائد الحامية البرتغالية فيها من قمعها ، فيما ارجع المؤرخ اوزبران سببها الى أن حاكم الجزيرة الرئيسي بهاء الدين وهو ابن عم امير هرمز شرف الدين ثار ضد هرمز ، وامتنع عن دفع الجزية التي كان يجب ان يدفعها ، فأرسل نونو داكونها Nuno Da Canha نائب الملك في الهند اخاه سيمون دي كونها Simon De Conha على رأس حملة عسكرية تألفت من خمس سفن وحولي (٥٠٠) رجل الى البحرين[٢] .

توجهت الحملة البرتغالية في سبتمبر (ايلول) من عام ١٥٢٩ أي في اشد ايام السنة حرارة ورطوبة ، في تلك الاثناء تقدم شيخ البحرين العربي بعروض صلح مشروطة ، لكن البرتغاليين ركبوا رؤوسهم لئلا يفوتوا على انفسهم فرصة النهب ، ولهذا رفضوا العروض العربية وارسلت سفينة الى هرمز لأحضار نجدات من الاخيرة وقد احتاجت الى اربعة عشر يوماً قبل ان تظهر ثانية في

بحوث المؤتمر الدولي للتاريخ ، بغداد ١٩٧٣ ، ص ١٢ .

١ ـ د . عبد العزيز محمد الشناوي ، المراحل الاولى للوجود البرتغالي في شرقي الجزيرة العربية ، بحوث مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة ، لجنة تدوين تاريخ قطر ، اتحاد المؤرخين العرب الدوحة (٢١-٢٨ آذار) ١٩٧٦ ، ص ٦٣ .

٢ ـ اوزبران ، المصدر السابق ، ص ٢٥ .

مياه البحرين ببعض الذخيرة ، وفي تلك الاثناء دبت الحمى بين جنود البرتغال والجنود الهرامزة وقد أنتهت مؤونتهم فصاروا يستجدون الطعام من السكان العرب الذين لم يمنعوه عنهم وهذه صفة من التسامح التي عرف بها المسلمون ، وقد تبين ان خمسة وثلاثين جندياً برتغالياً كانوا هم كل القادرون على الاسهام في نشاط عسكري لذلك قرروا الانسحاب ، وقد ساءت حالة الجنود البرتغاليين وهم على ظهر سفنهم في طريق عودتهم حتى مات اكثرهم بمن فيهم قائد الحملة سيمون دي كونها الذي قيل ان الفشل كان سبب موته غيظا[١] .

اختلفت الروايات في تقديم آرائها حول فشل الهجوم البرتغالي فالمصادر البريطانية ترى ان الاندحار البرتغالي مرده الى نقص الاستعدادات وقلة الامدادات اللازمة للقوات المهاجمة[٢] ، فيما يرى المؤرخ اوزبران ان ذلك الهجوم باء بالفشل نتيجة الى نقص البارود وانتشار مرضى الحمى بين صفوف الجنود[٣] ، الى جانب تعرض الاسطول البرتغالي اثناء العودة الى عاصفة قوية ادت الى تدمير معظم السفن[٤] ، والباحث يرى ان تلك الاراء كانت قد تغافلت الإشارة عن دور المقاومة العربية للقوات الأجنبية وبأنه العامل الحاسم في أجبار البرتغاليين على الانسحاب الى هرمز ، وتاتي العوامل الاخرى في مرتبة ثانوية في مدى تأثيرها ودورها في الهزيمة البرتغالية .

---

١ ـ انظر العناني ، البرتغاليون في البحرين ، ص ٩٩ .

٢ ـ ج .ج . لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٢ ، ترجمة ديوان امير ، قطر ، الدوحة ، ١٩٧٦ ، ص ١٥ .

٣ ـ اوزبران ، المصدر السابق ، ص ٢٦ .

٤ ـ العبيدي ، المصدر السابق ، ص ٢٢ .

شهد النصف الثاني من القرن السادس عشر تصارعاً بين سكان البحرين التواقين الى تخليص بلادهم من الهجمة البرتغالية وبين المحاولات البرتغالية الرامية الى ابقاء نفوذهم في البحرين ، وفي محاولة كل جانب تحقيق اهدافه على حساب مصالح الجانب الاخر ، فقد عاود البرتغاليون احتلالهم عام ١٥٨٠ للبحرين ومكثوا فيها حتى عام ١٦٠٢ حين تم اجبارهم على مغادرتها في العام ذاته[١] .

خروج البرتغاليين من البحرين

وفي اوائل القرن السابع عشر تضافرت عوامل عدة في اضعاف البرتغاليين وفي تقليص نفوذهم في الخليج العربي عامة والبحرين بخاصة ، اذ طرأ ضعف تدريجي على القوى البرتغالية الاستعمارية نتيجة انضمام البرتغال للتاج الاسباني عام ١٥٨٠ واستمر ذلك حتى عام ١٦٤٠ ، وظلت سياستها الخارجية في الحقبة المذكورة تحت سيطرة اسبانيا تصرفها كما تشاء ، والتي ركزت اهتمامها نحو مستعمراتها في العالم الجديد[٢] ، والى جانب كل ذلك فقد عانى البرتغاليون من تهديدات خارجية كبيرة طيلة القرن السادس عشر فالصراع مع العثمانيين في الخليج العربي والبحر الاحمر والمحيط الهندي استنفذ كثيراً من طاقاتهم ، وصراعهم مع الفرس وخاصة في اواخر القرن المذكور واوائل القرن الذي تلاه كان هو الاخر عنيفا ومكلفا[٣] .

---

١ ـ انظر قاسم ، الاوضاع السياسية ، ص ص ٢٥ ـ ٢٦ .

٢ ـ Frederick, C. Danvers; The Portuguese in India. A History of the Rise and Decline of Their Empire. vol. II, London, 1894, PP. 35-40.

٣ ـ د . عبد الأمير محمد آمين ، نظرة جديدة للإنجازات السياسية والعسكرية والتجارية البرتغالية ، مجلة دراسات ، المجلد ١٥ ، العدد ٧ ، عمان ، الجامعة الاردنية ، ١٩٨٨ ، ص٢٨٦ .

لكن عوامل الضعف الاخرى وربما هي الاهم جاءت من عوامل داخلية وتمثلت بالمقاومة العربية التي عدت كرد فعل على سياسة العنف والقتل المتعمد والوحشية المتناهية التي اتسم بها الاحتلال البرتغالي وكره سكان المنطقة لهم وذلك لظلمهم وتعصبهم الديني واحتكارهم لتجارة الخليج العربي والملاحة فيه[1] ، وهكذا فأن الوجود البرتغالي كله كان قائماً على القهر العسكري والقوة الباطشة سواء في علاقته بالشعوب المغلوبة في افريقيا والهند والخليج العربي ام في داخل الكيان البرتغالي نفسه ، ومثل هذا الوجود المفتقر حتى الى مجرد الزعم بالاخلاقية او الشرعية يظل وجوداً عابراً وعرضياً ، وما كانت البرتغال لأشد شكيمة من التتار فقد ذاب اثرهم من قبل بسرعة لا تتناسب مع قواهم العسكرية[2] .

وبخصوص طرد البرتغاليون من البحرين عام ١٦٠٢ فالملاحظ تزايد روح التذمر والاستياء بين صفوف المواطنين من جراء تعسف السلطات البرتغالية وتورد مصادر تاريخية بأن حاكم البحرين عندئذ كان من أقارب ملك هرمز وكان يعامل الناس معاملة غاية في الشراسة والابتزاز ، وقد بلغ عسفه الذروة عندما قتل تاجراً بحرينياً ثرياً ومعدوداً من خيرة الوجهاء فضلاً ومكانة ، وفي الحال وضع حاكم البحرين يده على سائر ثروة القتيل من اللؤلؤ وفيها مجموعة من اللآلئ الممتازة النادرة الوجود ، ومع ان مقتل ذلك الوجيه قد اثار موجة أسى عميقة الا ان الناس كانوا مشبعين بارهاب البرتغاليين وشدة تعسفهم ،

---

١ ـ المؤلف نفسه ، مقاومة إمارات شرق الجزيرة العربية وقبائل الخليج العربي للتغلغل الاستعماري الاوربي ١٥٠٠-١٨٢٠ ، من اعمال الندوة الخاصة بالتجارب العربية المعاصرة ، تجربة دولة الامارات العربية المتحدة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، آذار ١٩٨١ ص ٥٤ .

٢ ـ العناني ، الاوربيون في الخليج (البرتغاليون) مجلة الدوحة ، ذو القعدة ١٣٩٦ هـ/ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٦ ، ص ٩٠ .

فتهيبوا من اشعال الثورة وكان للتاجر القتيل اخ محب للغاية وقد كتم مشاعره وراح يتودد الى الحاكم قاتل اخيه ، بحيث تمكن من كسب ثقته كسباً تاماً مما اعطى الرجل الموتور فرصته الممتازة فانتهزها وقتل الحاكم بخنجر ، وعلى التو اعلن نفسه حاكماً على البحرين ، وقد تداعى لتأييده معظم سكان الجزيرة ، وفيما تغلب الاهالي على حامية القلعة البرتغالية واحتلوها ووردتهم نجدة من امير دولة شيراز بقصد المساعدة واعلان الجزيرة تابعة الى فارس عام ١٦٠٢[١] .

ويعد فقدان البرتغاليون لسيطرتهم على البحرين اول انذار بأفول نجمهم في عموم منطقة الخليج العربي ، لان البحرين كانت تشكل اهمية كبرى اقتصادية وامنية بالنسبة لهرمز ، فمن الناحية الاقتصادية فقد استغل البرتغاليون مغاصات اللؤلؤ ، فضلاً عن ان البحرين كانت تضم ارضاً زراعية تمثل مصدراً من مصادر التموين[٢] ، وعدت خسارة البرتغاليون للبحرين وخروجهم منها بداية لأنهاء نفوذهم في مناطق الخليج العربي واعقب ذلك طردهم من هرمز معقلهم الرئيسي عام ١٦٢٢ .

وفي خاتمة البحث يمكن القول انه على الرغم من ان السيطرة البرتغالية استمرت قائمة على البحرين وحتى عام ١٦٠٢ ، الا ان الحكم البرتغالي لم يكن مستقراً حيث توالت حركات المقاومة واشكال الرفض للوجود الاجنبي ، والتي قام بها سكان البحرين ضد الغزو البرتغالي وما اتسم به من تعسف في فرض الضرائب ، حتى ان السنوات الفعلية التي مارس فيها البرتغاليون

---

١ ـ العناني ، البرتغاليون في البحرين ، ص ١٠٨ .

٢ ـ لمزيد من التفاصيل انظر مصطفى عقيل الخطيب ، التنافس الدولي في الخليج العربي ١٦٢٢-١٧٦٣ ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٥٧ .

سيطرتهم على البحرين لم تتعد اكثر من اربعين عاماً من تلك الفترة[1] ، مما يشير بوضوح الى نجاح سكان البحرين في مقاومة ذلك الاحتلال البغيض ، وتحقيقهم لمكاسب سياسية ترقى الى مستوى التضحيات التي قدموها وهم يتصدون للغزو البرتغالي لبلادهم وبالامكانات المتاحة ، وتوجوا كفاحهم المشروع في نهاية المطاف باجبارهم القوات الاجنبية على الانسحاب من البحرين .

---

١ ـ قاسم ، الخليج ، ص ٨٢ .

الفصل الثاني

الدولة العثمانية والبحرين
في القرن السادس عشر

المقدمة

بعد وصول العثمانيون الى البصرة في عام ١٥٤٦ بعد احتلالهم بغداد عام ١٥٣٤ على يد السلطان سليمان القانوني ، فقد ابدوا اهتماماً ملحوظاً بضرورة مد نفوذهم على الساحل الشرقي للجزيرة العربية واحتلال الموانئ العربية في الخليج العربي والسيطرة على جزيرة البحرين لاعتبارات معروفة ، خاصة بعد دخول امراء البصرة والقطيف والبحرين في طاعة الدولة العثمانية ، وشكل هذا التوجه جزءاً من استراتيجية استانبول الرامية الى احكام سيطرتها على عموم المنطقة باعتبارها حامية للعالم الاسلامي حينذاك ، وفي مواجهة محاولات الدولة الصفوية التي اظهرت اطماعا نحو شواطئ الخليج العربي الشرقية والغربية ومنذ بداية القرن السادس عشر ، فيما رحب السكان وبعض حكام المنطقة بوصول السفن العثمانية الى المدن والموانئ العربية ، كون الدولة العثمانية دولة اسلامية يمكن الاستعانة بها في مواجهة القوى الاوربية المتربصة بالمنطقة .

هذا التغيير العسكري الذي حدث في اوضاع شرقي الجزيرة العربية كان كفيلاً باثارة مخاوف البرتغاليين الذي جاءوا الخليج العربي مطلع العصور الحديثة واستطاعوا الاستيلاء على مملكة هرمز عام ١٥٠٧ ومناطق عربية اخرى وسددوا بذلك منافذ التجارة الشرقية التي تمر في المنطقة عبر بلاد الهند والشرق الاقصى ، مما ادى الى وقوع مجابهة عثمانية ـ برتغالية بين الجانبين المتصارعين استمرت معظم القرن السادس عشر ، وشملت مناطق من الخليج العربي ومنها البحرين والتي ابتدا التنافس حولها خاصة منذ منتصف القرن المذكور بعد اعلان اهالي القطيف عام ١٥٥٠ عن رغبتهم بالدخول في

حماية الدولة العثمانية وبانهم لايدينون بالولاء لحاكم هرمز الذي يعد حليف البرتغاليون الذين تمادوا بدورهم باتباع سياسة القسوة والعنف ضد الاهالي ، الامر الذي اثار استياء الاخرين ضدهم ، وظلت البحرين كجزيرة حدود تفصل بين الاطراف المتنافسة ، كما شهدت تلك الحقبة التاريخية اندلاع معارك بحرية بين الاساطيل العثمانية والبرتغالية في محاولة كل منهما فرض سيادته على البحرين التي احتلت مركزاً محورياً في صراع الجانبين .

الاهتمام العثماني بالبحرين

كان العثمانيون طوال القرن الخامس عشر يتوسعون باتجاه اوربا الوسطى والشرقية ، وفي عهد السلطان سليم الاول (١٥١٢-١٥٢٠) حدث انقلاب في خطط الدولة ، اذ توقف زحفها على حساب الغرب الاوربي او كاد واتجهت نحو الوطن العربي ، ومهما تعددت الاراء واختلفت في تعليل هذه الظاهرة ، فان هناك سببين مهمين : اولهما الغزو الاوربي (البرتغالي) للوطن العربي وثانيها ظهور الدولة الصفوية ويتداخل مع هذين السببين عامل مهم هو رغبة العثمانيون في الحصول على السيادة الفعلية عن طريق السيطرة على طرق التجارة المهمة امثال طريق الحرير الذي كان يسير من تبريز الى ارضروم وطوقان وبورصة وطريق التوابل الذي يمتد من البصرة الى بغداد وحلب[1] .

وبعد ان احتلت الدولة العثمانية بغداد عام ١٥٣٤ اتجهت انظارها جنوبا صوب سواحل الخليج العربي ، وقد لاقى هذا التوجه ترحيبا من سكان المنطقة وبعض حكامها ، اذ اعلن راشد بن مغامس امير البصرة ولاءه للسلطة

---

١ ـ د . ابراهيم خليل احمد ، بدايات التوجه العثماني نحو منطقة الخليج ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٤٣ ، السنة ١٦ ، بغداد ، الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م ، ص٢٥ .

العثمانية واعقبه زعماء محليون اخرون ، حيث اشار المؤرخ اوزبران الى تاكيد حاكم البحرين حوالي عام ١٥٣٥ خضوعه وولاءه للسلطان سليمان القانوني (١٥٦٦-١٥٢٠) والذي منحه لقب سنجق بك[١] ، وتبع ذلك قيام بعض قطع الاسطول العثماني بزيارة جزر البحرين عام ١٥٣٧[٢] ، وفي ذات الوقت بعث شرف الدين حاكم هرمز برسالة الى السلطان العثماني طالباً فيها ارسال مساعدة للتخلص من البرتغاليين في هرمز فاستجاب الاخير لذلك ، مما يشير الى ترحيب الحكام المحليين بقدوم القوات العثمانية صوب شمال الخليج العربي .

اسهمت احداث عدة شهدتها منطقة الخليج العربي منذ النصف الاول من القرن السادس عشر في تغلغل نفوذ الدولة العثمانية الى هذه المنطقة الحيوية من العالم ، ومن هذه الاحداث ظهور الغزو الاوربي وخاصة البرتغالي الذي تعرضت له اجزاء من المنطقة منذ مطلع العصور الحديثة وقيام الدولة الصفوية في بلاد فارس ذات الاهداف التوسعية بالحقبة ذاتها[٣] ، مما فرض على الدولة العثمانية خوض صراع ضد القوى المنافسة لمصالحها هناك ، اضافة الى تطلع سكان الخليج العربي الى هذه الدولة الاسلامية كونها حامية الحرمين الشريفين وامتلاكها لسفن بحرية في البحر المتوسط والبحر الاحمر ، والتي نظروا لها بعدها القوة الوحيدة التي بامكانها ان تخلصهم من ظلم

---

١ ـ د . صالح اوزبران ، الاتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤-١٥٨١ ،ترجمة د . عبد الجبار ناجي ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ، ١٩٧٩ ، ص٥٢ .

٢ ـ Fereydan ,Adamiyat: Bahrain Island , Alegal Diplomatic Study of The British - Iranian Controversy new york, 1955, p22 ؛ . احمد المصدر السابق ،ص٨ .

٣ ـ انظر احمد ، المصدر السابق ، ص٢٥ .

البرتغاليين الذين لم يسمحوا للسفن العربية بممارسة التجارة الا بموافقة مسبقة من السلطات البرتغالية[1] .

وتأسيسا على ذلك شهد عام ١٥٤٦ بدء الفعاليات البحرية الرامية الى مد نفوذ الاستانة باتجاه البصرة وصولا الى شواطئ الخليج العربي الاخرى ، حين نجحت الدولة العثمانية بأرسال حملة عسكرية في ذات العام كان يقودها اياس باشا للاستيلاء على المدينة ، كما استطاعت طرد اميرها العربي راشد بن مغامس الذي كان قد شق عصا الطاعة على العثمانيين قبل ذلك ، وبذلك اصبح ميناء البصرة القاعدة العثمانية بعد السويس لارسال الحملات البحرية صوب شمال الخليج العربي بغية تأمين المصالح العثمانية هناك[2] ، وبذلك تهيأت الارضية المناسبة لتقدم القوات والسفن العثمانية الى مياه الخليج الغربي في الاعوام اللاحقة .

ارتكزت الاستراتيجية العثمانية على ضرورة توسيع سيادة الدولة الفعلية من شمال الخليج العربي الى جنوبه والقضاء على الوجود البرتغالي في هذه المنطقة الهامة والحساسة من الشرق الإسلامي ، و من ناحية اخرى اراد البرتغاليون القضاء على النفوذ العثماني الوليد في الجزء الشمالي من منطقة الخليج العربي حتى تظل المنطقة كلها خالصة لهم ، ووقف كل فريق موقف المتاهب والمتحفز لينال من خصمه وجاء شيخ البصرة الطريد فاشعل الشرارة عندما استنجد بالبرتغاليين يطلب مساعدتهم له على العثمانيين ليعيدوا اليه املاكه وعرض عليهم ان يسمح لهم بأقامة حصن في ميناء البصرة ، ورحب

---

١ ـ نوال حمزة الصيرفي ، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، الرياض ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م ، ص١٤٥ .

٢ ـ د . عبد الوهاب القيسي ، موقف العثمانيين من الغزو البرتغالي للمياه العربية ، مجلة الخليج العربي ، المجلد ١٢ ، العدد ١ ، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ١٩٨٠ ، ص٤٨ .

البرتغاليون بهذا العرض المغري وتم الاتفاق على هذا الاساس[1] ، وعلى الجانب الاخر دفع دخول العثمانيون الى حلبة الصراع العسكري مع البرتغاليين في الخليج العربي بعض الحكام المحليين الى طلب المساعدة منهم للتخلص من التبعية لهرمز التي كانت بدورها واقعة تحت النفوذ البرتغالي ، وهذا ماحدث في القطيف التي استعان اهلها بالعثمانيين لطرد الحاكم الهرمزي وجنوده ، وانهم يفضلون ان يتدخلوا في حماية السلطات العثمانية التي كانت قواتها قد احتلت البصرة آنذاك[2] .

ادى اعلان السيادة العثمانية على الاحساء والقطيف الى اثارة فزع السلطات البرتغالية خاصة بعد ان وقع الحصن البرتغالي في القطيف تحت السيطرة العثمانية عام ١٥٤٧ ، اذ كانوا يعتمدون على ذلك الحصن بالسيطرة على المناطق الساحلية من شرق الجزيرة العربية ، واحتمال ان يؤدي احتلال القطيف الى زعزعة نفوذ البرتغاليين في البحرين ، لذلك جهزوا حملة كبيرة تكونت من (١٢٠٠) مقاتل و(٧) سفن كبيرة ، بالاضافة الى قوات صاحبتها من هرمز وقدر عددها باكثر من ثلاثة الاف مقاتل تولى قيادتها انطونيودي نورونها Nnoronha De Antonio الحاكم البرتغالي في الهند وعلى الرغم من ان الحامية العثمانية في القطيف لم يتعد عددها اكثر من (٤٠٠) محارب ، الا ان افرادها دافعوا ببسالة وان اضطروا للاستسلام في نهاية الامر للقوات البرتغالية ، واراد القائد البرتغالي ان يستثمر ذلك النصر فزحف بقواته الى البصرة ، ولكنه لم يتمكن من السيطرة عليها بسبب وصول انباء الحملة البرتغالية الى علي باشا والي البصرة العثماني ، الذي سارع الى تنفيذ خطة

---

١ ـ د .عبد العزيز محمد الشناوي ، المراحل الاولى للوجود البرتغالي في شرقي الجزيرة العربية ، بحوث لجنة تاريخ قطر ،جـ ٢ ، اتحاد المؤرخين العرب ، الدوحة (٢١-٢٨ أذار) ١٩٧٦ ، ص٦٨٤ .

٢ ـ القيسي ، المصدر السابق ، ص٤٨ .

ذكية لتفادي الهجوم بحيث جعل القائد البرتغالي يعتقد بان العثمانيين قد جمعوا حشوداً كبيرة من القبائل العربية في البصرة وبان العثمانيين والعرب قد شكلوا حلفاً ضد البرتغاليين الامر الذي اجبر دي نورونها على التراجع الى القطيف ، وهناك فقط علم بانه قد خدع ، اذ لم يثبت وجود اية استعدادات بحرية بالبصرة للقوات العثمانية لتلافي الهجوم البرتغالي[1] .

المجابهة العثمانية ـ البرتغالية

كان من الطبيعي ان تتسع المجابهة العثمانية ـ البرتغالية بسبب العامل الديني المتمثل بان الدولة العثمانية اصبحت حامية للعالم الاسلامي فيما تردد دور الدافع الصليبي بالهجمات البرتغالية ، فضلاً عن رغبة استانبول في ابعاد الخطر البرتغالي عن حدودها والوقوف ضد التحالف البرتغالي الصفوي المناهض للتوسع العثماني وتصميم العثمانيين على اعادة الحياة للطرق التجارية القديمة ما بين الهند والخليج العربي ومحاولة تحطيم الاحتكار البرتغالي للتجارة الشرقية ، وماان انتصف القرن السادس عشر حتى شهد الخليج العربي حدوث معارك بحرية بين الاساطيل العثمانية والبرتغالية للسيطرة على مناطق الخليج العربي ومنها البحرين ، نتيجة لما اظهره العثمانيون من نشاط متزايد مما ولد صراعاً طويلاً بينهم وبين البرتغاليين طيلة القرن السادس عشر[2] .

اكدت معركة القطيف انه لاقبل للعثمانيين التصدي للبرتغاليين في

---

١ ـ د . جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي دراسة لتاريخ الامارات العربية في عصر التوسع الاوربي الاول ١٥٠٧-١٨٤٠ ، جـ٢ ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ص ٨٦-٨٧ ؛ أوزبران ، المصدر السابق ، ص ص ٤٠ـ٤١ .

٢ ـ انظر القيسي ، المصدر السابق ، ص ٥١ .

معارك بحرية نظامية وان التفوق البحري البرتغالي لا يمكن مواجهته الا بعمليات بحرية غير نظامية ، تولى قيادتها قباطنة عثمانيون مشهورون وذلك بسبب عدم التكافؤ في القوة البحرية بين الطرفين ، اذ امر السلطان القائد بيري الريس بالابحار الى الخليج العربي على رأس حملة تحركت يوم ٢٩ كانون الاول عام ١٥٥١ بهدف التصدي للبرتغاليين واخضاع البحرين وهرمز ، فاستقل ثلاثين سفينة من السويس حتى وصل جدة واستراح هناك يومين وبعدها اكمل رحلته فوصل الى سواحل عمان وتمكن من الاستيلاء على مسقط ، ثم اصطدم مع الاسطول البرتغالي المؤلف من سبعين سفينة في هذه المياه واستطاع التغلب عليه ، ولم يكتف بذلك بل حاصرت سفنه البحرية البرتغاليون الذين احتموا في قلعة هرمز بعد هجومه على الجزيرة التي سبق لهم الاستيلاء عليها ، ولكنه لم يتمكن من دخول القلعة فقام بنهب المدينة لانها كانت تساعد البرتغاليين وتوجه فوراً من هناك الى البصرة[1] ، وكان مع القائد العثماني حاكم مسقط البرتغالي ويقال ان هذا الرجل قد قدم النصح لبيري الريس بأن يغادر البصرة بماحصل عليه من الغنائم قبل ان يضطر لمواجهة صعبة مع الاسطول البرتغالي الذي حشد قواه كلها ، فيما يرى الدكتور جمال زكريا قاسم بأن خلافاً قد دب بين بيري الريس ووالي البصرة وهو ما اضطر الاول على مغادرة المدينة حاملاً معه جميع الغنائم التي حصل عليها ، في الوقت الذي ارسل فيه والي البصرة تقريراً للسلطان وفيما يبدو انه لم يكن في صالح القائد العثماني ، وقد تمكن الاخير من الخروج بثلاث سفن موفورة بالغنائم والاسلاب التي ظفر بها من البرتغاليين في عمان ، لكن احدى سفنه غرقت قبالة البحرين وعليها فيما يقال كنز ثمين ، الا ان

---

١ ـ د . احمد فؤاد متولي ، البحرية العثمانية والبرتغالية في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي على ضوء الوثائق التركية ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، العدد ٤ ، الرياض ، ١٤٠٠هـ /١٩٨٠ م ، ص ٣٩٠ .

السلطان سخط على تصرفات الريس غير المسؤولة فأجريت له محاكمة في استانبول وحكم عليه بالاعدام كما وضعت الدولة يدها على ثروة هائلة كانت تحت تصرفه[1] .

واصل العثمانيون جهودهم ضد البرتغاليون في الخليج العربي حين عين السلطان سليمان القانوني قائداً جديداً للاسطول هو سيدي علي ريس الجغرافي العثماني المشهور والذي كان يعد من ابرز القادة البحريين العثمانيين حينذاك ، وقد وصل الى البصرة في ٦ كانون الثاني عام ١٥٥٤ وشرع في اصلاح السفن واعدادها هناك حتى ٣ شباط من العام ذاته ، ثم اقلع من البصرة على رأس (١٥) سفينة في ٣٠ آب عام ١٥٥٤ متوجهاً نحو مسقط التي ركز البرتغاليون دفاعهم عنها ولم يتمكن من الاستيلاء عليها ، ثم تحرك بعد ذلك الى القطيف وبعدها البحرين حيث اخبره حاكمها العربي بعدم وجود البرتغاليين قبالة البحرين ، ثم واصل سيره حتى وصل سواحل مسقط ، وعند الميناء برزت اليه اثنتان وثلاثون سفينة برتغالية والتحم الاسطولان في معركة حامية لم تحسم لأي من الطرفين فأفترقا وبسبب اطلاقات مدافع البرتغاليين والرياح المعاكسة القوية اندفع الاسطول العثماني دون خطة واضحة بأتجاه السواحل الهندية ، وفي ميناء سورات تفرق اعوان سيدي ريس وتركوا ما لديهم من سفن وساروا في الطريق البري عائدين الى البصرة واضطر هو على العودة الى استانبول[2] .

استمر الصراع بين العثمانيين والبرتغاليين للسيطرة على البحرين ووفقا لما

---

١ ـ احمد العناني ، البرتغاليون في البحرين وحولها خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ، مجلة الوثيقة ، البحرين ، مركز الوثائق التاريخية ، العدد ٤ ، السنة ٢ ، الربيع الاخر ١٤٠٤ هـ / يناير (كانون الثاني)١٩٨٤ م ، ص ١٠١ ؛ قاسم ، المصدر السابق ، ص ٨٨ .

٢ ـ لمزيد من التفاصيل انظر متولي ، المصدر لسابق ، ص ٣٩١ ؛ احمد ، المصدر السابق ، ص ص ٢٩- ٣٠ .

اوردته المصادر البريطانية فقد تزايدت المقاومة العربية ضد الوجود البرتغالي بعد الثورة التي اعلنتها القبائل العربية عام ١٥٥٥ ضد البرتغاليين في جزر البحرين وسواحل القطيف واستنجدت بالعثمانيين الذين كانوا يحتلون العراق ، في ذات الوقت طلبت هرمز النجدة من البرتغاليين وكانت البحرين تابعة لهم لذلك وصلت نجدة برتغالية لشيخ هرمز استطاعت اخراج العثمانيين من القطيف والبحرين[١] .

لم تكن لحادثة فشل بيري الريس البحرية أي تأثير بان تضع نهاية وباي حال لمحاولة الدولة العثمانية فرض سيطرتها على الخليج العربي ، اذ تواصلت مجهوداتها العسكرية خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر للسيطرة على البحرين ، وعلى مايبدو كان العثمانيون على علم بما يقاسيه الناس في البحرين من ظلم البرتغاليين وعسفهم ومصادراتهم للبضائع التجارية ، لذلك ادركوا ضرورة الافادة من حركات المقاومة المحلية وروح الاستياء والتذمر المنتشرة بين الاهالي لاجل السيطرة عليها ، ولما كانت البحرين هي اكثر مناطق الخليج العربي التي نشبت فيها مثل هذه الحركات المعارضة للوجود البرتغالي ، فقد قرروا ان يوجهوا اليها حملة بحرية عام ١٥٥٩ لتحقيق ذات الهدف[٢] .

اتخذ مصطفى باشا حاكم الاحساء على عاتقه القيام بهذه المهمة وقيادة حملة عسكرية متجاوزاً ودون علم الدولة العثمانية وبغير اذن من السلطان ، ففي الاول من تشرين الاول عام ١٥٥٩ ابحر اسطول عثماني برفقة (١٢٠٠) جندي بضمنهم عدد من انكشارية بغداد اضافة الى جنود عرب من البصرة

---

١ ـ ارنولدت . ويلسون ، الخليج العربي ، نقله الى العربية ، د . عبد القادر يوسف الكويت ، ص ٨٥ .

٢ ـ لمزيد من التفاصيل عن الحملة يمكن الرجوع الى

F. S. Danvers;the Portugues in india, vol.I,London, 1894, p.514.

والاحساء صوب البحرين وتمكنوا من فرض حصارهم على المنامة[1] ، اما حاكم البحرين (الرئيس مراد) الذي يحكم البحرين باسم الدولة العثمانية ، فقد اتصل اثناء الحملة بالبرتغاليين الموجودين في هرمز وطلب مساعدتهم ، فارسل البرتغاليون اسطولا بقيادة انطونيو دي نورونها Antonio De Noronha ابن عم حاكم هرمز اشتبك مع العثمانيون بمعركة شرسة ، واستطاع اشعال النيران بالسفن العثمانية المحملة بالذخائر فالتهمت النيران هذه السفن جميعها بما فيها الذخائر التي كانت تحملها وتم اسر سفينتين ، وبسبب نقص المؤن والتجهيزات وموت مصطفى باشا قرر العثمانيون انهاء هذه المعركة ، لذلك جرت مفاوضات بين الجانبين بحضور الرئيس مراد حاكم البحرين وتم التوصل الى اتفاق سلام بينهما ، تضمن تسليم العثمانيين اسلحتهم الى البرتغاليين وان تقوم السفن البرتغالية بنقل العساكر العثمانية الى ميناء القطيف في خمس دفعات مقابل دفع (١٠) آلاف دوقة[2] ، كما يتخلى العثمانيون عن جميع خيول العساكر وتسليم ما عند الاخرين من اسرى برتغاليين ، وهكذا عادت الحملة العثمانية بعد ان عانت من ضائقة الجوع مدة اربعة اشهر وبقي من افرادها قرابة الـ (٢٠٠) رجل[3] ، واشارت المصادر التاريخية الى ان نتيجة المعركة قد اكدت السيطرة الحقيقية للبرتغاليين

---

١ ـ ى . اورهونلو ، تقرير حول الحملة العثمانية على البحرين سنة ١٥٥٩ ، ترجمة د .حسين علي الداقوقي ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ،العدد ٢٤ ، السنة ٦ ، الكويت ، تشرين اول (اكتوبر) ١٩٨٠ م / ذو العقدة ١٤٠٠ هـ ،ص ٢١٦ ؛العناني ،المصدر السابق ص ١٠٤ .

٢ ـ دوقة :جمع دوقة وهي عملة فينيسية قديمة تعادل الواحدة منها ستة شلنات انكليزية او ما يعادلها .

٣ ـ انظر مصطفى عقيل الخطيب ، التنافس الدولي في الخليج العربي ١٦٢٢-١٧٦٣ ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ص ٣٨-٣٩ ، اور هونلو ، المصدر السابق ، ص ص ٢١٢ ـ ٢١٦ .

على منطقة الخليج العربي ومنها البحرين والتي اكتملت عام ١٥٥٩ بعد انتهاء هذه المعركة[١]

ورغم توقف الحملات العثمانية على البحرين وانحسار النفوذ العثماني منها بسبب انغماس الدولة العثمانية في الصراع ضد الفرس وخاصة حين اقدم الشاه طهماسب (١٥٢٤ ـ ١٥٧٦) على التقدم داخل الاراضي العثمانية ، فقد تجددت المحاولات العثمانية لفرض سيطرتها على البحرين في عقد السبعينيات من القرن السادس عشر ، وطبقاً لما ذكره المؤرخ العثماني اوزبران ورد طلب عام ١٥٧٣ من حاكم الاحساء مستفسراً عما اذا كان بالامكان اخضاع او الاستيلاء على البحرين ، فضلاً عن ذلك فانه لم تكد تتوقف العمليات العسكرية العثمانية التي كانت تتصدى للقوات الصفوية عام ١٥٧٥ حتى جدد السلطان مراد الثالث اوامره بفتح البحرين ، واصدر بهذا الخصوص فرماناً الى ولاة بغداد والبصرة والاحساء ان يتهيئوا ويعدوا العدة اللازمة لحملة جديدة ، غير ان جميع هذه التحضيرات الاولية لم تات بنتائج مثمرة وعلى مايبدو فان امكانيات العثمانيين البحرية لم تكن كافية لحملة كبيرة كهذه[٢] .

على ان ذلك لم يقف حائلاً دون مواصلة استانبول محاولاتها وبهدف معاودة سيادتها على مناطق الخليج العربي عموما مستغلة فرصة انشغال او ضعف البرتغاليين بسبب انغماسهم في مشاكل اقليمية او دولية ، وحدث ذلك عام ١٥٨١ حين قدرت الدولة العثمانية اهمية الافادة من فرصة ضم

---

١ ـ حامد ربيع ، النظام الدولي الاقليمي في منطقة الخليج خلال فترة الاستعمار البرتغالي ، مجلة الوثيقة ، العدد ١٤ ، السنة ٧ ،جمادي الثانية ١٤٠٩ هـ / يناير)كانون الثاني) ١٩٨٩م ص١٧٥ .

٢ ـ اوزبران ، المصدر السابق ، ص٥٧ ؛ قاسم ،المصدر السابق ، ص ص ٨٩- ٩٠ .

البرتغال الى التاج الاسباني على عهد الملك فيليب الثاني منذ عام ١٥٨٠ وتبعيتها الى اسبانيا فعهدت بقيادة حملة جديدة الى علي بك مكونة من اربعة سفن والذي غادر ميناء عدن في اب عام ١٥٨٠ ، ارتطمت احدها في مكان ما من الساحل الغربي وغرقت ، اما السفن الباقية فقد نجحت في تضليل مبعوث القائد البرتغالي والوصول الى مسقط يوم الثاني والعشرين من ايلول في العام ذاته وتم مهاجمة ميناء مسقط ليلاً بشكل مباغت فيما لم تتلق الحامية البرتغالية هناك اية تحذيرات من السلطات البرتغالية من احتمال تعرض الاخيرة لهجمات معادية ، الامر الذي سهل على القوات العثمانية محاصرة قلعة مسقط وتبع ذلك حدوث اعمال سلب ونهب بالمدينة ، الا ان الحملة لم تنجز اكثر من احتلال مؤقت لمسقط بسبب وصول امدادات من سفن الاسطول البرتغالي قادمة من هرمز معقلهم الرئيسي والتي اجبرت السفن العثمانية على الانسحاب[1] .

اسباب ونتائج خروج البرتغاليون

يمكن القول ان في مقدمة الاسباب التي حالت دون تحقيق العثمانيين انتصارهم على البرتغاليين في مياه الخليج العربي واحكام سيطرتهم على البحرين فتتمثل بعدم التكافؤ بين الجانبين المتنازعين ، ففي حين امتلك البرتغاليون اسطولاً بحرياً متفوقاً بسفنه الحديثة والمجهزة باسلحة نارية ، كان الاسطول العثماني في القرن السادس عشر مؤلفا من سفن صغيرة غير قادرة على التأثير الفعال ضد السفن البرتغالية الكبيرة ، الى جانب صعوبة تجهيز وادامة اسطول عثماني تكفي قوته لمواجهة الاساطيل الاوربية في البحر

---

١ ـ س . ب . مايلز ، الخليج بلدانه وقبائله ، ترجمة محمد امين عبد الله ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ، ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م ، ص ١٨٠ .

المتوسط والمحيط الهندي في نفس الوقت ، اضافة الى انشغال الدولة في هذه الفترة بالحروب الطويلة التي خاضتها ضد الامبراطورية الرومانية المقدسة وضد الدولة الصفوية[1] .

وهناك سبب رئيسي حال دون احراز انتصار نهائي ضد الوجود البرتغالي والمتمثل بعجز الدول العربية والاسلامية على مجابهة البرتغاليين باسطول في مستوى ماكان بايدي الاخيرين ، ولعل مرد ذلك يرجع الى تفكك العالم الاسلامي وكثرة الخلافات بين العثمانيين والصفويين وامبراطورية المغول ، الى جانب روح الارتجال وفقدان التخطيط المنظم الذي كان يسود التحركات العثمانية منذ بداية امرها ، مما ترك آثاره السلبية على المجهودات العثمانية العسكرية التي لم يكن النجاح حليفها في طرد البرتغاليين من الخليج العربي عامة البحرين خاصة[2] .

ان الحملات العثمانية بالرغم من عدم نجاحها في انهاء الوجود البرتغالي الا انها ساهمت بشكل او بأخر في اضعاف شوكة البرتغاليين في الخليج العربي هذا من جانب ، ومن جانب آخر يرى الدكتور بدر الدين الخصوصي انه صحيح ان البرتغاليين جوبهوا بالعثمانيين في مياه الخليج العربي منتصف القرن السادس عشر ، عندما بعثوا ببعض حملاتهم العسكرية لمناوأة الاستعمار البرتغالي ، وصحيح ان بعض هذه الحملات نجحت في زحزحة البرتغاليين عن بعض المواقع التي كانت تخضع لسيادتهم كالقطيف ومسقط والبحرين ، غير ان ذلك لم يستمر طويلاً ، اذ سرعان ما تمكن البرتغاليون من

---

١ ـ القيسي ، المصدر السابق ، ص ٤٩ .

٢ ـ احمد بوشرب ، مساهمة الوثائق البرتغالية في كتابة تأريخ الغزو البرتغالي لسواحل المغرب والبحر الاحمر والخليج العربي وما تولد عنه من ردود فعل ، مجلة المناهل ، العدد ٢٦ ، السنة ١٠ ،الرباط ، جمادي الاول ١٤٠٣ / مارس (آذار) ١٩٨٣ ؛ ص ٨٣ ، الصيرفي ، المصدر السابق ، ص ١٥٢ .

ارسال حملاتهم البحرية من مقر قيادتهم في الهند والتي نجحت في اخراج العثمانيين من مواقعهم التي كانوا قد إحتلوها[1] .

وبخصوص النتائج التي ترتبت على خروج الدولة العثمانية وفقدان نفوذها في البحرين ، فقد دلت الاحداث التاريخية التي اوردنا بعضها على ترسيخ السلطات البرتغالية لوجودها الفعلي في مناطق الخليج العربي ومن ضمنها الشمالية ، واقصد بها البحرين على وجه الخصوص التي ظلت تمثل منطقة جذب للقوى المحلية والاجنبية طيلة الحقبة موضوع البحث لأشتهارها بمغاصات اللؤلؤ ذات المردودات المالية وكثرة مصائد السمك في جزرها الكثيرة ، واذا كان العثمانيون قد خرجوا من المنطقة خالي الوفاض بفعل عوامل كثيرة فقد انفسح المجال امام قوة عربية ناشئة في جنوب الخليج العربي هي قوة اليعاربة في عمان لكي تنهض وتتصدى للبرتغاليين بالتعاون مع القبائل العربية[2] ، وتتولى المسؤولية التاريخية وبجدارة في تحرير الشواطئ الشرقية والغربية من الاستعمار البرتغالي البغيض الذي مثلت فترة وجوده مرحلة مظلمة من تاريخ الخليج العربي .

يمكننا القول في خاتمة البحث ان الحملات البحرية العثمانية والتي ارسلت لمجابهة البرتغاليين في الخليج العربي والعمل على طرد الاخيرين من البحرين ، وان كانت قد نجحت في اضعاف مجهودات البرتغاليين وقدراتهم العسكرية وامكانياتهم على المطاولة ، الا انها لم تفلح في انهاء النفوذ الاجنبي لأسباب اوردها البحث في ثناياه ولعل هذا يقودنا الى تفسير حقيقة

---

١ ـ د . بدر الدين عباس الخصوصي ، الخليج العربي والمطالع الاستعمارية ، مجلة كلية الاداب والتربية ، العددان ٣-٤ ، الكويت ، حزيران (يوليو) ١٩٧٣ ـ جمادي الاولى ١٣٩٣ ، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ ـ ذو القعدة ١٣٩٣ ، ص ٣ .

٢ ـ R. B. Batharst; The Yarubi Dynasty in Oman, Oxford, 1967, P. 114

تتلخص بان مهمة اخراج البرتغاليين من مياه الخليج العربي قد تولتها القوى والقبائل العربية صاحبة المصلحة الحقيقية بها ، وفي مقدمتهم عرب عمان من اليعاربة الذين كان لهم شرف تحقيق هذه المهمة باهضة التكاليف ، والذين استطاعوا انجاز ما عجزت الدولة العثمانية عن تحقيقه والمتجسد في تخليص البحرين وغيرها من المدن والموانئ العربية من نير الاحتلال البرتغالي الذي ظل جاثماً على الخليج العربي لاكثر من (١٤٠) عاماً .

الفصل الثالث

السياسة الفارسية نحو البحرين
عبر التاريخ الحديث

المقدمة

تميزت السياسة الفارسية نحو الخليج العربي وسواحله الشرقية والغربية وعبر حقب التاريخ المختلفة في محاولاتها الدؤوبة فرض هيمنتها على المنطقة لأسباب ودوافع سياسية واقتصادية ، وبدلاً من ان يؤدي الفرس دوراً ملموساً وهو ما كان منتظراً منهم في مقاومة الغزو الاجنبي الاوربي الذي طال مدن وموانئ الخليج العربي ، وفي مقدمته التوسع البرتغالي الذي ابتدأ هجماته منذ بداية القرن السادس عشر ، كونهم يشكلون قوة اسلامية ذات شأن كان بأمكانها إذا ما تحالفت وتعاونت مع دول اسلامية اخرى كالدولة العثمانية والمماليك في مصر ان تكون جبهة قوية تستطيع الوقوف امام الهجمات البرتغالية وتعمل بالتالي على انقاذ العالم الاسلامي من موجات الغزو الاوربي الاستعماري الواحدة تلو الاخرى كالبرتغالية والهولندية والفرنسية والبريطانية .

ولما كان الفرس اضعف من ان يمتلكوا قوة بحرية يكون لها دور في احداث الخليج العربي بسبب قلة خبرتهم الملاحية وافتقادهم القدرة على ركوب البحر وخوض غماره وعدم امكانيتهم في ادارة دفة السفن البحرية ، فقد لجأوا ولأجل تحقيق ذات الاهداف التي نوهنا الى بعضها الى مد جسور التحالف مع القوى الاوربية للأفادة من اساطيلها البحرية بغية احكام سيطرتهم على مدن وموانئ المنطقة ، وهذا الأمر اثقل حقيقة مهمة المقاومة العربية في الخليج العربي التي بات عليها ان تحارب اكثر من قوة معادية لتخليص بلدانها من السيطرة الاجنبية ، اذ دأبت الاسرة الصفوية التي تسلمت الحكم في فارس عام ١٥٠٠ على تنفيذ سياستها التوسعية تجاه عموم المنطقة ومنها

البحرين ، واستمر ذلك طيلة القرن السابع عشر والعقدين الاولين من القرن الثامن عشر ، ثم تجددت تلك التطلعات في عهد نادر شاه والذي ابتنى لفارس اسطولاً بحرياً لأول مرة في تاريخها لتحقيق اهدافها المعروفة مستعيناً بالشركات الاوربية المختلفة ، وكذلك خلال فترة حكم كريم خان الزندي وحتى نهاية القرن الثامن عشر، وبعد وصول القوات المصرية الى نجد ولقاء ممثلها محمد رفعت افندي عام ١٨٤٣ بشيخ البحرين فقد اثار ذلك مجدداً مخاوف حكام فارس على مصالحهم المتنامية التي تزايدت بعد ظهور النفط في البحرين وعقد شيخها عيسى بن علي آل خليفة معاهدة مع بريطانيا عام ١٩١٤ نصت على عدم تصرفه باستغلال النفط الا بموافقة الحكومة البريطانية ، وقد افصح عن تلك الاطماع بوضوح آل بهلوي بعد توليهم السلطة في ايران عام ١٩٢٥ ، واستمرت المطالبة الفارسية بتبعية البحرين لها حتى عام ١٩٧١ حين حصلت على استقلالها .

السياسة الفارسية نحو البحرين في القرنين (١٦-١٧)

مارست الاسرة الصفوية في فارس سياسة توسعية نحو مناطق الخليج العربي ومنها البحرين عقب استلامها السلطة عام ١٥٠٠ ، وقد استغل الفرس انشغال الدولة العثمانية في حروبها الأوربية إلى جانب رغبتهم في السيطرة على البحرين لأهميتها الكبيرة في الحفاظ على علاقات فارس التجارية مع بلاد الهند لتحقيق ذات الأهداف[١] ، اذ طاقت نفس الشاه عباس (١٥٨٧-١٦٢٩) للبحرين وأمر عامله في شيراز (الله ويردي خان) بأن يأخذ البحرين من يد العرب فجمع الأخير جموعاً من اهل المحمرة ومن أهل القصبة ،

١ـ Fereydaun, Adamiyat ; Bahrain Islands, Alegal Diplomatic Study of The British - Iranian Controversy, New York, 1935, P. 20.

وجهزهم تحت قيادة (خاجا معين الدين الضالي) فسار بهم حتى برز لهم الشيخ الجبري بجيش مؤلف من آل ابي مهير ، فتقابل الجمعان وحصلت بينهما معركة شديدة قتل فيها الشيخ الجبري وتفرقت جموعه وانضمت البحرين الى مملكة الشاه الفارسي عام ١٦٠٢[١] ، وأعقب ذلك تعيين وزير فارسي وبرفقته حامية عسكرية بلغ تعدادها (٨٠٠) رجل[٢] .

وكان مؤملاً من بلاد فارس باعتبارها قوة اقليمية ان تقوم بدور ايجابي الى جانب المماليك والعثمانيين وتتصدى للتوسع البرتغالي ، ويبدو ان الشاه اسماعيل الصفوي بعد هزيمته في معركة جالديران عام ١٥١٤ امام العثمانيين اصبح اكثر تلهفاً للتحالف مع القوى الاوربية[٣] ضد الدولة العثمانية ، وفي مقدمتها البرتغال لاعتقاده بان سياسته هذه تصب في مصلحة الفرس الذين لم يترددوا عن اتباع كل الوسائل للوصول الى غايتهم المنشودة[٤] .

لم يكن النفوذ الفارسي في الخليج العربي قوياً بداية العصور الحديثة بسبب قوة العرب البحرية وخبرتهم الملاحية واشتهارهم كوسطاء في التجارة العالمية فضلاً عن تزايد سيطرة البرتغاليين على مملكة هرمز ومنذ عام ١٥٠٧ التي كانت تهيمن على معظم التجارة البحرية في بلاد فارس ، وعلى الرغم من كون دولة الفرس كبيرة جداً غير انهم لم يكونوا مهيئين لممارسة دورهم السياسي بصورة فعالة في المنطقة ، اذ كان على القوات المرسلة الى الخليج

---

١ ـ محمود بهجت سنان ، البحرين درة الخليج العربي ، بغداد ، ص ٩٦ .

٢ ـ د . طارق نافع الحمداني ، محاضرات ،طلبة الدراسات العليا ، الفصل التمهيدي ، بغداد ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٨٨ .

٣ ـ لمزيد من التفاصيل عن التعاون الفارسي ـ البرتغالي يمكن الرجوع الى
F.S, Danvers; The poruguess in inda , vol I, London, 1894, p.514.

٤ ـ انظر علي غنام ، احلال النفوذ الاجنبي بالخليج العربي (دور الدولة الصفوية) ، مجلة الخليج العربي ، المجلد ١٧ ، السنة ١٣ ، جامعة البصرة ١٩٨٥ ، ص١٤ .

العربي ان تعبر مناطق واسعة غير مسيطر عليها في الاقاليم ، اما في الساحل فقد كان الفرس يعتمدون في نقل جنودهم بحراً اما على القبائل العربية الصديقة او على القوى الاوربية[١] .

وتأسيساً على ذلك فانه بسبب عدم تمكن الشاه عباس من طرد البرتغاليين من الخليج العربي لان قواته كانت تنقصها الاساطيل البحرية فضلا عن ان قسماً كبيراً من جيشه كان مرابطاً على الحدود الفارسية ـ العثمانية ، لذلك فكر بالتحالف مع دولة اخرى تملك اسطولاً بحرياً قوياً تستطيع التصدي للبرتغاليين واتضحت نواياه حين وافق على رأي قائده معين الدين ولي باحتلال البحرين ، وكان هذا القائد صديقاً لحاكمها ركن الدين مسعود فلمس منه الرغبة في فصل بلاده عن التبعية لهرمز وبالتالي تحريرها من الحكم البرتغالي ، وقد تولى هذه المهمة امام قلي خان الذي كان يحكم اقليم فارس نيابة عن ابيه ، وما ان وصلت القوات الفارسية الى البحرين حتى بادرت الى قتل من استنجد بها وهو نائم في فراشه وبذلك تمهد السبيل لاستيلاء الفرس على البحرين ، وتصادف وجود قوة فارسية بالقرب من هناك بقيادة الامير يوسف شاه ، فاصدر امام قلي خان امره بان تتوجه الى البحرين لمساندة معين الدين وهكذا تم احتلال البحرين عام ١٦٠٢[٢] .

وعلى الجانب الاخر ترجع مصادر تاريخية الانسحاب البرتغالي ودخول البحرين تحت السيطرة الفارسية الى رغبة البرتغاليين في تخفيف اعبائهم

---

١ ـ انظر ب .ج سلوت ، عرب الخليج في ضوء مصادر شركة الهند الشرقية الهولندية ١٦٠٢ ـ ١٧٨٤ ، ترجمة عايدة خوري ، ابو ظبي ١٩٩٣ ،ص ص ٦٦-٦٧ .

٢ ـ مصطفى عقيل الخطيب ، التنافس الدولي في الخليج العربي ، ١٦٢٢ ـ ١٧٦٣ ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص٢٧ .

العسكرية فانسحبوا من ذلك الجزء مكتفين بالسيطرة على مدخل الخليج العربي ، يدل على ذلك ايضاً ان اسبانيا التي كانت مسؤولة عن الامبراطورية البرتغالية وقتذاك كانت ترى في الدول العثمانية الخصم الرئيس لها في حوض البحر المتوسط ، فربما اعتقدت انه من الممكن الافادة من الصراع العثماني ـ الفارسي في الشرق والتقارب مع الفرس في نظير تنازلات لا تعني اسبانيا مباشرة مثل التنازل عن البحرين ، مما يشير الى ذلك الخطاب الذي ارسله فيليب الثاني الى نائب الملك بالهند عام ١٦٠٧ والذي يامره فيه بمحاولة استرداد البحرين لمنع وقوعها في يد العثمانيين ، وكانت اخر المحاولات هي وصول مبعوث من ملك اسبانيا الى فارس عام ١٦١٨ ، وقد رحب الشاه بالعروض التجارية التي تشمل استيراد كميات كبيرة من حرير فارس ، ولكنه اصطدم بمطلب قدمه الاسبان مؤداه ان يتعهد الشاه باحترام المراكز البرتغالية في الخليج العربي[1] ، على اننا يجب ان لانغفل دور المقاومة العربية في انهاك القوات البرتغالية من خلال مهاجمة سفنها وحصونها وعرقلة تجارتها وتعدد الثورات العربية .

تعاقب على حكم البحرين ولاة من قبل الدولة الصفوية يتولون الاشراف عليها ، ومن هؤلاء الولاة (سوندل سلطان) الا انه عزل عن الامارة بسبب سوء سياسته مع السكان ، ولكنه ذهب الى اصفهان وقدم للشاه بعض الهدايا من ضمنها سيف تيمورلنك وهنا اعاده الشاه والياً على البحرين ، ضاربا بالشكاوي التي حملها الناس اليه بعرض الحائط ، وبدا يعبث بامورهم فسادا وفسقاً ، وخلفه في الحكم بابا خان عام ١٦٦٦ وحال تسلمه الولاية بدأ يفرض عليهم بالضرائب بشكل جعل اكثرهم عاجزين عن دفعها ، ورفعت الشكاوي ضده وتم عزله وعين آخر محله واسمه مهدي قلي خان مطلع القرن

---

١ ـ د . صلاح العقاد ، التيارات السياسية في الخليج العربي ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ص ٢٢ ـ ٢٣ .

الثامن عشر[1] .

وبالمقابل فان الادلة التاريخية تشير انه على الرغم من ان البحرين اصبحت منذ السنوات الاولى من القرن السابع عشر تحت الحكم الفارسي ، اذ تعاقب عليها العديد من الحكام الفرس ، ويظهر من دراستنا لعهود اولئك الحكام عدم رضا سكان البحرين بالحكم الفارسي ، وبالتالي كانت البحرين مهيأة لقبول حكم عربي يسود في عهده الامن ويحقق العدالة بين طوائف السكان[2] ، ومما يعزز ماذهبنا اليه انه بعد طرد البرتغاليين حكمت فارس البحرين بصورة غير مباشرة بتعيين عدد من الولاة او الحكام العرب ، الا ان سيطرة الفرس على البحرين لم تكن راسخة فكثيراً ما نجح الحكام العرب برفع النير الفارسي عنهم والاستقلال بالجزر ففي عام ١٦٩٨ استغل الشيخ الجبري بالحكم عن فارس ، الا ان سوء معاملته لسكان البحرين دفعهم الى الاتجاه الى الشاه الصفوي الذي ارسل قوة عسكرية استطاعت ان تفرض سيطرتها على البحرين[3] .

السياسة الفارسية نحو البحرين في القرن (١٨)

كانت الدولة الصفوية قد دب اليها الضعف ايام حكم الشاه حسين الاول (١٦٩٤ ـ ١٧٢٢) نتيجة للفوضى والاضطرابات التي عمتها ، مما اطمع القوى الواقعة تحت حكمها وفي مقدمتهم العتوب ان تطالب بالاستقلال وان تقوم

---

١ ـ خضير نعمان العبيدي ، البحرين من امارات الخليج العربي ، بغداد ، ١٩٦٩ ، ص ص ٢٨ ـ ٢٩ .

٢ ـ د . جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي دراسة لتاريخ الامارات العربية في عصر التوسع الاوربي الاول ١٥٠٧ ـ ١٨٤٠ ، جـ ١ ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ٤١٤ .

٣ ـ ابراهيم خلف العبيدي ، الحركة الوطنية في البحرين ١٩١٤ ـ ١٩٧١ بغداد ، ١٩٧٦ ، ص ص ٢٣-٢٤ .

بحركات عسكرية للتخلص من سيطرة الفرس ، حتى بات مهدي قلي خان والي البحرين الفارسي يخشى هذه القوة البحرية المتزايدة للعتوب خاصة والقبائل العربية الاخرى ، فأغرى قبائل الحولة[١] وهم من العرب الذين تحولوا الى الساحل الشرقي من الخليج العربي اغراهم بالتعرض ومناوشتهم في البحر خاصة وان العتوب باتوا ينافسونهم في النقل البحري والغوص ، وعرف العتوب ان ذلك كان بايحاء وتوجيه من مهدي قلي خان المشهور بظلمه وجبروته ، فقرروا مهاجمة البحرين حوالي عام ١٧٠٠ وقد تم ذلك واستطاع العتوب السيطرة على البحرين والتجأ الوالي الى القلاع يتحصن فيها هو وخاصته وجنده ، تاركا الامر الى زعيم قبيلة الحرم محمد بن ماجد الذي كان يحكم نابند سابقاً[٢] .

كتب محمد بن ماجد الى قبائل الحولة يطلب نجدتهم بسبب عدم قدرة الدولة الصفوية على مساعدته لانشغالها بمشاكلها المختلفة ، فجاءت قوة بحرية من الحولة هاجمت العتوب في معركة رأس تنورة البحرية وكانت النتيجة انسحاب العتوب مرتحلين الى البصرة ، وينقل لنا صاحب لؤلؤة البحرين تفاصيل المعركة بالقول : «وفي هذه السنة ١١١٢ هـ (١٧٠٠ م) جاءت طائفة من الهولة ووقع الحرب وانكسرت البلد الى القلعة اكابر واصاغر»[٣] .

من جانب اخر جذبت البحرين انظار القوى المحلية الاخرى في الخليج

---

١ ـ الحولة : قبائل عربية كانت تسكن المنطقة الممتدة بين بندر عباس ورأس بردستان ، وادى انقسامها الى مشايخ مستقلة دون تمكنهم من فرض سيطرتهم على منطقة الخليج العربي .

٢ ـ لمزيد من التفاصيل انظر علي ابا حسين ، دراسة في تاريخ العتوب ، مجلة الوثيقة ، العدد ١ ، السنة ١ ، البحرين ، مركز الوثائق التاريخية ، رمضان ١٤٠٢ هـ / يوليو (تموز) ١٩٨٢ م ، ص ص ٨٤ ـ ٨٦ .

٣ ـ الشيخ يوسف بن احمد البحراني ، لؤلؤة البحرين في الاجازات وتراجم رجال الحديث ، حققه وعلق عليه السيد محمد صادق بحر العلوم ، النجف الاشرف ، ص٤٤٢ .

العربي وفي مقدمتهم اليعاربة في خضم الحرب التي دارت بين الفرس وعرب عمان للسيطرة على المنطقة ، اذ كانت القوة البحرية لعمان في العقدين الاولين من القرن الثامن عشر لا تقل ان لم تزد عن القوى الاخرى على امتداد شواطئ المحيط الهندي ، وهو الامر الذي شجع سلطان بن سيف امام عمان (١٧١٨-١٧١١) على تجهيز حملة عسكرية لطرد الفرس من البحرين وانهاء احتكارهم لصيد اللؤلؤ ذات المردودات المالية فيها[١] ، وما ان حل صيف حوالي عام ١٧١٨ حتى كان العمانيون قد استعدوا بناءاً على ترتيبات خطة عسكرية وضعها الامام لمباغتة القوات الفارسية في البحرين ومهاجمتها ، وقامت خطته على ان يكون هجومه في موسم(الغوص الكبير) وهو موسم يقع في اشهر الصيف الحارة ، حيث يغادر معظم سكان البحرين ويتوجهون الى رحلة تمتد لعدة شهور الى عرض البحر للغوص والبحث عن اللؤلؤ ، وفي بداية ذلك الموسم اصدر اوامره الى قواته بالتوجه نحو البحرين ، وعلى الرغم من انشغال الشاه الصفوي بصراعه ضد الثوار الافغان ، ذلك الصراع الذي كان ينخر في كيان فارس ، الا ان ذلك لم يمنعه من اصدار تعليماته الى القائد الفارسي في البحرين بالاستعداد لصد أي هجوم عربي محتمل ضده ، فجرت معارك عنيفة تكبد فيها الطرفان خسائر فادحة في الارواح والمعدات ، انتهت بهروب القائد الفارسي الى بلاده ودخول امام عمان المدينة فاتحاً ، ثم قام ببناء قلعة عراد الشهيرة وترك حامية عمانية هناك واقفل راجعاً[٢] .

على ان السيطرة العمانية المؤقتة للبحرين جاءت في اطار حرب طويلة

---

١ ـ س .ب مايلز ، الخليج بلدان وقبائله ، ترجمة محمد امين عبد الله ، سلطنة عمان ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، ص ٢١١ .

٢ ـ فالح حنطل ، المفصل في تاريخ الامارات العربية المتحدة ، جـ١ ، ابو ظبي ، ١٩٨٣ ، ص١٢٧ ؛

L. Lockhart; The Fall of the Safavi Dynasty and the Afghan occupation of persia, (Cambridg, 1958) ,p. 115.

دارت رحاها بين العثمانيين والفرس وهي جزء من خطة نادر شاه للقضاء على العمانيين وانهاء سيطرتهم على الخليج العربي ، وقد شكل خسارة الفرس للدخل الكبير الذي كان يعود عليهم من مغاصات اللؤلؤ في البحرين بمثابة ضربة قاصمة للاوضاع الاقتصادية المتدهورة في بلاد فارس[١] ، مما دفع الشاه حسين الى ارسال قوة عسكرية في محاولة لاستعادة سيطرة بلاده على الجزء ، لكن المحاولة فشلت وذلك بعد ان تكبدت القوات المهاجمة خسائر فادحة ، الامر الذي اضطر الشاه الصفوي الى ان يتجه لطلب المساعدة مراراً من هولندا من اجل استعادة البحرين ، ولكن محاولاته جوبهت برفض الهولنديين الذين كانوا يميلون لاتخاذ موقف محايد تجاه عرب عمان[٢] .

ولما ثبت عدم قدرة الفرس على معاودة سيادتهم على البحرين ، فقد التجأوا هذه المرة لطلب العون من الشركات الاوربية الاخرى لاستعادة البحرين من سيطرة العمانيين ، وارسل الشاه حسين بعثة فارسية الى بومباي لطلب عون شركة الهند البريطانية ، الا ان الشركة لم تستجب لطلبه تجنباً من جرها لمغامرة عسكرية[٣] ، ثم ارسل بعثة اخرى الى فرنسا نجحت في عقد اتفاقية عام ١٧٠٨ التي نصت على تقديم فرنسا دعم بحري لفارس واحتلال مسقط ، ولكن فرنسا لم تلبث ان ترددت بتنفيذ تلك المعاهدة ، مما دفع بالحكومة الفارسية الى عقد اتفاقية جديدة مع الحكومة الفرنسية في محاولة لكسب تاييدها ، تضمنت بنوداً منها ان تشترك فرنسا مع فارس في اقتسام

---

١ ـ سلوت ، عرب الخليج ،ص ٢٣٧ .

٢ ـ نادية كاظم محمد ، السياسة الفارسية اتجاه القبائل العربية في الساحل الشرقي من الخليج الغربي في القرن الثامن عشر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية / ابن رشد ، جامعة بغداد ،٢٠٠٢ ، ص٦٥ .

٣ ـ احمد محمود صبحي ، البحرين ودعوى ايران ، تقديم ومراجعة د محمود علي الداود ، الاسكندرية ،١٩٦٢ ، ص ٧٠ .

موارد اللؤلؤ في البحرين ، غير ان المعاهدة الجديدة لم تتم المصادقة عليها بسبب المشكلات الخارجية التي كان يواجهها لويس الرابع عشر[١] .

ولما كان الفرس يستهدفون المنطقة ضمن اهدافهم المعروفة فقد اتجه الشاه حسين في محاولته اجلاء العمانيين عن البحرين الى الاستعانة بالبرتغاليين في قاعدتهم الرئيسة في غوا بالهند عام ١٧١٨ ، مما اثار استياء البريطانيين الذين اخذوا من جانبهم يقدمون مساعداتهم الى سلطان بن سيف مما مكنه من تثبيت سيطرته على البحرين ، ولكن العداء الذي واجهه العمانيون من عرب الحولة في البحرين كان من اهم الاسباب التي دفعت بامامة عمان الى الدخول في مفاوضات مع فارس ، وقد قبلت فارس ان تدفع لعمان ثمانية آلاف تومان[٢] ، فارسي مقابل انسحاب القوات العمانية من البحرين ووافق اليعاربة على ذلك وتم انسحابهم من البحرين بالفعل عام ١٧١٨[٣] .

الا ان بلاد فارس في هذه الحقبة كانت اضعف من ان تحكم البحرين مباشرة بعد انسحاب العمانيين منها ، لذا فانها تركت امرها لقبائل الحولة يحكمونها تحت الرعاية الاسمية لبلاد فارس ، ولو كان سكان البحرين من الفرس لما اختار الشاه ان يولي عليهم حاكما هو الشيخ جبارة زعيم الحولة ، وهي قبائل لم تكن تدين بالولاء التام لسلطة الشاه ، وما ان استقر الشيخ جبارة في البحرين حتى راح يعمل على التخلص من تلك السيادة وشجعه على ذلك تداعي حكم الشاه حسين وتعرض فارس للغزو الافغاني ، ثم اعلن استقلاله في حكم البحرين ودون ان يعترف لاحد بالسيادة عليها ، واستمر

---

١ ـ قاسم ، المصدر السابق ، ص ٤١٥ .

٢ ـ التومان : كان يساوي نصف جنيه استرليني .

٣ ـ M.C. Niebouhr; Travels Through Arabia and The Other Countries in the East,vol.11,Trans Into English by Robert Heron, Edinburah, 1792, P.152.

كذلك منذ عام ١٧١٨ حتى مجئ نادر شاه للسلطة في بلاد فارس عام ١٧٣٦[١] .

لم يدم حكم الشيخ جبارة طويلاً في البحرين لانه استبد في الحكم على الاهالي ، وصادف حكمه انتقال الملك من الشاه عباس الاول الى نادر شاه الذي تجددت الاطماع الفارسية بعهده في البحرين ، وبعد نجاحه باستلام السلطة وتحرير بلاده من الاحتلال الافغاني ، ادرك نادر حاجة بلاده الى بناء قوة بحرية باعتبارها الوسيلة المهمة لتقوية نفوذ فارس في الخليج العربي[٢] ، واتبع مختلف السبل لبناء اسطول قوي فبدأ بالضغط على الهولنديين والبريطانيين مهدداً اياهم بالطرد من فارس وحرمانهم من الامتيازات التجارية التي كانت لهم فيها وذلك لحملهم على بيعه اواعارته بعض سفنهم ، كما لجأ الى شراء السفن من سورات في الهند ، وبهذا الاسطول القوي اراد فرض السيادة الفارسية على نواحي الخليج العربي ومنها البحرين[٣] .

وعلى مايبدو فان الشيخ جبارة والي البحرين رفض الاعتراف بملك نادر شاه واعلان التبعية والولاء لسلطته ، فاوعز الاخير الى ميرزا تقي خان والي شيراز عام ١٧٣٦ بان ينتزع البحرين من حكم الشيخ جبارة بقيادته لحملة عسكرية قدرت قواتها بـ (٤) آلاف جندي ، منتهزا فرصة غياب الشيخ جبارة خارج البحرين لاداء فريضة الحج في مكة المكرمة[٤] ، وطبقاً لرواية المؤرخ

---

١ ـ قاسم ، المصدر السابق ص٤١٥ .

٢ ـ محمد ، المصدر السابق ، ص ص ٦٦-٦٧ ؛ صبحي ، المصدر السابق ، ص٧٢ .

Lockhart ; Nadir Shah, London,1938, pp.90 - 93

٣ ـ د .عبد الامير محمد امين ، اضواء جديدة على تاريخ الخليج العربي الحديث ، المجلة التاريخية ، العدد ١ ، السنة ١ ، بغداد ، الجمعية العراقية للتاريخ والاثار ، آب ، ١٩٧٠ ، ص٨٩ .

٤ ـ Abbas, Faroughy; the Bahrein Islands (750-1951) New York, P 68

النبهاني فقد تم الاستيلاء على البحرين بالشكل الاتي : «ولما استنب له الامر ارسل الى عامله ميرزا تقي والي شيراز بان ينتزع جزيرة البحرين من يد الشيخ جبارة فامتثل امره وجهز عليها افواجا من عساكره واستولى عليها ـ وكان الشيخ جبارة غائباً بمكة المشرفة ـ واما نائبه على البحرين فلم يستطع مقاومة جيش ميرزا تقي خان ، ففر هارباً بنفسه واستولت عساكر (نادر شاه) على البحرين وذلك عام ١١٥٠ هـ (١٧٣٦م)»[١] .

وبعد انسحاب جنود الحملة الفارسية تآلبت الاحداث على الحاكم الذي عينه نادر شاه لادارة شؤون البحرين ، واخذت العناصر الموالية للشيخ جبارة تبدي نشاطاً ومقاومة للحاكم الجديد ونفوذ اعوانه املاً باعادة السلطة الى الشيخ جبارة وقد استغل هذه الاوضاع سيف بن سلطان حاكم مسقط (١٧١٨ ـ١٧٤١) فارسل حملة بحرية عام ١٧٣٩ تمكنت من الاستيلاء على البحرين ، غير ان ذلك لم يوقف اطماع نادر شاه في البحرين والتي تجددت عام ١٧٤٠ ، حين اصدر الاخير امراً الى عامليه محمد تقي خان وكلب علي خان بان يوجها جهودهما الى قتل حاكم مسقط ، فأمتثلا لامره وتوجهت همتهما نحوه حتى ظفرا به فقتلاه غيلة[٢] .

تعرضت فارس لفترة من الفوضى عقب وفاة نادر شاه عام ١٧٤٧ استحال عليها ان تحافظ على سيطرتها على البحرين ، واصبح الشيوخ العرب في الموانئ الجنوبية الشرقية حكاماً مستقلين في الواقع على مناطقهم[٣] ، واوردت الوثائق الهولندية كيفية استرداد قبيلة الحرم التي تسكن منطقة نابند وهي

---

١ ـ محمد بن خليفة النبهاني ، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ، القاهرة ، ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٤ م ، ص ١١٣ .

٢ ـ انظر سنان ، المصدر السابق ، ص٩٩ .

٣ ـ سلوت ، سطور من تاريخ البحرين والخليج اعتماداً على الوثائق الهولندية ، مجلة الوثيقة ، العدد ١١ ، السنة ٦ ، ذو القعدة ١٤٠٧ هـ / يوليو (تموز) ١٩٨٧ م ، ص ١٠٦ .

احدى مجموعات قبائل الحولة زعامتها على البحرين حوالي منتصف القرن الثامن عشر مستغلة الخلاف الذي نشب بين الشيخ نصر آل مذكور[١] حاكم بوشهر وحليفه مير ناصر حاكم بندريق بعد تمكنهما من مهاجمة البحرين ومحاصرتها ـ بسبب ان الاخير تمكن من خداع حليفه في مسألة النصيب المتفق عليه من واردات البحرين كما لم ينجح تماماً في الحفاظ على ممتلكاته الجديدة بسبب مهاجمة جاره قايد هشير حاكم جنافه مقره الرئيسي في بندريق ، وكان قايد هذا جاره من جهة الغرب لذلك انتهى حصاره للبحرين بالفشل عندما طلبت الحرم العون اللازم من مجموعات اخرى من الحولة مستثمرة انهماك شيخ بندريق بالدفاع عن ذلك المكان وحققت نجاحاً في معاودة سيادتها على البحرين[٢] ، وهذا يشير الى حقيقة مفادها انه على الرغم من ان البحرين كانت تخضع للسيادة الفارسية في بعض الحقب التاريخية ، الا ان القبائل العربية هي التي كانت تمارس الحكم الفعلي في البحرين وكثيراً ما كانت هذه القبائل تقوم بالثورة معلنة رفضها للتبعية الفارسية ، وتتامس ذلك في المحاولات العديدة التي قام بها عرب الحولة من اجل التخلص من النفوذ الفارسي[٣] .

واصل الشيخ نصر آل مذكور سياسته التوسعية نحو البحرين وبغية احتلالها عن طريق التحالف مع قوى محلية اخرى ، ومما شجعه على ذلك انقسام الحولة على انفسهم وكثرة خلافاتهم[٤] ، وتنافس القبائل والقوى المجاورة للاستحواذ على البحرين ، وطبقاً لما اوردته المصادر الهولندية فقد ادرك

---

١ ـ يرجع آل مذكور في نسبهم الى قبيلة المطاريش التي تنتمي اساساً الى عمان .

٢ ـ سلوت ، عرب الخليج ، ص ص ٣٣١-٣٣٢ .

٣ ـ قاسم ، المصدر السابق ، ص ٤١٦ .

٤ ـ ارنولدت . ويلسون ، الخليج العربي ، نقله الى العربية وقدم له د .عبد القادر يوسف ، الكويت ، ص ٣٩٥ .

الشيخ ان الفرصة مؤاتيه لفرض سيطرته على الجزر المذكورة ، فعمد عام ١٧٥٣ للتحالف مع قبيلة النصور من الحولة الذين كانت لهم اطماع في البحرين باعطائهم مبلغ كبير من المال ، واعقبه بتحالف آخر مع عتوب الكويت مقابل نصيب لهم من رسوم عائدات البلاد ، وبهذه التحالفات تم له القضاء على نفوذ الحولة والسيطرة على البحرين[١] .

ان هذه التطورات اعقبتها احداث في بلاد فارس عقب تولي كريم خان الزندي (١٧٥٧-١٧٧٩) السلطة في فارس بعد فترة من الفوضى انتشرت في البلاد ونجاحه بالتالي في تركيز السلطات بيده وادارة شؤون فارس منذ العقد السادس من القرن الثامن عشر ، وقد حسن كريم خان علاقاته بالعرب القاطنين على الساحل الشرقي من الخليج العربي باتباعه سياسة الود والتعاون بخلاف سلفه نادر شاه ، وانسجاماً مع هذه السياسة فقد طلب كريم خان مساعدة القوى القبلية العربية في سياسته الرامية الى تقوية نفوذه في المنطقة عموماً ، ومن ثم عهد للشيخ نصر الحكم في البحرين بالاضافة الى بوشهر[٢] ، وقد ظل هذا الشيخ يحكم البحرين قرابة ثلاثة عقود بأسم فارس ويدفع لحكام الاخيرة الضريبة بانتظام عن امارته في بوشهر والبحرين ، الا ان ذلك لايعني تبعية تامة وانما اسمية ، اذ من الواضح ان توارث هذه الاسرة لحكم البحرين انما كان تعبيرا عن عصيانهم لحكام فارس[٣] .

شهد النصف الثاني من القرن الثامن عشر حدوث تطورات سياسية واقتصادية شمال الخليج العربي ، ولعل من اهمها ظهور آل خليفة على مسرح الاحداث في المنطقة ، اذ بعد هجرتهم من الكويت عام ١٧٦٦ نزل أل

---

١ ـ سلوت ، عرب الخليج ، ص ٣٣٢ .

٢ ـ Gurzon, George; Persia and the persian Question, Vol.II, London, 1892, p232, Adamiyat I- Op.Cit, p.26.

٣ ـ جون .ب . كيلي ، بريطانيا والخليج ١٧٩٥-١٨٧٠ ، جـ٢ ترجمة محمد امين عبد الله ، سلطنة عمان ، ١٩٦٥ ، ص٥٠ ، العقاد ، التيارات ، ص ٥٦ .

خليفة[1] في الزبارة واعترفوا في البداية بسلطة آل مسلم باعتبارهم نوابا لبني خالد في قطر بعد منع سلطات الشيخ نصر البحرينية آل خليفة من نزول البحرين ، وفي الزبارة اتخذ زعيمهم خليفة بن محمد عدة اجراءات استهدف بها تقوية نفوذه فنزل عند قبيلة آل بن علي وتزوج منهم ، وبعد مصاهرته لتلك القبيلة قويت صلاته ونفوذه لدى القبائل الاخرى ، وفي الزبارة شيد لنفسه بيتاً محصناً وكان يدفع لآل مسلم الخراج كاي قبيلة اخرى تسكن في قطر ، ولكن بعد ان نمت ثروة آل خليفة وازداد نفوذهم امتنعوا عن دفع الخراج وتحصن الشيخ خليفة بن محمد في القلعة التي اتخذت اساسا لنفوذه في الزبارة ونقطة وثوب على البحرين ، ثم ساعدت احداث تاريخية على ازدهار الزبارة ، اذ هاجر اليها تجار البصرة الاثرياء اثناء الاحتلال الفارسي للمدينة (١٧٧٦-١٧٧٩) واخذت تتركز فيها تجارة شرق الجزيرة العربية والهند الى جانب وجود جزء كبير من تجارة اللؤلؤ فيها ، الامر الذي اثار حفيظة الشيخ نصر آل مذكور الذي قام وبتشجيع من كريم خان الزندي بمحاولات غير موفقة في ذات الفترة لاخضاع الزبارة[2] ، فيما تردد عرض تقدم به الشيخ محمد بن خليفة الى الحاكم الفارسي ان يوليه على جزر البحرين مقابل دفع جزية سنوية ولكن دون ورود تأكيد على ذلك من مصادر تاريخية موثوقة[3] .

تهيأت الظروف المناسبة لسيطرة آل خليفة على البحرين في الربع الاخير من القرن الثامن عشر بسبب تردي الاوضاع في بلاد فارس عقب وفاة كريم خان عام ١٧٧٩ ، والذي لم يقتصر اثره على السواحل المجاورة للاراضي

---

١ ـ لمزيد من التفاصيل انظر : Thomas, Haghes; ed; Selections From the Records Bombay Government Historical and other information Connected with the province of oman, muscat, Bahrian, and Other places in the persian -Arabian Gulf- (New Series, No, xxiv) Bombay, 1850, p.362.

٢ ـ ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق ، ص ٢٨ ، قاسم ، المصدر السابق ، ص ص ٤١٨ ـ ٤١٩ .

٣ ـ انظر العقاد ، الاستعمار في الخليج ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ص٦٩ .

الفارسية بل عمت حالة من الاضطراب نواحي الخليج العربي الاخرى[1] ، ولذلك ماكادت تتردى اوضاع الاقاليم الفارسية حتى انقض آل خليفة على البحرين ، ووفقاً لما اوردته المصادر البريطانية فقد تمكن آل خليفة بهجومهم عام ١٧٨٢ من الحاق الهزيمة بالشيخ نصر الذي لجأ الى قلعته وقاموا بنهب مدينة المنامة وتدميرها والاستيلاء على الكثير من الاسلاب ثم عادوا الى قاعدتهم في الزبارة[2] .

استمرت فارس في سياستها الرامية للابقاء على نفوذها في البحرين عبر حكام بوشهر من آل مذكور ، والذين اثاروا مشكلة مع آل خليفة في الزبارة اواخر عام ١٧٨٢ ، حينما اغتالت عناصر بحرانية احد اقرباء الشيخ احمد بن محمدآل خليفة (١٧٨٣-١٧٩٤) في منطقة سترة في البحرين ، الامر الذي دفع بالاخير الى ان يوجه قوة بحرية الى المنامة فرضت نوعاً من الحجز على كل السفن الفارسية الداخلة الى الميناء المذكور ، وتطورت الاحداث الى احتمال وقوع ازمة وصدام عسكري بين الجانبين في اية لحظة ، حينذاك طلب الشيخ نصر الوساطة من الزعيم القاسمي صقر بن راشد لحل ذلك النزاع ، وتجنباً لحرب وشيكة الوقوع بين الطرفين وافق الاخير وانتدب والده الشيخ المسن راشد بن مطر ليتولى مهمة الصلح بين المتنازعين ، الا انه لم يوفق في مسعاه ، واعقب ذلك ان تغير موقف الشيخ صقر الذي قرر الانضمام[3] ، الى

---

١ ـ ابن دريد ، صفحات مطوية من تاريخ العربي ، مجلة دراسات عربية ، العدد ٩ ، السنة ٢ ، بيروت ، يوليو (تموز) ١٩٦٦ ، ص٥٦ .

٢ ـ ج . ج . لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ٣ ، ترجمة ديوان امير قطر ، الدوحة ، ١٩٧٦ ،ص٢٧٢ ، قاسم ، المصدر السابق ، ص٤١٩ .

٣ ـ ادى تشدد آل خليفة في موقفهم اضافة الى قتلهم ثمانية عشر رجلاً من القواسم واغراق قاربهم الى تغير موقف الشيخ صقر القاسمي الذي تحول الى محالفة آل مذكور . انظر صالح محمد العابد ، دور القواسم في الخليج العربي ١٧٤٧-١٨٢٠ ، بغداد ١٩٧٦ ، ص ص ١١٢-١١٣ .

حملـة اعدها حاكم بوشهر للهجوم على الزبارة وبدعم شيوخ كل من هرمز وكعب وبندريق ، في حين انضمت القبائل القطرية آل مـلم ، الفويرط آل بنو علي آل سودان آل سليط آل بوعينين ، الى جانب آل الصباح والجلاهمة المتحافين مع آل خليفة ، الا ان الفشل كان نصيب تلك الحملة العسكرية[١] .

ادى الانتصار العسكري الذي حققه آل خليفة وحلفائهم وما تبعه من وصول اخبار الى الشيخ احمد بن محمد آل خليفة في الزبارة والمتضمنة ضعف الحامية الفارسية في البحرين واضطراب الامن فيها وحدوث نزاعات بين السكان ووجود بعض الموالين لآل خليفة واعوانهم من العتوب في البحرين ، مع رغبة آل خليفة في استثمار هزيمة الشيخ نصر وملاحقة قواته المتقهقرة الى البحرين[٢] خاصة بعد ان وقع بايديهم مركب تابع لبوشهر يحمل رسالة موجهة الى ابن الشيخ نصر في البحرين يبلغه فيها بهزيمة قوات بوشهر ويطلب منه ان يتخذ كل الاستعددات الممكنة للدفاع عن البحرين ، ويبدو ان هذه الرسالة قد انطوت على اشارة بضعف جيش بوشهر وعدم قدرته على التصدي لهجمات عرب الزبارة ، لذلك قام آل خليفة وحلفائهم بمهاجمة البحرين وتمكنوا من احتلالها بعد استلام الحامية الفارسية فيها في ٢٨ تموز عام ١٧٨٣ ، مستغلين تفكك اسرة الزند وحالة الفوضى التي سبقت وصول اسرة قاجار الى الحكم في فارس[٣] .

---

١ ـ حنظل ، المصدر السابق ص ص ٢٤٠-٢٤٢ . Haghes; Op Cit, p.364;

٢ ـ الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة وابا حسين ، من تاريخ العتوب في القرن الثامن عشر ، مجلة الوثيقة ، العدد ٤ ، السنة ٢ ، وربيع الاخر ١٤٠٤ هـ / يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤ م ، ص٢٥ .

٣ ـ Johns, Hopkins;The Gulf states, London, 1981,p-34

كاظم باقر علي ، البحرية الفارسية في الخليج العربي دراسة لواقعها البحري ١٩٠٧-١٨٤٨ ، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة . ١٩٨٤ ، ص١٤٨ .

السياسة الفارسية نحو البحرين في القرنين (١٩ و٢٠)

ومع اطلالة القرن التاسع عشر قدمت فارس دعمها العسكري المباشر للحملة القوية التي ارسلها سلطان بن احمد (١٧٩٢-١٨٠٤) حاكم عمان عام ١٨٠٠ لاحتلال البحرين ، وحين شعر بان قوته غير كافية استنجد بطلب امدادات من الفرس ، الا ان سلطان عمان لم ينتظر وصول الدعم الفارسي وابحر باسطوله الى البحرين وهناك تصدي له العتوب بقوة واستطاع ان يحقق بعض النجاح ، وبعد شهرين وصلت اليه نجدة قوامها مائتا رجل بخيولهم والفان من المشاة قادمة من شيراز الى بوشهر ، استطاع بواسطتهم الزعيم العماني من ابعاد العتوب عن البحرين[١] ، وجددت الحكومة الفارسية اطماعها في البحرين عام ١٨٣٩ بعد وصول القوات المصرية الى نجد ، وتوقيع محمد رفعت افندي ممثل محمد علي باشا على اتفاقية في العام نفسه مع شيخ البحرين عبد الله بن احمد آل خليفة (١٨٢٠ ـ١٨٤٣) تضمنت تعهداً مصرياً بمساندة الاخير مقابل دفعه زكاة تقدر بألفي روبية[٢] سنوياً وتقديمه دعماً بحرياً لقوات محمد علي باشا ، معلنة حق سيادتها على البحرين[٣] .

وخلال الفترة بين اعوام (١٨٨٠-١٨٩٠) انقطع تطلع حكام فارس الى البحرين ، بسبب عقد الشيخ عيسى بن علي (١٨٧٩-١٩٢٣) معاهدات انفرادية مع الحكومة البريطانية ، ولم تتجدد النوايا الفارسية الا في عام ١٩١٤ بعد تعهد شيخ البحرين للوكيل السياسي البريطاني في البحرين ، بأن لا

---

١ ـ مايلز ، المصدر السابق ،ص ٢٣٤ .

٢ ـ الروبية : عملة هندية تساوي بالنقود العثمانية (القروش) ٧ ـ ٧ و٢٥ .

٣ـ C. U, Aitchison; Acollection of Treaties Engagements and Sands Relating To India and Neighbouring Countries, Vol. xl, Calcutta, 1933, P.19. العقاد ، التيارات ، ص ١٣٦ .

يتصرف في استغلال النفط بأراضي الامارة الا بمشورة الوكيل البريطاني وموافقة الحكومة السامية ، حينئذ احتجت فارس على هذا التعهد ، وبعد تولي اسرة بهلوي الحكم في أيران عام ١٩٢٥ ارادت احياء سياسة اسلافها من الصفويين والقاجاريين وبمناسبة عقد المعاهدة البريطانية ـ السعودية عام ١٩٢٧ وورود اسم البحرين كاحدى الامارات العربية التي لايجوز للسعودية التدخل في شأنها ، قدمت ايران مذكرة الى عصبة الامم تذكر بحقها في السيادة على البحرين ، وردت بريطانيا في ذلك الحين على تلك المذكرة مفندة الحجج الايرانية[1] .

تكررت المطالبة الايرانية بالسيادة على البحرين في اكثر من مناسبة ، ففي عام ١٩٢٨ قدمت الحكومة الايرانية مذكرات الى عصبة الامم ذهبت فيها الى القول بأن كل معاهدة تعقد مع البحرين غير شرعية ، وان البحرين تعد تاريخياً جزءاً من ايران ، كما اكدت اصرارها بالحقبة التي اعقبت انتهاء الحرب العالمية الثانية على نفس ادعاءاتها ، فقد استصدرت الحكومة الايرانية عام ١٩٤٩ من البرلمان اقراراً بعزمها العمل على ممارسة اعمال السيادة على البحرين فضلاً عن تطبيقها نظام الرسوم البريدية الداخلية على البريد الصادر الى البحرين ، وفي عام ١٩٥٧ أعلنت ايران انضمام البحرين الى أراضيها بأسم الاقليم الرابع عشر من الاقاليم الفارسية وخصصت بعدها للبحرين مقعدين لتمثيلها في مجلس نوابها وقد أدت هذه السياسات غير المسؤولة والادعاءات غير المرتكزة على حقائق الى ارسال منظمة الامم المتحدة لجنة لتقصي الحقائق عام ١٩٧٠ ، والتي زارت البحرين في نيسان من العام ذاته ، ثم اعلنت في تقريرها الذي اكد على اجماع سكان البحرين على عدم

---

١ ـ الدكتور سيد نوفل ، الاوضاع السياسية لأمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة ، الكتاب الاول ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ١١٨ ، العقاد ، التيارات ، ص ٢٦٦ .

الانضمام الى ايران والرغبة في اعلان الاستقلال ، وبذا اصبح الباب مفتوحاً امام شيخ البحرين ليعلن رسمياً استقلال بلاده في ١٤ آب عام ١٩٧١[١] .

في خاتمة البحث اود الاشارة الى حقيقة مؤداها انه على الرغم من كل الضغوط والجهود السياسية والعسكرية والاقتصادية التي لجأ اليها ومارسها حكام فارس المتعاقبون على السلطة وعبر مراحل التاريخ الحديث ، في محاولاتهم الدؤوبة جعل الخليج العربي بشواطئه الشرقية والغربية مناطق نفوذ تابعة لهم قد كان نصيبها الفشل بسبب افتقادها للحقوق الشرعية التي تجيز لهؤلاء المطالبة والسيادة على تلك الامارات العربية ، الى جانب اعتزاز القبائل العربية بأصالتها القومية وبأرثها الحضاري ذات الثقل القومي والانساني المعروف ، والذي عبرت عنه تلك القوى والتجمعات القبلية بأكثر من مناسبة في مقاومتها للسياسة التوسعية الفارسية والذي يرجوه الباحث من القارئ الكريم ان يكون قد وفق في اعطاء صورة عن ابرز سمات وتوجهات تلك السياسة التي عانى منها سكان الخليج العربي عموماً واهالي البحرين موضوع البحث الكثير .

---

١ ـ العقاد ، السياسة الايرانية والاستعمار الجديد ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة ، مؤسسة الاهرام ، العدد ٤ ، السنة ٢ ، ١٩٦٦ ، ص ٤٣ ؛ المؤلف نفسه ، التيارات ، ص ٢٧٩ ؛ سيد نوفل ، المصدر السابق ، ص ١١٩ .

الفصل الرابع

الأصول التاريخية لآل خليفة
في البحرين

المقدمة

بات من الضروري للمؤرخين العرب ان يتناولوا في دراساتهم العلمية القبائل العربية وأصولها التأريخية لما في ذلك من فائدة قيمة في أعطاء القارئ الكريم صورة بسيطة عن الخلفية التأريخية لتلك القبائل وتوضيح مرجعيتها الى الجزيرة العربية موطن العرب والاسلام وبهدف الالمام بحياة تلك التجمعات وبيان دورها في احداث الخليج العربي ، فقد ركزت اغلب الدراسات التأريخية الأجنبية التي اهتمت بتاريخ المنطقة عموماً على توضيح ما جرى فيها من احداث مهمة ، وكأنها محصلة لصراع بين القوى الاجنبية الأوربية فيما بينها كالبرتغالية والهولندية والفرنسية والبريطانية والتي تعاقبت على شواطئ الخليج العربي الشرقية والغربية وهي تروم فرض سيطرتها على الامارات العربية هناك ، فيما تغافلت الدور الفعال الذي ادته القبائل العربية كالعتوب وكعب والقواسم وغيرهم في رسم طبيعة تلك الاحداث ومجرياتها .

برز آل خليفة كأحد اطراف العتوب على مسرح الاحداث السياسية شمال الخليج العربي منذ بداية القرن الثامن عشر بعد استقرارهم في الكويت ، واشتهارهم في ميدان التجارة الذين جادوا في مضماره فعرفتهم اسواق الخليج العربي ومياهه تجاراً وبحارة ماهرين ، اشتهروا في تجارة اللؤلؤ الذي كانت مغاصاته منتشرة على سواحل جزر البحرين ، الى جانب نجاحهم في تجميع ثروات هائلة حصلوا عليها عن طريق الارباح التي كانت تدر عليهم من تلك النشاطات الاقتصادية ، وسنحاول في هذا البحث المتواضع تسليط الضوء على الخلفية التأريخية لوجود آل خليفة في البحرين ، من

خلال عرض وتتبع مجمل فعالياتهم السياسية والتجارية التي مارسوها منذ تركهم أرض نجد في وسط الجزيرة العربية مروراً بقطر التي سكنوها مؤقتاً حتى نجاحهم في دخول البحرين وتخليصها من السيطرة الاجنبية في الربع الاخير من القرن الثامن عشر ، فيما حقق عتوب البحرين نجاحاً في توثيق علاقاتهم مع اخوتهم الجلاهمة وعتوب الكويت فضلاً عن حلفائهم من القبائل العربة الاخرى في مواجهة القوى المحلية والاجنبية الطامعة في المنطقة ، الامر الذي اسهم في زيادة امكاناتهم وقدراتهم وهم يرومون عبر سنوات طويلة من الترحال الى اقامة كيان سياسي لهم ، والذي تحقق بالفعل عام ١٧٨٣ بعد خوضهم للمعركة الفاصلة على اعدائهم ودخولهم البحرين فاتحين في ذات العام ليبدأ التاريخ الحقيقي لهذه الامارة العربية في شمال الخليج العربي .

هجرة آل خليفة من نجد

يرجع آل خليفة في نسبهم الى قبائل العتوب التي تنحدر الى بنو جميلة وهم من عنزة التي كانت منازلها في اواسط نجد ، وترجع الى بني اسد احد فروع ربيعة التي كانت تسكن بين اليمامة والبحرين الى العراق[١] ، حيث كان الشيخ خليفة يسكن مع قومه في ارض (الهدار) وهي منطقة صغيرة من مقاطعة الأفلاج من ارض نجد الواقعة في قلب الجزيرة العربية وكانت له كلمة نافذة بين قومه وبني عتبة[٢] .

لا يمكننا ان نحدد بالضبط تاريخاً لهجرة آل خليفة واخوتهم من آل الصباح والجلاهمة واغلب الظن انها تمت في العقد التاسع من القرن السابع

---

١ ـ لمزيد من التفاصيل انظر محمد بن خليفة النبهاني ، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ، القاهرة ، ١٣٤٢هـ /١٩٢٤م ، ص ١١٦ .

٢ ـ خضير نعمان العبيدي ، البحرين من امارات الخليج العربي ، بغداد ، ١٩٦٩ ، ص ٣١ .

عشر ، أي مابين اعوام (١٦٧١-١٦٨٠) ميلادية[١] ، ويمكن القول ان عام ١٦٧١ هو بداية لهذه الهجرة لأنها تمت في زمن حكم براك بن عريعر زعيم بني خالد للاحساء الذي شهد فتح القطيف في العام ذاته ، اذ ان المصادر التأريخية تشير الى اشتراك قبيلة العتوب ومنهم آل خليفة في هذا الفتح ، لاسيما وان هناك واقعة مادية تعزز لنا هذه المشاركة وهي ان الأمير براك منح العتوب مكافأة لهم على مساعدتهم له في هذا الفتح نخلاً في القطيف ، وهو النخل الذي اوقفه الشيخ خليفة بن محمد آل خليفة (الجد الاكبر لآل خليفة) على المسجد الذي بناه عند وصولهم الى الكويت[٢] .

ولا شك ان هناك اسبابا قد تضافرت بعضها مع بعض فأدت الى هجرة آل خليفة ومن معهم من العتوب من منطقة نجد ، وعلى ما يبدو فان قلب الجزيرة العربية مرت بسنوات جدب خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر واوائل القرن الثامن عشر هلك على اثرها عدد كبير من الناس والدواب ، وقد دعى ذلك الجدب الكثير من القبائل على الهجرة ، ومن المحتمل ان العتوب قد هاجروا الى شرقي الجزيرة العربية كنتيجة لذلك الجدب[٣] ، فيما تردد رأي يقول لكنه غير مسند من المصادر التأريخية في الحقبة ذاتها برغبة آل خليفة واخوانهم آل الصباح والجلاهمة في اقامة كيان مستقل لهم على

---

١ ـ عبد الله بن خالد آل خليفة ود . علي ابا حسين ، من تاريخ العتوب في القرن الثامن عشر ، مجلة الوثيقة ، العدد ٤ ، السنة ٢، البحرين ، ربيع الأخر ١٤٠٤هـ / يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤ م ، ص ١٢ .

٢ ـ د . ميمونة خليفة الصباح ، نشأة الكويت وتطورها في القرن الثامن عشر ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد ٤٦ ، السنة ١٢ ، جامعة الكويت ، ابريل (نيسان) ١٩٨٦م/رجب ١٤٠٦هـ ، ص ١٥ .

٣ ـ أحمد مصطفى ابو حاكمة ، محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة ، القاهرة ،١٩٦٧ ، ص ص ٦٥-٦٦ .

سواحل الخليج العربي ، وعلى ذلك فحينما ابدى الشيخ خليفة في احد الايام رأياً بالهجرة من هذه الاماكن وافق الجميع على اقتراحه[1] ، على اننا نميل الى ترجيح الاسباب الاقتصادية الكامنة وراء هجرتهم خاصة بعد ان توطدت علاقة آل خليفة بالبحر الذي اصبحوا يعتمدون عليه كمورد اساسي لرزقهم ونمط معيشتهم[2] .

من جانب اخر اسهمت احداث سياسية شهدتها منطقة شرقي الجزيرة العربية في اندفاع آل خليفة واخوتهم من العتوب صوب سواحل الخليج العربي الغنية بمغاصات اللؤلؤ ومصائد السمك ، فقد اتاح خروج البرتغاليين من مياه الخليج العربي الفرصة امام بعض التجمعات القبلية للهجرة من مواطنها في شبه الجزيرة العربية متجهة نحو الساحل الغربي من الخليج العربي ، خاصة اذا علمنا ان سنة الحياة القبلية قوامها الترحال وراء الرزق من خصب وزراعة وتجارة ، وقد اندفعت بعض القبائل نحو سواحل الخليج العربي طلباً للخيرات كاللؤلؤ والاسماك وما تجلبه السفن من تجارة تأتيها من المناطق المختلفة ، وهكذا اصبحت بلاد نجد في ضائقة اقتصادية بسبب القحط ونشبت الحروب بين القبائل للتنازع على البقاء لقلة خيرات البلاد نتيجة لتعرضها للكوارث الطبيعية المتتالية[3] .

اتجه المهاجرون اولاً الى وادي الباطن الذي كان بمثابة مراع خصبة وكانوا على علم به ثم مروا بوادي الدواسر وحتى توقفوا في قطر ، وكانت تحركاتهم على شكل هجرات صغيرة متتابعة وهو ما سهل لهم تحقيق غايتهم اذ لو كان

---

١ ـ خضير العبيدي ، المصدر السابق ، ص ٣١ .

٢ ـ نورية محمد الصالح ، علاقات الكويت السياسية بشرقي الجزيرة العربية والعراق العثماني ١٨٦٦-١٩٠٢ ، الكويت ، ١٩٧٧ ، ص ٤٨ .

٣ ـ علي أبا حسين ، دراسة في تاريخ العتوب ،مجلة الوثيقة ، العدد ١ ، السنة ١ ، البحرين ، رمضان ١٤٠٢هـ / يوليو (تموز) ١٩٨٢ م ، ص ٩٠ .

وصولهم في شكل هجرة كبيرة لكان الامر اشبه بغزوة كانت بلا شك ستدفع بني خالد حكام المنطقة لمنعها ومقاومتها[1] ، وفي قطر استقر آل خليفة ومعهم عتوب الكويت والزبارة في قرية فريحة قرب الزبارة وهي ميناء يقابل جزر البحرين ، وكانت قطر آنئذ تحت امرة آل مسلم وهم من بني خالد ويستمدون سلطانهم من آل عريعر ولما كان آل خليفة واخوتهم من العتوب يمتلكون الخبرة الملاحية في استخدام السفن ويتعاملون بالتجارة لذلك فان ارتباط آل خليفة في البحرين كان ارتباطاً جذرياً لان الاسواق والمراكز التجارية وبيع اللؤلؤ كانت في البحرين فلا غرو اذا ما رأيناهم خلال هذه الفترة يتنقلون بين البحرين وقطر لانه لم تكن هناك وقتئذ حواجز تمنعهم كالجوازات والاقامة والجمارك بل كان التنقل ميسورا بين البلدين[2] ، ومكثت تلك الجماعات في قطر مدة من الزمن مكنتهم هذه المدة ان يتعاملوا مع بيئتهم الجديدة ويروضوا انفسهم على ركوب البحر والغوص على اللؤلؤ ومشاركة غيرهم من سكان الخليج العربي في عمل النقل البحري والغوص ونافسوهم على ذلك مما اثار حسد الاخرين من القوى المجاورة لهم[3] . إلا ان جماعات العتوب الثلاث سرعان ما اضطرت لمغادرة قطر على متن سفنها البحرية لأسباب تتعلق بمنافسة القوى المحلية لها والذي تبلور بوقوع نزاع مع سكانها[4] ، متجهة الى الشمال ربما نحو بعض المناطق الواقعة على الشاطئ الشرقي للخليج العربي مثل جزيرة قيس وعبادان[5] ، وتشير مصادر تاريخية

---

١ ـ رندة المصري قطينة ، الكويت دراسة تحليلية لقيام الدولة ، مجلة الوثيقة ، العدد ١ ، السنة ١ ، رمضان ١٤٠٢هـ / يوليو (تموز) ١٩٨٢ م ، ص ١٨٤ .

٢ ـ أبا حسين ، المصدر السابق ، ص ص ٩٤ ـ ٩٥ .

٣ ـ آل خليفة ، المصدر السابق ، ص ١٢ .

٤ ـ محمود بهجت سنان ، الكويت زهرة الخليج العربي ، بيروت ، ١٩٥٦ ، ص ٢٣ .

٥ ـ انظر د . بدر الدين عباس الخصوصي ، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث

الى استقرار الاخيرين بعض الوقت في ام قصر الواقعة على بعد (٣٥)كم جنوب البصرة ، غير انهم سرعان ما غادروها الى الصبية الواقعة شمال شرق الكويت والتي لم يمكثوا فيها هي الاخرى بسبب ضغوط السلطات العثمانية المتواجدة في المنطقة وذلك لحدوث اعتداءات على بعض القوافل المارة هناك ، وخشية قيام الاضطرابات هناك خاصة بعد ورود معلومات الى والي البصرة العثماني تفيد باعتزام قبائل الظفير ذات النفوذ في المنطقة بشن هجمات على العتوب[١] ، وعندئذ انتقلت الاسر العتبية ومن رافقها حتى استقرت في الكويت حوالي عام ١٧١٦ ، حيث رحب بهم بنو خالد ووافقوا على بقائهم هناك[٢] .

مقابل ذلك كان لأوضاع القوى المؤثرة والضاغطة على احداث الخليج العربي انعكاساتها المعروفة بالمساعدة على استقرار ونمو نفوذ آل خليفة واخوتهم الاخرين وباقي حلفائهم في مستقرهم الجديد ، لعل ابرزها تصاعد قوة الوهابيين في وسط الجزيرة العربية واحتدام صراعهم مع بني خالد حكام المنطقة ، الامر الذي اضعف من قوة الاخيرين نتيجة للهجمات المتكررة التي كانت تشن على اراضيهم منطلقة من الجزيرة العربية ، اضافة الى الخلافات الاسرية بين بني خالد انفسهم ، الى جانب حالة الفوضى والاضطرابات التي اجتاحت بلاد فارس وافتقارها الى سلطة مركزية موحدة تقبض على زمام الامور ، وكذلك عجز السلطات العثمانية عن ممارسة سلطتها على القوى القبلية وضعف حكامها ، كل هذه الاوضاع قد مهدت السبيل الى ظهور

والمعاصر ، جـ ١ ، ١٩٧٨ ، ص ١٠٠ .

١ ـ الصباح ، المصدر السابق ، ص ١٧ ، قطينة ، المصدر السابق ، ص ١٨٤ .

٢ ـ الخصوصي ، المصدر السابق ، ص ١٠١ .

تجمعات صغيرة استطاعت ان تبني نفسها متحررة من أي تدخل خارجي[1] .

ولأجل ان ينظم اطراف العتوب الثلاث اوضاعهم ولمواجهة متطلبات حياتهم الجديدة ، قررت الاسر المذكورة تقسيم الاعمال وشؤون الادارة وتوزيع الارباح فيما بينها بالتساوي ، وبموجب ذلك تولى آل خليفة الاشراف على التجارة وآل الصباح انيطت بهم وظيفة الحكم اما الجلاهمة فقد اسندت اليهم امور الملاحة[2] الامر الذي هيأ الارضية المناسبة لتلك الجماعات كي تتحرك باتجاه مد جسور التعاون واقامة علاقات طيبة مع القوى القبلية المجاورة ، وصولاً الى تثبيت نفوذهم السياسي والعمل على نمو تجارتهم وزيادة امكاناتهم الاقتصادية ، والعمل بالتالي على التخلص من التبعية السياسية لبني خالد حكام المنطقة .

انتقال آل خليفة الى الزبارة

تعددت اسباب هجرة آل خليفة من الكويت الى الزبارة والتي تمت في الغالب حوالي عام ١٧٦٢ بعد ان ظل حلف العتوب قائماً قرابة الخمسين عاماً بين آل خليفة وآل الصباح والجلاهمة ، فأرجعها بعضهم الى ازدياد الثروة التي نتجت عن الانتعاش الاقتصادي الذي شهدته الكويت بالحقبة المذكورة وهو ما جعل آل خليفة الذين يعملون بالتجارة يقررون الانفصال من ذلك التحالف ، اذ قد يكون بأمكانهم التمتع بثرواتهم وزيادتها بأنفسهم ، لذلك اخذ الشيخ خليفة بن محمد وهو زعيم آل خليفة على عاتقه بتنفيذ هذه

---

١ ـ قطينة ، المصدر السابق ، ص ١٨٧ .

٢ ـ Thomas Haghes; ed; Selections From the Records Bombay Government, Historical and Other 1 Information Connected with the Province of Oman, Muscat, Bahrain, and Other places in the persian Arabian Gulf (New Series. No. XX IV) Bombay, 1850, p. 362.

المهمة وقرر الهجرة وقبيلته الى الزبارة مع من يرغب بالألتحاق بهم بعد ان لاقى تأييداً من افراد اسرته[1] . اما الرواية التي تناقلها كبار آل خليفة فتذكر ان اهم الاسباب التي دفعت هؤلاء على الانتقال من الكويت فتمثلت في ان ابناء الشيخ محمد بن خليفة ذهبوا الى الدورق (الفلاحية) لجلب التمر للكويت ، فهاجمهم وهم في وسط النهر بعض قطاع الطرق من بني كعب فقتلوا واحداً من المهاجمين وفر الاخرون ، فأتت كعب الى الشيخ عبد الله بن صباح شيخ الكويت تطالب بدم قتيلها ، فطلب الشيخ عبد الله من الشيخ محمد بن خليفة الذي ترأس القبيلة بعد وفاة الشيخ خليفة بن محمد في الكويت ان يسلم له ابناءه ليمشي بهم على كعب في الصلح ، فأبى الاخير ذلك وقال : «ان بني كعب اعتدت على ابنائي الذين دافعوا عن انفسهم فقتلوا واحداً منهم فاذا هم يريدون الدية فأنا مستعد ان ادفع لهم بدل الدية ديات فاشتد الخلاف بينهما ، مما ادى ان يهاجر الشيخ محمد بن خليفة وابناؤه من الكويت»[2] ، وعلى العموم فان عوامل كثيرة تضافرت مع بعضها فأدت الى هجرة آل خليفة ومن تبعهم الى الزبارة في منتصف عقد الستينات من القرن الثامن عشر .

سلك آل خليفة وهم في طريقهم الى قطر كما هو مرجح طريق البحر لمعرفتهم به منذ ان كانوا يشاركون في عمليات الغوص على اللؤلؤ بارسال سفنهم الى شواطئ الخليج العربي القريبة من البحرين وقطر ، كما تكونت لهم خبرة في الملاحة التجارية وذلك بحكم مزاولتهم لهذه الحرفة مع مدن وموانئ المنطقة ، وعلى هذا النحو واصل آل خليفة مسيرتهم عبر سواحل

---

١ ـ لمزيد من التفاصيل انظر محمود بهجت سنان ، البحرين درة الخليج العربي ، بغداد ، ص ١٢١ .

٢ ـ آل خليفة ، المصدر السابق ، ص ١٧ .

الخليج العربي ، وهناك اشارات الى توقفهم في البحرين التي كانوا ينوون الاقامة بها ، غير ان حكامها من آل مذكور لم يسمحوا لهم بذلك فغادروها الى قطر واستقروا في منطقة الزبارة المواجهة لجزر البحرين ، والتي اخذوا منها يزاولون نشاطهم البحري ويمارسون عمليات التبادل التجاري مع المناطق المجاورة ، وكان آل خليفة قد خبروا هذه المدينة لكثرة ترددهم عليها لمتاجرة اللؤلؤ في مواسم الغوص لسوقها الرائجة ، فكان الشيخ محمد آل خليفة يأتيها زائراً لشراء اللؤلؤ من اسواقها وقد احبه الناس لورعه وكرمه وحسن معاملته ورغبوا اليه ان يقيم بينهم ويتولى شؤونهم ، لذلك فأن قرار آل خليفة بالاستقرار في الزبارة لم يتخذ اعتباطاً فقد كان آل خليفة يعرفون هذه المنطقة بما فيها قطر الغنية بمصائد اللؤلؤ ، والتي سبق وان زاروها قبل اقامتهم في الكويت وذلك بحكم ما كان لهم من خبرة ونشاط تجاري فيما بين البحرين وقطر والاحساء عبر الطريقين البحري والبري[1] ، ومما يعزز ذلك ما اوردته الوثائق الهولندية في تلك الحقبة بالاشارة الى قوتهم البحرية وامتلاكهم أعدادا من سفن صيد اللؤلؤ ، فضلاً عن احتفاظهم بعلاقات طيبة مع العثمانيين والقوى الاوربية في شمال منطقة الخليج العربي[2] .

ونظراً لما يمتلكه الشيخ خليفة بن محمد الذي تولى الامارة بعد وفاة والده الشيخ محمد بن خليفة من مواهب سياسية وتجارية ، فقد اتخذ عدة اجراءات بعد نزوله الزبارة عام ١٧٦٦ استهدف بها تقوية نفوذه وتوطيد صلاته مع القوى القبلية فتمكن من خلال علاقاته الطيبة مع رؤوساء القبائل

---

١ ـ الصالح ، المصدر السابق ، ص ٤٨ ؛ سنان ، البحرين ، ص ص ١٢٠-١٢١ .

٢ ـ ب .ج . سلوت ، عرب الخليج في ضوء مصادر شركة الهند الشرقية الهولندية ١٦٠٢ ، ١٧٨٤ ، ترجمة عايدة خوري ، ابو ظبي ،١٩٩٣ ، ص ٣٤ .

العربية ومع اتباعه من جلب الجزء المتبقي من قبيلته الى الزبارة[1] ، وبعد ان نزل الشيخ خليفة الزبارة عند قبيلة آل بنعلي وتزوج منهم ، وبعد مصاهرته لتلك القبيلة قويت صلاته ونفوذه لدى القبائل الاخرى وعزز ذلك سيرته الحسنة بين الناس ، وفي الزبارة شيد لنفسه بيتاً محصناً يعرف بقلعة مرير ، وفي البداية اعترف بسلطة آل مسلم باعتبارهم نواباً لبني خالد في قطر وكان يدفع لهم الخراج كأية قبيلة اخرى تقطن في شبه جزيرة قطر ، ولكن بعد ان نمت ثروة آل خليفة وازداد نفوذهم امتنعوا عن دفع الخراج وتحصن الشيخ خليفة بالقلعة التي بناها ، والتي كانت اساساً لنفوذ آل خليفة في الزبارة كما انها اتخذت نقطة وثوب على البحرين[2] .

ساعدت عوامل اخرى في ازدهار الزبارة فعلى الصعيد السياسي ادى هجوم الفرس في عهد كريم خان الزندي على البصرة ومحاصرتها حوالي سنة ونصف (١٧٧٥-١٧٧٦) الى هجرة العديد من تجار الاخيرة الى الزبارة ، اضافة الى تركيز جزء كبير من تجارة اللؤلؤ وتجارة الهند فيها خلال السنوات المذكورة[3] ، خاصة وان البصرة حينذاك كانت مركزاً تجارياً وفيها حركة اقتصادية نشيطة ، كما ان الرفاه الاقتصادي ادى الى التقدم في العلوم والعمران فيها فلما انتقل بعض التجار بخبرتهم واموالم الى الزبارة انتعشت المدينة ، ثم ان تحول طائفة من فحول العلماء والادباء والشعراء اليها ساعد على التقدم العلمي ، فضلاً عن ضعف بني خالد بسبب الخلافات الاسرية بين آل عريعر حكام الاحساء الى جانب ظهور الحركة السلفية في نجد ، وكلها

---

١ ـ Haghes; op. cit, p. 363

٢ ـ د . جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي دراسة لتأريخ الامارات العربية في عصر التوسع الاوربي الاول ١٥٠٧-١٨٤٠ ، القاهرة ،١٩٨٥ ،ص ١٧٢ .

٣ ـ Haghes; op. cit, p. 363

امور شكلت عوامل ضغط دفعت ببعض سكان الاحساء ونجد الى الرحيل عنها وسكن الزبارة والكويت[1] .

وعلى الجانب الاقتصادي ساعد نزول آل خليفة ومن والاهم للزبارة على نمو الثروة لسكناهم بالقرب من المصدر الاساسي لثروة الخليج العربي وهو اللؤلؤ وتمتعت الزبارة بنوع من حرية التجارة فأن عدم فرض ضرائب على السلع التجارية فيها شجع التجار على الدخول اليها بتجارتهم ، فاصبحت وقتئذ منطقة جذب اذ ترد اليها البضائع للاستهلاك ثم يصدر الفائض منها الى نجد والاحساء وغيرها ، كما ان ازدهار الزبارة ادى الى جذب كثير من تجارة البحرين التي كانت وقتئذ تحت حكم آل مذكور[2] خاصة اذا علمنا ان الزبارة تشتهر حينئذ بتجارة اللؤلؤ فهي قريبة من المصائد الغنية بصيده ، كل ذلك مما هيأ للأخيرة ان تتبوأ مكانتها في التجارة والملاحة فدرت عليها الخيرات من كل مكان[3] ، فضلاً عن ذلك فقد جاء بالمصادر التأريخية بان آل خليفة كانوا يقرضون المال الى الغواصين في بداية الموسم ، وكان عليهم مقابل ذلك ان لا يبيعوا محصولهم لغيرهم حسب التقاليد المحلية السائدة انذاك وشكل هذا مصدراً لتنمية ثروتهم ، الى جانب ان الزبارة اصبحت سوقاً مركزاً تجارياً ترد اليها البضائع وتوزع على المناطق المجاورة منها[4] .

لم يرق للشيخ نصر آل مذكور حاكم بوشهر والبحرين ذلك الازدهار الاقتصادي الذي تمتعت به الزبارة ، مما اثار مخاوف ذلك الشيخ الذي بدا غير

---

١ ـ انظر آل خليفة ، المصدر السابق ، ص ١٩ .

٢ ـ آل مذكور : وهم من عرب المطاريش يرجعون في اصولهم الى قبيلة صعب العمانية ، وعاصر وصولهم الى حكم البحرين هجرة آل خليفة الى الزبارة عام ١٧٦٦ .

٣ ـ آل خليفة ، المصدر السابق ، ص ٢٠ .

٤ ـ سنان ، البحرين ، ص ١٢٢ .

راض عما حققه آل خليفة من انجازات في الزبارة ، وبات غزو الاخيرة من أهم الاهداف التي سعى اليها ذلك الحاكم خاصة بعد ان كثرت المناوشات التي وقعت بين بوشهر والمناطق الخاضعة لنفوذ آل خليفة في مياه الخليج العربي[١] ، وقد لقي الشيخ نصر تشجيعاً من علي مراد خان حاكم اصفهان الذي حرضه على ما يبدو بأن يقوم بمهاجمة الزبارة ومحاصرتها تحقيقاً للأطماع الفارسية المعروفة .

وتأسيساً على الحقائق التي أوردناها فقد نبهت المناوشات التي وقعت بين آل خليفة في الزبارة وبين آل مذكور حكام بوشهر والبحرين في مياه الخليج العربي ، آل خليفة الى الخطر الذي صار يحدق بهم من البحرين ، لذلك ما كادت تتردى اوضاع الاقاليم الفارسية جراء الاضطرابات التي وقعت فيها بعد اغتيال كريم خان الزندي عام ١٧٧٩ حتى انقضوا على البحرين ، وبعد صدام مسلح تمكن آل خليفة من العودة الى قاعدتهم في الزبارة بعد استيلائهم على الكثير من الاسلاب وكان من بينها احدى السفن التابعة لشيخ نصر[٢] ، اما المصادر البريطانية فأرجعت اسباب تلك الغزوة الى وقوع حادثة عام ١٧٨٢ ادت الى مقتل احد افراد آل خليفة في سترة الواقعة على الساحل الشرقي للبحرين ، وهو ما دفع حكام الزبارة الى تجهيز حملة عسكرية على المنامة ، واستنجد آل مذكور الذين دب فيهم الفزع بحاكم المنطقة الجنوبية لفارس الذي اوعز بدوره للشيخ نصر بتجهيز حملة لاحتلال الزبارة[٣] .

---

١ ـ Nyrop. Richard; Area Hand Book For the Gulf states, Washington, January 3, 1977, p. 26

٢ ـ قاسم ، المصدر السابق ، ص ٤١٩ .

٣ ـ جون ب . كيلي ، بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠ ، جـ١ ، ترجمة محمد امين عبد الله ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، ص ٤٨ .

رد الشيخ نصر حاكم بوشهر والبحرين وتنفيذاً لأوامر الحاكم الفارسي على الغزوة البحرينية بأعداد حملة قوية ضد آل خليفة في الزبارة مستعيناً بحكام بندريق وجناية وشـــتان وسواها ، وكان قوام هذه الحملة ألفي رجل وقيل اربعة ألاف بقيادة محمد ابن اخي الشيخ نصر ، واستطاعت القوات المهاجمة محاصرة الزبارة لمدة نحو شهر في اواخر عام ١٧٨٢ ، وقد توسط (ميرغني) من بندريق بين آل مذكور وآل خليفة حقناً للدماء ، ولكن الشيخ نصر قدم شروطاً قاسية للصلح فلم تنجح الوساطة ، فحل محله الشيخ راشد بن الشيخ رحمة القاسمي شيخ رأس الخيمة وحاول تسوية النزاع بين الطرفين بصورة سلمية ولكن محاولاته باءت بالفشل ، وكان الشيخ عبد الله بن خليفة بن محمد آل خليفة يمثل الزبارة في المفاوضات وقد وافق على شروط الصلح ، الا ان الشيخ نصر ومن يمثله رفضوا تلك الشروط وطلب استسلام الزبارة بدون قيد او شرط واشترط له الحق في التحكم برقاب اهلها ، خاصة بعد ان استطاع الشيخ نصر ان يستميل اليه بعض القوى العربية ضد آل خليفة ومن بينها الشيخ راشد زعيم القواسم الذي حول موقفه تجاه آل خليفة واتجه به الى موقف معادي ، فلما لم تجد المفاوضات نفعاً مع الشيخ نصر طلب الشيخ عبد الله بن خليفة منه ان ينزل قواته واخبره بان حصاره للزبارة غير مجد مادامت القوافل وهي تحمل الغذاء تأتي باستمرار من الصحراء الى المدينة كما انه استفز خصمه بقوله انه من العار عليه وهو يمثل دولة العجم ان يبقى محاصراً للزبارة دون ان ينزل للحرب فاجابه شيخ آل مذكور انه يخشى ان يهرب اهل الزبارة عندما تنزل قواته ، ولكن الشيخ عبد الله وعده بالصمود والحرب حتى النصر والشهادة ، فانزل الشيخ نصر قواته بين الزبارة وفريحة في وقت صلاة الجمعة ، وقد اتخذ هذا الوقت لأنشغال الناس بأداء الصلاة فيفاجئهم وهم في المساجد دون ان يعلم ان اجتماعهم هذا ادى الى قوتهم ،

كما ان المصلين في فريحة توجهوا بسيوفهم لنجدة اخوانهم بالزبارة وكانت امراة قد انتدبتهم واستنجدت بهم ضد قوات بوشهر ، وحدثت المعركة بين الجانبين يوم الجمعة في شهر كانون الاول عام ١٧٨٢ ، اذ فوجئت القوات الغازية بهجوم قوي شن ضدها وفور نزولها وبعد قتال عنيف اجبرت قوات بوشهر على الانسحاب ، وقتل الشيخ محمد ابن اخي الشيخ نصر كما قتل ابن اخي الشيخ راشد وبعض الرجال البارزين من جماعة شيخ هرمز ، فرفع ذلك الانتصار من معنويات آل خليفة ومن معهم من القبائل وشجعهم على ضرورة تخليص البحرين من الاحتلال الاجنبي[١] .

آل خليفة واسترداد البحرين عام ١٧٨٣

ادت معركة الزبارة الى التعجيل باسترداد البحرين من حكم آل مذكور على يد آل خليفة وحلفائهم من القبائل القطرية التي انضمت اليهم في تلك المعركة كآل مسلم الفويرط ، آل بنو علي ، وآل سودان ، وآل سليط ، الكبيسات الى جانب آل الصباح والجلاهمة المتحالفين معهم ، اذ بعد هزيمة الشيخ نصر وجنوده وفراره الى بوشهر ومحاولاته الفاشلة بتجميع قوة يسترد بها هيبته في منطقة الخليج العربي ، ووصول تلك الاخبار الى الشيخ احمد بن محمد آل خليفة - الذي تولى الامارة بعد وفاة اخيه الشيخ خليفة عندما كان يؤدي فريضة الحج في مكة المكرمة - في الزبارة والمتضمنة ضعف حامية حاكم بوشهر المتواجدة في البحرين واضطراب الامن فيها وانشقاق اهلها على انفسهم ووجود بعض الموالين له واعوانهم من العتوب في البحرين ، قرر الشيخ احمد مهاجمة البحرين واخذ يستعد لفتحها بعد ان

---

١ ـ انظر آل خليفة ، المصدر السابق ، ص ص ٢٢- ٢٣ ، قاسم ،المصدر السابق ، ص ٤١٩ .

اطمأن انه ليس للشيخ نصر القوة اللازمة لحمايتها او استردادها[١] .

استثمر آل خليفة وحلفاؤهم الآخرون النصر الذي حققوه في الزبارة وانتشوا بنجاحهم الكبير ولم يثنيهم عن تعقب القوات المتقهقرة الى البحرين ، بعد ان وقع في ايديهم مركب تابع الى بوشهر يحمل رسالة موجهة الى ابن الشيخ نصر في البحرين يبلغه فيها بهزيمة قوات بوشهر وموعزاً اليه ان يتخذ كل الاستعدادات الممكنة للدفاع عن جزر البحرين ، ويبدو ان هذه الرسالة قد انطوت على اشارة بضعف جيوش آل مذكور وعدم قدرتها بالتالي على الوقوف امام هجمات عرب الزبارة بقيادة آل خليفة ، فقام الاخيرون وحلفائهم بهجوم كبير على البحرين واستطاعوا احتلال القلاع الرئيسة هناك والمتمثلة بقلعتي المحرب والمنامة ، واجبرت الحامية الفارسية هناك على الاستسلام للقوات المهاجمة في ٢٨ تموز عام ١٧٨٣ وسمح لافرادها بالعودة الى بوشهر ، وبذلك حقق آل خليفة نصرهم الكبير في استرداد البحرين من الحكم الاجنبي وانهاء تسلط حاكم بوشهر عليها[٢] .

وعلى الرغم من هزيمة حكام بوشهر واندحار قواتهم فقد عاود آل مذكور محاولاتهم لاسترجاع البحرين الى نفوذهم ، اذ اوردت المصادر التاريخية تقدم الشيخ نصر على رأس قوة عن طريق البر الى كونجون وقد دعمتها سفن بوشهر وبندريق التي ابحرت باتجاه ذلك المكان ، اذ كان سينضم اليها شيوخ هرمز وراس الخيمة وقوة صغيرة قادمة من شيراز الفارسية ، غير ان وفاة علي مراد خان حاكم شيراز افشل المحاولة والتي كانت تهدد آل خليفة في البحرين[٣] .

---

١ ـ آل خليفة ، المصدر السابق ،ص ٢٥ .

٢ ـ Johns , Hopkins ; The Gulf States , London, 1981 , p. 34

٣ ـ تمام همام تمام ، خلفية البحرين التاريخية قبيل وجود محمد علي في الخليج العربي ، مجلة الوثيقة ، العدد ٩ ،١٩٨٦ ، ص١٨ ؛ ابو حاكمة ،المصدر السابق ، ص١١٦ .

وعلى اية حال فان تخليص البحرين وجعلها تابعة لآل خليفة في الزبارة يرتبط بالشيخ احمد بن خليفة (١٧٨٣ ـ ١٧٩٤) الذي لقب بالفاتح ، وقد تولى مقاليد الامارة بعد وفاة اخيه الاكبر خليفة بن محمد عندما كان الاخير يؤدي فريضة الحج وظل مقيماً في ميناء الزبارة ، وقد ترك الحكم في البحرين لاثنين من اولاده ولم ينتقل مركز حكم آل خليفة الى البحرين الا بعد وفاته حوالي عام ١٧٩٤ ، وتولى الحكم من بعده ابنه الشيخ سلمان بن احمد الذي نقل مقر حكمه وخاصته من بني قومه الى البحرين عام ١٧٩٧ ، ولاسيما بعد وصول القوات السعودية التي انطلقت من شبه الجزيرة العربية الى ساحل الخليج العربي ، ومما يؤكد ذلك ماأورده مؤلف كتاب لمع الشهاب الذي ذكر تفاصيل ماحدث بقوله : «لما شاهدوا (العتوب) محاصرة ابراهيم بن عفيصان لهم ، وانه لايندفع بقوة تامة وهم ليسوا بالمقابلين له خارج السور ، اتفق رايهم بالحمل من الزبارة وبالكلية ، وترك الزبارة على حالها ، ظناً منهم ان دولة بني سعود ماتدوم وانهم سيعودون اليها فركبوا اجمعهم وساروا الى البحرين»[١] ، وبعدها اتفق ابنا الشيخ احمد على استمرار مشاركتهما في الحكم ، وظل هذا التقليد متبعا في البحرين حتى عام ١٨٦٨ أذ تم توحيد السلطة في البحرين ، كما انفصلت الزبارة عن تبعيتها لآل خليفة لتشكل مع بقية مناطق قطر امارة قائمة بذاتها تولى حكمها آل ثاني[٢] .

يمكننا ان نستنتج من ثنايا البحث الحقائق الاتية :

اولاً : ان هجرة جماعات العتوب ومنهم آل خليفة موضوع البحث من نجد صوب سواحل الخليج العربي كانت جزءاً من هجرات قبائل عربية اخرى وقد

---

١ ـ انظر مؤلف مجهول ، كتاب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق د .احمد مصطفى ابو حاكمة ، بيروت ،١٩٦٧ ، ص٧٨ ، قاسم ، الخليج ، ص ٤٢١ .

٢ ـ د .صلاح العقاد ، التيارات السياسية في الخليج العربي ، القاهرة ،١٩٨٢ ، ص٥٦ .

تمت تحت وطأة ظروف مناخية اجتاحت الجزيرة العربية وجعلت ارضها قاحلة، وادى ذلك الجدب بالكثير من القبائل العربية على الهجرة ومنهم آل خليفة واخوتهم عتوب الكويت والجلاهمة .

ثانياً : هناك حقيقة استخلصها البحث ووثقتها احداثه التأريخية التي اوردتها سطوره تشير الى خبرة آل خليفة بالملاحة البحرية وعمليات النقل التجاري قبل وصولهم الى البحرين ، بدليل تميزهم في ميدان الاشراف على التجارة حينما كانوا في حلف العتوب واثناء تواجدهم في الكويت ، وقبلها نشاطهم التجاري الملحوظ في قطر بعد خروجهم من الجزيرة العربية ، وهذه الخبرات المتوارثة هيأت لهم الظروف المناسبة لابراز قدرتهم البحرية والتجارية بعد استقرارهم في الزبارة وتراكم ثرواتهم فيها بشكل اثار انتباه القوى المجاورة لهم .

ثالثاً : يبدو ان تحرير آل خليفة للبحرين عام ١٧٨٣ والقضاء على الوجود الاجنبي فيها كان هدفاً يراود آل خليفة منذ فترة مبكرة من تاريخهم الحديث مطلع القرن الثامن عشر ، بدليل رغبتهم في نزول البحرين بعدما هاجروا قطر متوجهين نحو شمال الخليج العربي ، غير ان حكامها من آل مذكور المتحالفين مع الفرس حالوا بينهم وبين النزول في البحرين ، وهكذا قدر لهم ان يكملوا رحلة طويلة من التجوال عبر مدن وموانئ الخليج العربي الشرقية والغربية برفقة اخوتهم من العتوب ، حتى توجوا مجهوداتهم تلك في دخولهم البحرين عام ١٧٨٣ بعد خوضهم لعدة معارك ناجحة على اعدائهم .

الفصل الخامس

البحرين
في مخطوطات محمد علي باشا
(١٨١٩ - ١٨٤٠)

المقدمة

بعد تمكنه من احكام سيطرته على مصر ونجاحه في القضاء على معارضيه في الحكم من المماليك عام ١٨١١ في مذبحة القلعة ، عمل محمد علي باشا والي مصر العثماني على محاولة النهوض باوضاع مصر واصلاحها لاقامة دولة قوية فيها ، وعلى هذا ابتدأ مشروعه النهضوي العربي باقدامه على اجراء اصلاحات عسكرية واجتماعية واقتصادية داخل البلاد غرضها توفير المستلزمات الاساسية بغية الوصول الى حلمه الكبير بقيام مصر الحديثة المرتكزة على التطور العلمي في شتى مجالات الحياة ، ولتكون النواة المنشودة لأنضمام باقي أجزاء الوطن العربي وفق رؤية محمد علي باشا ، ولاجل تحقيق هذا الغرض كانت حملاته العسكرية التي انطلقت من مصر متوجهة الى بلاد الشام والسودان ومناطق شبه الجزيرة العربية وسواحل الخليج العربي والتي استغرقت معظم النصف الاول من القرن التاسع عشر .

كان لموقع البحرين الجغرافي وكثرة جزرها البحرية في شمال الخليج العربي اهمية استراتيجية فائقة للقوى المحلية والاوربية والتي تجاذبتها جزر البحرين وحظيت بالتالي باهمية خاصة في تطلعاتها للسيطرة على مناطق النفوذ في الخليج العربي ومنذ بداية العصور الحديثة ، الى جانب ما اضفاه عليها هذا الموقع المتميز من اهمية تجارية وسياسية جعل من البحرين منطقة ترنو اليها انظار القوى الاوربية التي وفدت الى المنطقة كالبرتغاليين والهولنديين والفرنسيين ثم البريطانيين وبعد ان نجحت قوات محمد علي باشا في احتلال الدرعية عاصمة الدولة السعودية الثانية عام ١٨٣٨ تنفيذاً لامر من السلطان العثماني ، تحركت نحو سواحل الخليج العربي بقيادة خورشيد باشا والذي

حقق عدة اتصالات مع شيوخ المنطقة ، اذ جرت مفاوضات مصرية ـ بحرينية عام ١٨٣٩ اسفرت عن توقيع اتفاقية بين الجانبين تمخضت عن زيادة النفوذ المصري في البحرين ، مما اثار قلق بريطانيا على مصالحها المتنامية هناك ، والتي لجأت الى سياسة التلويح باستخدام القوة العسكرية لأجبار المصريين وشيخ البحرين على التراجع عن الالتزام بتنفيذ بنود الاتفاقية ، وهدد المقيم البريطاني في الخليج العربي الشيخ عبد الله بن احمد آل خليفة على ضرورة تخليه عن الاتفاقية ، غير ان الاخير ظل مصراً على موقفه القائم على تقوية صلاته مع السلطات المصرية في المنطقة ولم يتزحزح عن موقفه المعلن هذا ، الا ان بريطانيا لم تقف مكتوفة الايدي ازاء تزايد الوجود المصري فأستطاعت ان تؤلب على محمد علي باشا الدول الاوربية الكبرى وتحرضها عليه خاصة بعد تهديد قواته في احتلال استانبول عاصمة الدولة العثمانية واجبرته بالتالي على توقيع معاهدة لندن عام ١٨٤٠ مما اضطره على سحب جنوده من المنطقة واحتفاظه بحكم وراثي داخل مصر .

ممهدات التوسع المصري نحو الخليج العربي

كان التوسع السعودي في منطقة الاحساء ومشيخات الخليج العربي وجنوب العراق ومنطقة الحجاز هو السبب في التوجه العثماني نحو الجزيرة العربية بدءاً من سواحلها على البحر الاحمر حتى سواحلها على الخليج العربي ، وتمثل الهدف العثماني في التخلص من هذه القوة العربية التي كان المأمول ان تسيطر على المنطقة العربية وتتخلصها من الحكم العثماني ، واوكل الباب العالي الى محمد علي باشا (١٨٠٧-١٨٤٠) والي مصر بتحقيق هذه المهمة[١] خاصة بعد فشل والي كل من بغداد ودمشق في وقف

---

١ ـ د . رافت غنيمي الشيخ ، التوجة العثماني نحو الخليج العربي من خلال محمد علي ،

التقدم السعودي ، وبذلك تصاعد الخطر الحقيقي الذي كان يهدد نفوذ الدولة العثمانية في شبه الجزيرة العربية وفي منطقة حساسة كالحجاز التي تضم الاماكن المقدسة باعتبارها حامية الحرمين الشريفين[١] فأوعز السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ ـ ١٨٣٧) الى محمد علي باشا عام ١٨١١ لقيادة حملة عسكرية لاعادة تلك المناطق للحكم العثماني ، اذ لم يكن بمقدور الدولة ان تهيأ جيشاً كبيراً وتحارب السعوديين لاضطراب اوضاعها الداخلية وانشغالها في الحرب مع روسيا[٢] وتوافق ذلك مع طموحات والي مصر في اقامة دولة عربية واسعة تحت زعامته[٣] .

بعد ان استكملت كل الاستعدادات امر محمد علي باشا ابنه احمد طوسون باشا بقيادة الحملة العسكرية التي قدر عدد افرادها بحوالي (١٤) ألف جندي وقد تحركت نحو الجزيرة العربية وتمكنت من احتلال ينبع ثم اتجهت نحو المدينة المنورة وفي وادي الصفراء دارت معركة بالغة العنف في عام ١٨١١ بين الجنود المصريين والقوات السعودية التي كان يقودها عبد الله بن سعود اسفرت عن هزيمة المصريين[٤] ، واجبارهم على العودة بقوتهم المنكسرة الى ينبع ، وقد افاد القائد المصري من عدم ملاحقة السعوديين لجيشه المتقهقر بهدف اعادة تنظيم قواته ، فيما اخذ محمد علي باشا يستعد لحملة جديدة ،

مجلة الوثيقة ، العدد ١٦ ، السنة ٨ ، البحرين ، مركز الوثائق التاريخية ، جمادي الثانية ١٤١٠ هـ / يناير (كانون الثاني) ١٩٩٠م ، ص ٦٧ .

١ ـ Randal. Baker; King Husain and The Kingdom of Hejaz, New York, U.S .A. P.2

٢ ـ Halroy_d, A; Agypt and Mohammed Ali Pasha in 1837, London, 1838, P 44.

٣ ـ George. Pentz; Wahhabism and Saudi Arabia, in the _Arabian Peninsula_ Society and Polities_ By Derek Hopwood, London, 1972, P. 61.

٤ ـ Naval Intelligence Division, Western Arabia and Read Sea, Oxford, 1946, P. 267.

ولهذا السبب ارسل مبالغ كبيرة من المال لأبنه من اجل توزيعها على شيوخ القبائل لكسبهم الى جانبه ضد خصومه السعوديين ، ونجحت الخطة في استمالة قبيلة حرب ، وهكذا استطاعت الحملة الثانية من النزول في ينبع بعد قرابة السنة من تمزيق الحملة الاولى وكانت تتألف من خمسة آلاف جندي ثم زحفت مع فلول الحملة القديمة نحو المدينة المنورة والتي دخلتها القوات المصرية في تشرين الثاني عام ١٨١٢ بعد مقاومة بسيطة ابدتها الحامية السعودية[١] .

في هذا الوقت اخذ الشريف غالب بن مساعد (١٧٨٧-١٨١٣) امير مكة يراسل احمد طوسون باشا ويحسن له التقدم الى مكة ويخبره بضعف القوة السعودية المرابطة فيها ، وهو ما اثار القلق لدى عبد الله بن سعود واجبره على سحب قواته من مكة والطلب من قائده عثمان المضايفي ان يسرع للدفاع عن الطائف والتي دخلها بالفعل ، الا ان الاحداث اللاحقة المتمثلة بسقوط مكة بايدي المصريين في كانون الثاني عام ١٨١٣ قد اجبرت المضايفي[٢] على الانسحاب من الطائف التي دخلها القائد المصري واللحاق بالقوات السعودية المتمركزة في الدرعية ، وقد اشار الى ذلك المؤرخ النجدي الذكير بالقول : «ولما ورد سعود الى نجد تقدم الجيش المصري من المدينة المنورة الى مكة المكرمة وذلك بطلب من الشريف غالب ، فلما بلغ عبد الله بن سعود خبر الشريف واستدعائه العساكر المصرية وخيانته لم يأمن على الجند الذي في مكة فسحبه منها ورحل عبد الله من موضعه ونزل البيلا ثم امر عثمان ان يتجهز

---

١ ـ لمزيد من التفاصيل انظر ابو الطيب صديق بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي ١٢٢٨ /١٣٠٧ هـ ١٨٩٠-١٨٣٢ /م ، التاج المكلل من جواهر مأثر الطراز الاخر والاول ، تصحيح وتعليق عبد الكريم شرف الدين ، بمباي ، ١٣٨٣ هـ ١٩٦٣م ، ص ٣٠٧.

٢ ـ تم القاء القبض على عثمان المضايفي وبعث به الى مصر مقيداً بالاغلال .

الى الطائف وضبطها فسار اليها وقد دخل الطائف ولما رحل عنها قافلاً استوحش وخاف على نفسه فخرج منها منهزماً بعياله وحرمه وبعض خيله ثم دخل الجيش المصري مكة بدون ان يلقى اية مقاومة ثم ارسلوا قوة الى الطائف وضبطوها»[1] .

ولأجل ضمان نجاح الحملة المصرية في تحقيق اهدافها المتمثلة في السيطرة على الجزيرة العربية وانهاء النفوذ السعودي فيها ، فقد توجه محمد علي باشا ـ بناء على اوامر مشددة من الباب العالي ـ على رأس جيش كبير قدر عدد افراده بعشرين ألف جندي ليتولى بنفسه الاشراف على العمليات العسكرية ، حتى وصل جدة في ٣١ آب عام ١٨١٣ ، وكان في استقباله ولده احمد طوسون باشا والشريف غالب بن مساعد فدوت المدافع تحية له[2] ، بعدها توجه الى المدينة المنورة وزار قبر النبي محمد (صلى اله عليه وسلم) ثم دخل مكة[3] ، الا انه لم يمكث هناك لكي يتابع النصر الذي احرزه في المرحلة الاولى من الحملة ، فبعد نجاحه في توثيق صلاته مع بعض قبائل المنطقة واتخاذه لاجراءات من شأنها تقوية قبضته هناك ، عاد الى القاهرة في ٢٣ حزيران عام ١٨١٥ لورود اخبار عن اضطراب احوالها وتمرد المماليك فيها ، تاركاً لولده احمد طوسون باشا قيادة العمليات الحربية والذي لم يلبث ان اتفق مع السعوديون على عقد هدنة في ذات الشهر ، واورد ذلك بالتفصيل صاحب كتاب لمع الشهاب بقوله : «ثم ان محمد علي باشا بعد الحج وترتيب بعض الامور التي اراد ضبطها مع بعض القبائل خرج من ارض الحجاز يريد

---

١ ـ انظر مقبل بن عبد العزيز الذكير ، العقد الممتاز في اخبار تهامة والحجاز ، مخطوط في دائرة المخطوطات ، بغداد ، تحت رقم (٤٠٣٥٤) الورقة ٧٤ .

٢ ـ د . السيد رجب حراز ، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب (١٨٤٠-١٩٠٩) القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ١٠٥ .

٣ ـ A. Abir; The Arab Rebellion of Amir Chalib Mecca (1788-1813)) Middle Eastern Studies, VOL. 2. May 1916. P. 189.

مصر بعجلة ، حيث انه سمع بخروج المماليك في مصر وتغلبهم عليها وان مصر مضطربة ، سار من ساعته مع ثمانية آلاف عسكري ، ولما وصل مصر دبر امراً هلك به كثيراً من المخالفين ، ثم انه خلف ابنه طوسون باشا في ارض العرب واكد عليه بحرب آل سعود»[1] .

استغل السعوديون تلك الاوضاع المضطربة ولم يلتزموا بالهدنة التي وقعوها مع القائد المصري ، اذ راحوا يعملون على حشد قواتهم الى جانب تعمدهم في اثارة القبائل على الحكم المصري الذي بسط نفوذه على المدن السعودية ، في وقت ادرك فيه والي مصر عدم قدرة ابنه احمد طوسون باشا على الحاق الهزيمة بعدوه فطلب من الاخير العودة الى مصر وشرع يعبأ حملة جديدة عام ١٨١٥ عهد بقيادتها الى نجله ابراهيم باشا لفتح الدرعية فأستأنفت الحرب في مرحلتها الثانية ومما يعزز ذلك ما اكدته المصادر العثمانية بالقول : «فهم محمد علي ان طوسون باشا ليس له الكفاية ـــ من حيث سنه ووضعه ـ لكي يقضي على هذا الامر ، فعزله وامره بالعودة الى مصر ، واحال قيادة جيش مصر الى نجله ابراهيم باشا ، اذ جاء في المخطوط العثماني (حجاز سيا حتنامه سى الورقة(١٢٤) ما يلي : « . . . وامتثالاً لهذا الامر ـ امر السلطان ـ بعث محمد علي باشا ابراهيم باشا برفقة أربعة آلاف من المشاة من جنود الجيش المصري النظامي وألف ومائتين من الخيالة مع المدافع قدر اللزوم الى قوزير[2] بساحل مصر مقابل ينبع من الشاطئ الاخر ليعبروا البحر من هناك متوجهين الى منطقة الحجاز سنة ١٢٣١هـ (١٨١٥م)[3] .

---

١ ـ مؤلف مجهول ، كتاب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق د . احمد مصطفى ابو حاكمة ، بيروت ،١٩٦٧ ، ص ١١٨ .

٢ ـ القوزير : أي القصير وهو الميناء المصري على البحر الاحمر .

٣ ـ لمزيد من التفاصيل انظر د . عبد الفتاح حسن ابو عليه ، دراسة حول المخطوط التركي حجاز سيا حتنامه سى ، الرياض ، ١٩٨٣ ، ص ص ٥٧-٥٨ .

وصل ابراهيم باشا وقواته الى المدينة المنورة وامضى هناك عدة أسابيع استعداداً للمعركة القادمة منتهجاً سياسة من شأنها استمالة بعض رؤوساء القبائل الى جانبه حيناً ، وفي أحايين كثيرة تم اللجوء الى استخدام القوة لغرض اخضاع عدد من القبائل الساكنة ما بين مكة المكرمة والمدينة المنورة ، الامر الذي مكنه من الدخول في اكثر من مناوشة عسكرية مع القوات السعودية وخاصة في موقعة الخابور قرب القصيم ـ التي تعد احدى نواحي نجد وتقع شمال الرياض ـ ملحقاً بها هزيمة ونجاحه بالتالي في دخول مدينة الدرعية عاصمة الدولة السعودية الاولى وتدميرها بعد استسلام الامير عبد الله بن سعود في ٩ ايلول عام ١٨١٨[١] ، الامر الذي مهد السبيل في تسريع تنفيذ الخطط المصرية باتجاه مشيخات الخليج العربي .

مراحل التوسع المصري صوب البحرين

وتأسيساً على ذلك فان نجاح جيوش محمد علي باشا في الحجاز ونجد والتي انتهت كما رأينا عام ١٨١٨ بالقضاء على الدولة السعودية الاولى ، كان من نتائجها ان تطلع والي مصر بانظاره تجاه منطقة الخليج العربي ويعد ذلك نتيجة منطقية وثمرة من ثمار الوجود المصري في الحجاز ونجد خلال الاعوام بين (١٨١١ ـ ١٨١٨) بعد استسلام الدرعية والقاء القبض على الامير عبد الله بن سعود وارساله الى القاهرة اسيراً[٢] ، ويمكننا القول ان حقبة التوسع

---

١ ـ احمد زيني دحلان ، خلاصة الكلام في بيان امراء البلد الحرام ، المطبعة الخيرية بمصر ، ص ٢٣٨ .

٢ ـ د . رأفت غنيمي الشيخ ، ارتباط النشاط المصري في الخليج بالنشاط المصري في الحجاز ونجد ، بحوث لجنة تدوين تاريخ قطر ، جـ ٢ ، الدوحة ، اتحاد المؤرخين العرب (٢١-٢٨ مارس (آذار) ١٩٧٦ ، ص ٨٤٧ .

المصري في منطقة الخليج العربي قد مرت بمرحلتين ، اذ ترجع المصادر التأريخية بداية العلاقات المصرية - الخليجية الى عام ١٨١١ منذ وصول حملة احمد طوسون باشا الى الحجاز في ذات العام وتمثل هذه الحقبة المرحلة الاولى من الحملات المصرية حين قدم السيد سعيد بن سلطان (١٨٠٦-١٨٥٦) سلطان مسقط عرضاً الى القائد المصري الزاحف بقواته على نجد والذي كان وقتذاك في حالة عداء مع السعوديين ، يقضي في ايجاد تحالف بين محمد علي باشا والسيد سعيد ، فيما عول احمد طوسون بذلك التحالف على المساعدات التي سيبعث بها سلطان مسقط بهدف القضاء على الخطر السعودي المشترك ، وعندما ارسل القائد المصري الى والده محمد علي باشا يستطلع رأيه في شأن ذلك اجابه بعدم الحاجة لذلك ، ويبدو ان الموقف العسكري في داخل نجد اخذ يتحول سريعاً الى صالحه بعد مقتل القائد السعودي مطلق المطيري اواخر عام ١٨١٣ وما أعقبه من وفاة الامام سعود الكبير في العام التالي ، ومع توالي الانتصارات التي حققتها القوات المصرية في نجد رغم المشكلات الكبيرة التي تعرضت لها فقد تم لأبراهيم باشا إسقاط الدرعية عاصمة السعوديين عام ١٨١٨م[١] .

وتمثل رد الفعل البريطاني ازاء المرحلة الاولى من التوسع المصري بعدم معارضة بريطانيا لوصول القوات المصرية سواحل الخليج العربي ، بل تحقق تعاون مع تلك القوات في نجد والاحساء للقضاء على قوة القواسم البحرية في مياه الخليج العربي ، واعتقاد البريطانيون ان هناك عدواً مشتركاً للبريطانيين والمصريين هم السعوديون وحلفاؤهم القواسم ، ولعل ذلك يرجع الى ان النفوذ

---

١ ـ لمزيد من التفاصيل انظر د . جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي دراسة لتأريخ الأمارات العربية في عصر التوسع الاوربي الاول ١٥٠٧ ـ ١٨٤٠ ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ص ٤٥٦-٤٥٧ .

البريطاني لم يكن قد تدعم بعد ، كما ان وصول القوات المصرية الى سواحل الخليج العربي في هذه المرحلة كان مقتصراً على تأمين العمليات العسكرية في نجد ، لذلك عمدت بريطانيا على الافادة من وصول القوات المصرية لقمع النشاط البحري للقواسم الذين هددوا مصالحها في الصميم[١] .

ومن الدرعية توجهت الحملة المصرية بقيادة ابراهيم باشا باتجاه الاحساء والقطيف المطلتين على الخليج العربي ، إستجابة لدعوة آل عريعر من بني خالد الذين شجعوا المصريين على فتح الاحساء على ان يكونوا نواباً عنهم في حكم البلاد ، وبفضل الدعم المصري تمكن بنو خالد من السيطرة على الاحساء دون مقاومة لان فهد بن عفيصان عامل السعوديين عليها قد تركها وفر الى البحرين ، الا ان مجريات الاحداث السياسية تغيرت بعد ذلك اذ سرعان ما اخذ النفوذ المصري بالاحساء يهتز بشدة بعد تمكن شيوخ بني خالد الذين اصبحوا في ذلك الوقت مناوئين للحكم المصري من التأثير على والي العراق العثماني داود باشا الذي لم ينظر بعين الرضا الى تقدم القوات المصرية الى الخليج العربي وكان يخشى ان تلتقي مطامع محمد علي باشا مع المطامع البريطانية بالمنطقة واستطاع بذلك التأثير في الباب العالي الذي اوعز بدوره الى والي مصر بضرورة سحب جنوده في تموز عام ١٨١٩ ، وهكذا رجع آل عريعر لحكم الاحساء بمثابة ولاة من قبل الدولة العثمانية[٢] .

غير ان الانسحاب المصري المفاجئ من سواحل الخليج العربي قد احدث فراغاً سياسياً راحت تستثمره القوى المحلية لتحقيق مطامعها وفي مقدمتهم السعوديون الذين تمكنوا من زيادة نفوذهم ، وتمثل ذلك في نجاحهم باسترداد الاحساء على يد الامام تركي بن عبد الله عام ١٨٣٠ ، مما اثار القلق لدى

---

١ ـ انظر غنيمي الشيخ ، ارتباط ، ص ٨٧١ ؛ قاسم ، الخليج ، ص ص ٤٥٦ ـ ٤٥٨ .

٢ ـ انظر قاسم ، الخليج ، ص ص ٤٥٧ ـ ٤٥٩ .

بني خالد خاصة بعد رحيل ابراهيم باشا من نجد الى المدينة المنورة ، وهو مادفعهم الى طلب مساندة السلطان العثماني[1] ، الذي اصدر اوامره الى محمد علي باشا باتخاذ الاجراءات الحربية السريعة للقضاء على حكم الامام فيصل بن تركي في نجد فبدأت المرحلة الثانية (١٨٣٣-١٨٤٠) من مراحل التوسع المصري صوب الخليج العربي ، فيما ارجع آداموف اسباب ارسال الحملة المصرية الجديدة الى عدم التزام الامير النجدي بالسير على خطى سياسة والده القائمة على اقامة علاقات طيبة مع السلطات المصرية في القاهرة وامتناعه بالتالي عن تقديم العون اللازم للحكومة المصرية في صراعها مع السلطان العثماني بل توقفه عن دفع الجزية لها[2] ، لهذا توغل جيش مصري عام ١٨٣٨ بقيادة خورشيد باشا في نجد مرة اخرى وحدثت معركة بين الجيش المصري وبين امير نجد فيصل بن تركي ومعه عمر بن عفيصان قائد جيشه بالقرب من الرياض ، اسفرت عن استسلام الامير السعودي للقوات المصرية اذ ارسل الى القاهرة وتم تنصيب خالد بن سعود - وهو اخو الامير عبد الله بن سعود الذي اعدمته السلطات العثمانية عام ١٨١٨ - اميراً عليها ، وكان خالد من جملة الاسرى الذين ارسلوا الى سجون مصر ، ولكنه لما اطلق سراحه لم يرجع الى بلاده بل بقي في مصر وصار موالياً لمحمد علي باشا الذي انعم عليه بلقب (خالد بك) ، وبذلك سقطت الدولة السعودية الثانية[3] ، وتم بسط نفوذ والي مصر على جميع ما كانت تحت سلطة الامير

---

١ ـ لمزيد من التفاصيل انظر محمد مرسي عبد الله ، وثائق القلعة محمد علي في الجزيرة العربية وعلاقاته بالخليج العربي ١٨٠٧ ـ ١٨٤٢ ، مجلة الوثيقة ، العدد ١٦ ، السنة ٨ ، جمادي الثانية ، ١٤١٠ هـ / يناير (كانون الثاني) ١٩٩٠ م ، ص ١٦ .

٢ ـ السكندر آداموف ، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها ، جـ ٢ ، ترجمة د . هاشم صالح التكريتي ، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، ١٩٨٩ ، ص ١٩٥ .

٣ ـ فالح حنظل ، المفصل في تاريخ الامارات العربية المتحدة ، جـ ٢ ، لجنة التراث والتاريخ ،

النجدي من اقاليم الاحساء والقطيف الذي يحتل جزءاً كبيراً من شاطئ الخليج العربي ، واتخذت الاحساء مركزاً لتحرك القوات المصرية نحو شرق الجزيرة العربية وشمال الخليج العربي ، وافاد خورشيد باشا من ميناء القطيف باتخاذه مركزاً للاتصال بالامارات العربية ومنها البحرين محاولاً إغراءها للانضواء تحت سيادة محمد علي باشا[1] .

وعلى ذلك ينظر بعض المؤرخين للسيطرة المصرية على الاحساء والقطيف بانها مهدت الطريق لفرض الهيمنة المصرية على البحرين لارتباط الاخيرة باقليم الاحساء ارتباطاً وثيقاً ، ومن ثم لا نعجب ان يكون من مخطط خورشيد باشا مد نفوذ محمد علي باشا الى البحرين عبر الاحساء التي تمثل السيطرة عليها اهمية لانها تمثل معبراً هاماً للتجارة بين البحرين و دواخل شبه الجزيرة العربية ، وتوافق ذلك مع تعاقب اسرة آل خليفة في حكم جزر البحرين وكان على رأسهم في سنوات تخطيط خورشيد باشا وخاصة بين عامي (١٨٣٨-١٨٤٠) الشيخ عبد الله بن احمد (١٧٦٩-١٨٢٥)[2] .

اهتمت مصر بالبحرين من النواحي السياسية والاستراتيجية والاقتصادية فمن الناحيتين السياسية والاستراتيجية عد محمد علي باشا البحرين من ابرز المواقع التي ينبغي مد سلطانه اليها في منطقة الخليج العربي ، اذ عن طريقها يمكنه اكتساب ميزة التحرك السريع صوب اجزاء الخليج العربي الاخرى جنوباً : صوب امارات ساحل عمان بل وسلطنة عمان نفسها وشمالاً : صوب البصرة وبقية مناطق العراق ، ومن جهة اخرى فان السيطرة

١٩٨٢ ، ص ٤٩٨ .

١ ـ د . صلاح العقاد ، الاستعمار في الخليج ، القاهرة ، (د . ت) ص ١٠٨ .

٢ ـ Fereydaun, Adamiyat; Bahrein Islands, Alegal Diplomatic Study of the British - Iranian Controversy, New York, 1935, P. 125;
غنيمي الشيخ ، التوجه ، ص ٧٢ .

على البحرين تسهل على القوات المصرية الحصول على السفن اللازمة لنقل المؤن والامدادات من جهتي البصرة والكويت لأي عمليات عسكرية من أي نوع تجاه المناطق التي تتجه اليها انظاره في الخليج العربي ، اما من الناحية الاقتصادية فأن البحرين تضم افضل مغاصات اللؤلؤ والذي يعد مصدراً رئيسياً للثروة ، ويمكن الاشارة الى ان حصيلة تجارة لؤلؤ البحرين في القرن الثامن عشر كانت تصل الى نصف مليون روبية هندية سنوياً ، وهو مبلغ كبير تنازع من اجله المتنافسون على امتلاك البحرين ومن ثم الافادة من مواردها المادية ، كما نعمت البحرين بمساحات كبيرة من الاراضي الخصبة وساعد وجود ينابيع للمياه العذبة على قيام الزراعة ، الى جانب وجود مراكز تجارية عديدة في البحرين مكنت بعض الأسر من الحصول على عوائد مالية وافرة[1] .

جاءت علاقات خورشيد باشا القائد المصري مع الشيخ عبد الله بن احمد آل خليفة عن طريق حاكم الاحساء ووكيل الباشا هناك محمد افندي رفعت ، والذي زار جزر البحرين مبعوثاً من خورشيد باشا في ١٥ شباط عام ١٨٣٨ وقدم تقريراً الى السلطات المصرية حمل تاريخ ٢٢ شباط من العام ذاته ، اوضح فيه ان البحرين ذات اهمية قصوى لاستقرار الاحوال في الاحساء والقطيف ، فميناؤها هو الميناء الوحيد ذو الاهمية في شمال الخليج العربي ، لذلك عدت جزيرة البحرين ميناءاً للاحساء والقطيف وسبباً في رواج المنطقة وانتعاشها اقتصادياً[2] .

---

١ ـ لمزيد من التفاصيل انظر د .ابراهيم خليل احمد ، موقع البحرين في محاولات محمد علي باشا لتاسيس دولة عربية موحدة ، مجلة الوثيقة ، العدد ٤ ، السنة ٢ ، ربيع الاخر ١٤٠٤ هـ / يناير /كانون الثاني ١٩٨٤م ، ص١٤٨ .

٢ ـ غنيمي الشيخ ، التوجه ، ص٧٢ .

عارضت بريطانيا وبشدة نشاطات خورشيد باشا حيال البحرين وابدت وزارة الخارجية التي كان يرأسها بالمرستون رفضها لمشروعات محمد علي باشا في الخليج العربي[1] ، وشهد عام ١٨٣٨ تأزما في العلاقات المصرية ـ البريطانية حيث كتب الليفتنانت كولونيل تايلور Taylor المقيم البريطاني في بغداد رسالة الى بالمرستون يوضح فيها العواقب التي سوف تترتب على تقدم القوات المصرية في سواحل الخليج العربي ، وبادر بالمرستون بالكتابة الى الكولونيل كامبل Campbell ممثل الحكومة البريطانية بالقاهرة طالباً منه الاستفسار من السلطات المصرية عن صحة هذه المعلومات ، مؤكداً ان هذه التحركات تنظر اليها الحكومة البريطانية نظرة غير ودية ، وسلم كامبل احتجاج بالمرستون وزير الخارجية البريطاني الى باغوص بك وزير محمد علي باشا حيث كان الاخير متغيبا بالسودان في ذلك الوقت ، وحصل كامبل على وعد من باغوص بك بانه سيبادر بتبليغ ذلك الاحتجاج الى الوالي فور عودته وانكر المسؤول المصري بان يكون لمحمد علي اية اطماع في جزر البحرين ، وللدلالة على تعاظم الاهتمام البريطاني بالبحرين وحرص حكومة الهند على ابعاد النشاط المصري من الوصول اليها ، مانود التذكير به من ان شؤون الخليج العربي كانت من اختصاص حكومة بومباي ولم يكن تدخل حكومة لندن في تلك الشؤون الا في الامور الهامة التي تستوجب تدخلها ، ومن ثم فان اهتمام وزارة الخارجية في لندن بالتحركات المصرية يؤكد لنا اهمية تلك التحركات ليس بكونها تشكل خطراً على حكومة الهند وانما على الامبراطورية البريطانية باسرها ، وتوافقاً مع هذه التوجيهات بعث بالمرستون الى حكومة الهند برسالة يلفت نظرها الى ضرورة معارضة أي تقدم يقوم به خورشيد باشا في الخليج العربي ويطالبها بالتدخل المسلح اذا ما اقتضت

---

١ ـ Haskins; Back Ground of the British position in Arabia, vol.I, London, pp.138-143. -

الضرورة ذلك ، مركزاً على ما يشكله استيلاء مصر على جزر البحرين من خطر على مركز بريطانيا في المنطقة[١] .

اتخذ الموقف البريطاني ازاء التوسع المصري في مرحلته الثانية موقفاً آخر يختلف تماما عن الموقف في المرحلة الاولى ، اذ تركز على ضرورة التصدي للتوسع المصري بكل الوسائل بما فيها اللجوء الى القوة العسكرية ، وتنفيذاً لمتطلبات هذه السياسة سارع بالتوجه الاميرال فردريك ميتلاند Maitland قائد البحرية البريطانية في الهند الى الخليج العربي حتى وصل الى البحرين ، حيث وجد ان شيوخ الاخيرة كانوا على استعداد للاعتراف بالسيادة المصرية ، لذا راى من الحكمة عدم القيام باي عمل عسكري ، كما فوض هنيل Hennell المقيم البريطاني في الخليج العربي بان يقوم بتحذير القائد المصري من عاقبة الاستمرار في عملياته العسكرية في المنطقة ، وكان لهذا الموقف المتشدد تأثيره على تفكير محمد علي باشا الذي تظاهر بانه لايفكر في الوقت الحاضر في غزو بغداد خاصة وان جيوشه مشغولة بتوطيد الامن في بلاد الشام ، وتاكيدا لهذا التظاهر فانه رفض ان يجيب مطلب خورشيد باشا الخاص بارسال قوة بحرية عن طريق الخليج العربي لتكون عوناً لقواته التي ذهبت للاستيلاء على القطيف قائلاً :«ان ارسال السفن من جدة الى ميناء القطيف لايوافق بعض المحذورات» ولاشك فان رد القاهرة يعني هنا بالمحذورات الوجود البريطاني في الخليج العربي مما اقلق خورشيد باشا وجعله يفكر في مدى جديدة هذه المحذورات[٢] .

---

١ ـ قاسم ، الخليج ، ص ص ٤٦٢-٤٦٣ .

٢ ـ انظر د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، دور البصرة في احداث نجد وشرقي الجزيرة العربية في عهد محمد علي ١٨١٩-١٨٤٠ من خلال الوثائق العثمانية ، مجلة حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية ، جامعة قطر ، العدد ٤ ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، ص ص ٦٧-٦٨ ؛ قاسم ، الخليج ، ص ٤٦٥ .

الاتفاقية المصرية ـ البحرينية عام ١٨٣٩ ونتائجها

وعندما رأى شيخ البحرين عبد الله بن احمد نجاح قوات محمد علي في الجزيرة العربية وما اعقب ذلك من توجه خورشيد باشا إلى جعل البحرين منطقة نفوذ تابعة للحكومة المصرية ، واحتمال استغلال السيد سعيد بن سلطان حاكم مسقط اسم النشاط المصري لمهاجمة البحرين وضمها إلى سلطنته ، حاول شيخ البحرين الحصول على حماية اجنبية ، ولما لم يجد من البريطانيين وحكومة الهند وممثلها (هنيل) في المنطقة اية استجابة عملية حتى إذار عام ١٨٣٩ فيما عدا ما يصرح به المسؤولون البريطانيون عن عدم رضاهم من تصاعد النشاط المصري على سواحل الخليج العربي ، فاتجه الشيخ عبد الله بن احمد لطلب المعونة من الحكومة الفارسية غير ان لهولاء مطامعهم الخاصة في جزر البحرين ومطالبهم المالية تظير وجود مبعوث فارسي هناك ، ولما كان شيخ البحرين يعاني من مصاعب داخلية سببها الخلافات الاسرية ، فانه وحسب ما اوردته الوثائق المصرية طلب اجراء لقاء بالقائد المصري[١] .

لما اتضحت نوايا خورشيد باشا حيال البحرين امرت حكومة بومباي (ميتلاند) قائد الاسطول البريطاني في مياه الخليج العربي في ١ نيسان عام ١٨٣٩ بان يقدم احتجاجاً للقائد المصري يحذره من مغبة توسيع نفوذه ليشمل البحرين وطبقاً لما ذكرته المصادر البريطانية فقد طلب منه ان يستخدم كل امكاناته وبقوة لمنع القائد المصري من التقدم وفوضه بان يقدم لشيخ البحرين عبد الله بن احمد كل معونة تمكنه من المقاومة دون التورط في حرب فعلية ، فيما تمثل رد خورشيد باشا على التحذير البريطاني بان كتب

---

١ ـ العقاد ، التيارات السياسية في الخليج العربي ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ١٣٦ ؛ غنيمي الشيخ ، ارتباط ، ص٨٦٢ .

القائد المصري الى المقيم البريطاني في الخليج العربي محاولاً جس نبض الحكومة البريطانية في حالة مواصلة قواته لفتوحاتها ، ورد (هنيل) على رسالة خورشيد باشا بان طلب منه عدم اتخاذ أي اجراء ضد البحرين قبل توجيه انذار الى رعايا الحكومة البريطانية المقيمين في الجزر قبل وقت كاف ، ثم توالت التحركات البريطانية الرامية الى وقف التقدم المصري والعمل على افشال مخططات محمد علي باشا في المنطقة واتخذت طابعاً يشير الى تعظم الخطر المصري الموجه لتهديد المصالح البريطانية فقد اصدرت حكومة الهند في ١٨ نيسان عام ١٨٣٩ اوامر حاسمة بان خولت (ميتلاند) قائد البحرية البريطانية بان يقوم باخبار شيخ البحرين بانه تحت حماية مؤقتة من جانب الاسطول البريطاني في حالة طلبه ذلك ، واذا فشلت هذه الاجراءات فعلى القائد البريطاني ابلاغ خورشيد باشا بان يحمله المسؤولية كاملة في حالة عبوره الخليج العربي الى جزر البحرين ، وعليه بعد تبليغ هذا الانذار ان ينصرف لاعداد وسائل الدفاع عن البحرين بقدر ماتسعفه الامكانات المتوفرة له وفعلاً قام (ميتلاند) بزيارة البحرين بصحبة الكابتن ادموندز Edmonds مساعد المقيم البريطاني على ظهر سفينة حربية وقدم له الشيخ تعهداً كتابياً من جانبه بالا يضع نفسه تحت سلطة او حماية اية دولة اجنبية قبل استشارة المقيم البريطاني في الخليج العربي[١] .

ويبدو ان البحرين كانت تمثل وزناً اكبر من غيرها من المشيخات لدى السلطات البريطانية ، اذ تصرفت نحوها بطريقة محمومة تحسباً لشئ بعيد الاحتمال وهو نزول قوات مصرية في جزر البحرين ، ولم يقتصر الامر على ذلك فقد تم تكليف المقيم البريطاني في ٧ ايار عام ١٨٣٩ باعداد تقرير عن

---

١ ـ ج .ج . لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ٢ ، ترجمة ديوان امير قطر ، الدوحة ، ١٩٧٥ ، ص ص ١٣٠٥-١٣٠٧ .

حجم القوات المصرية في نجد والاحساء وعن موقف الحكام العرب على ساحل الخليج العربي من النشاط المصري ، وبعد ان اوضح (هنيل) في تقريره الذي قدمه الى حكومة الهند هذه النواحي ، فصل الموقف بالنسبة للبحرين ، اذ عد العوامل الطبيعية فيها حامية للجزر من أي غزو خارجي خاصة اذا استخدم الشيخ عبد الله بن احمد قواربه الحربية السريعة والمسلحة استخداماً حسناً ، وعلى الرغم من تهديدات السلطات البريطانية لشيخ البحرين فان الاخير وعلى مايبدو كان يقدر الظروف التي تحيط به ويقدر انتماءه العربي[1] ، لذلك وجدناه يدخل في مفاوضات مع محمد رفعت افندي ممثل محمد علي باشا لاجل عقد اتفاقية تنظم علاقة البحرين بالاحساء وبالسلطات المصرية هناك[2] .

بدأت المباحثات بين الجانبين المصري والبحريني يوم السبت ٧ ايار عام ١٨٣٩ عند خور حسان بساحل قطر حيث يوجد شيخ البحرين وانتهت بتوقيع اتفاقية بين الطرفين تضمنت شروطاً اهمها :

١ ـ يحق لشيخ البحرين فرض الرسوم على سفن الغوص العاملة في البحرين ، ولايحق له فرض تلك الرسوم على السفن العاملة في القطيف . ويبدو ان السلطات المصرية كانت تهدف من وراء ذلك انهاء أي صفة من صفات التبعية التي كان يمارسها شيخ البحرين على منطقة الاحساء .

٢ ـ يعترف شيخ البحرين بان اهل قطر من البدو والحضر رعايا لخورشيد باشا ، ومن ثم يلتزم هؤلاء بدفع الزكاة للسلطات المصرية على كل مالديهم من ماشية او قطيع مما يشير الى اعتراف صريح من جانب شيخ البحرين بتبعية قطر المباشرة للسلطات المصرية .

---

١ ـ انظر غنيمي الشيخ ، ارتباط ، ص ص ٨٧٦-٨٧٧ .

٢ ـ د . محمد عرابي نخلة ، تاريخ الاحساء السياسي ١٨١٨ ـ ١٩١٣ ، الكويت ، منشورات ذات السلاسل ، ١٩٨٠ ، ص ٧٧ .

٣ ـ يوافق شيخ البحرين على اقامة وكيل معتمد من قبل خورشيد باشا في البحرين يشرف على المصالح المصرية هناك ، وان كان قد طلب ارجاء ذلك بعض الوقت لتمهيد الامر امام المواطنين هناك ، ويبدو ان مندوب خورشيد باشا في المباحثات كان يهدف من وراء ذلك الى ايجاد نوع من الاشراف المصري على شؤون البحرين ضماناً لتنفيذ شروط الاتفاق الموقع بينهما ومنعا لنجاح الضغوط التي كان يتعرض لها شيخ البحرين من قبل القوى الخارجية المحلية منها او الاجنبية .

٤ ـ يلتزم شيخ البحرين بتقديم المساعدات لخورشيد باشا من السفن والرجال الى أي جهة من مناطق الخليج العربي ماعدا الكويت ، وفي هذا دليل على رغبته في ضم هذه المناطق كما ضم الشام والحجاز ، كما يضمن خورشيد باشا بهذا الالتزام المساعدات اللازمة التي تكفل لقواته حرية الحركة لتنفيذ مهامها في المنطقة ، في وقت فقدت فيه تلك القوات الامل في وصول اية سفن مصرية الى منطقة الخليج العربي نتيجة للضغوط التي تعرضت لها السلطات الحاكمة في القاهرة من قبل البريطانيين .

٥ ـ يلتزم شيخ البحرين بتسليم أي من الرعايا التابعين لمحمد علي الفارين اليه وقد ضمن المندوب المصري بذلك الالتزام عدم خروج زعماء العشائر على حكومة محمد علي باشا حيث كان هؤلاء يجدون في السابق من شيخ البحرين الامان والاستقرار .

٦ ـ يتعهد شيخ البحرين بتسليم السلطات المصرية زكاة مقدارها ثلاثة آلاف ريال وهو المبلغ الذي كان يدفعه من قبل لآل سعود مما يشير الى نوع العلاقة التي ربطت البحرين بحكومة مصر بمقتضى هذا الاتفاق[1] .

---

١ ـ لمزيد من التفاصيل انظر احمد ، المصدر السابق ، ص ص ١٥٠- ١٥١ .

كتب الشيخ عبد الله بن احمد آل خليفة رسالة الى خورشيد باشا عقب توقيع الاتفاقية مع محمد افندي رفعت بتاريخ ٨ ايار ١٨٣٩ ، اكد فيها التزامه بما جاء في نصوصها بان : «نعادي من عاداكم ونوالي من والاكم وانتم كذلك ، ويؤدي لجنابكم الزكاة . . . وصار حالنا معكم حال واحد . . . الخ» ، والاتفاقية بنصها على عدم ارسال مبعوث يمثل محمد علي باشا مقيم في البحرين وترك امورها الداخلية بيد شيوخها ، تنفي الاتهامات البريطانية التي تشير الى تطلعات محمد علي باشا الى استعمار البحرين وارسال قوات عسكرية لاحتلال تلك الجزر لحساب والي مصر ، وهو امر بعيد الاحتمال لان أي هجوم على الجزر يعد من وجهة النظر البريطانية عملاً خطيراً في جرأته ، وكان احتمال ان تقوم به قوات محمد علي باشا احتمالاً ضعيفاً[1] .

اثار توقيع الاتفاقية المذكورة قلقاً شديداً في الاوساط البريطانية التي حملت خورشيد باشا مسؤولية أي ضرر يلحق بالرعايا البريطانيين ومؤكدة استعداد حكومة بومباي على تقديم الحماية للبحرين وضمان الحكم لاسرة آل خليفة ، وكتب بالمرستون الى بونسونبي Ponsonby السفير البريطاني في الاستانة بتاريخ ١١مايو (ايار) عام ١٨٣٩ يطلب منه الاتصال بالباب العالي لمعرفة مدى موافقة السلطان العثماني على التحركات المصرية في شبه الجزيرة العربية وان يبين للحكومة العثمانية مدى الخطر الذي ستتعرض له باشوية بغداد اذا تمكنت القوات المصرية من توطيد اقدامها في الخليج العربي ، كما قدمت الحكومة البريطانية احتجاجاً صارخاً على توقيع الاتفاقية المصرية ـ البحرينية ، واعلن (هنيل) المقيم البريطاني في المنطقة بوثيقة رسمية مؤرخة عام ١٨٣٩ عدم مشروعية تلك المعاهدة لانها مخالفة صريحة للوعود التي

---

١ ـ غنيمي الشيخ ، التوجه ، ص٧٢ .

اعطاها محمد علي باشا الى السلطات البريطانية والمتضمنة عدم قيامه بحركات حربية ، فضلاً عن مخالفة تلك الاتفاقية لمعاهدة عام ١٨٢٤ التي سبق وان عقدتها حكومة بومباي مع شيخ البحرين ، ولم يقتصر الامر على مجرد الاحتجاج وانما قام (هنيل) بنفسه بمقابلة الشيخ عبد الله بن احمد في ٢٨ يوليو (تموز) من العام ذاته بهدف ان يثنيه عن مشروع تحالفه هذا وحفلت المقابلة بالكثير من التهديد والترغيب معاً ، اذ عرض المقيم البريطاني على شيخ البحرين ان يقدم له الحماية من طرف حكومته وان لاياخذ منه ضرائب لمدة خمسة وعشرين عاماً وان تمنحه الحكومة البريطانية تاييدها التام ، وطلب منه ان يعطيه المعاهدة ليمزقها ولكن الشيخ اصر على اتفاقه مع محمد علي باشا وكان مما ذكره للمقيم البريطاني : «انني وان كنت قد طلبت منكم فعلاً الحماية ، ولكن ما قلت لكم ان اكون من جملة رعايا الانجليز ، وثانياً انما كان طلب الحماية من خوفي من عساكر محمد علي باشا واما اليوم فقد تصالحنا وربطنا الصلح بشروط ، واننا منذ القديم مشتركين مع اهل نجد جيراننا في التجارة فلا يمكن ايضاً ان نفرق عن مالنا وملكنا» كما ذكر له ايضاً «ان البحرين ملكنا ورثناه عن اجدادنا وليس بيننا شروط لان نكون رعية للانجليز ، ولم اظهر أي سبب لذلك غير الصداقة وليس للانجليز ان يتعدوا علينا ، فاذا ماكنتم تشرعون في الحرب قوة واقتداراً فاننا سنبذل كل وسعنا في سبيل حماية ملكنا وعيالنا واهلنا ودیننا وليحصل بعد ذلك ما يحصل»[1] .

على ان المصادر البريطانية اشارت الى المبررات التي قدمها الشيخ عبد الله بن احمد للمقيم البريطاني في اثناء اللقاء الذي تم بينهما وقدم فيها الاخير

---

١ ـ قاسم ، دولة بوسعيد في عمان وشرق افريقيا (١٧٤١-١٨٦١) القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ص ١٨٠- ١٨١ .

احتجاج بلاده الرسمي ، وهي مادفعته الى توقيع الاتفاقية مع الجانب المصري ، فقد حاول الشيخ ان يشرح (لهنيل) انه لم يتخل عن وعده للكابتن (ادموندز) مؤكدا ان هذه الاتفاقية مع المصريين ، على الرغم من انها ابرمت مؤخراً الا ان الاتفاق عليها تم منذ وقت طويل أي قبل وصول ميتلاند الى البحرين في نيسان عام ١٨٣٩ ، وبرر مسلكه هذا بما حدث قبل ثلاثة اشهر حين رفض المقيم البريطاني ان يقدم للشيخ نصيحة او تاكيداً محدداً بالمساعدة ، وسلم (هنيل) احتجاجاً تحريرياً على تلك الاتفاقية لشيخ البحرين كما سلمت نسخة تتضمن نفس العبارات تقريباً لخورشيد باشا ، واشار المقيم البريطاني للشيخ الى احتمال ان تعتبره الحكومة البريطانية بسبب علاقاته مع القوات المصرية بانه يقوم بعمل عدائي ضد بريطانيا . . . واحتج الشيخ في رده بانه لن يضع نفسه ابداً ضد مصالح الحكومة البريطانية حتى لو طلبت اليه القوات المصرية ذلك ، وعرض ان ينقض اتفاقيته مع الباشا المصري اذا قدمت اليه السلطات البريطانية وعداً صريحاً بحمايته[١] .

وبعد مغادرة (هنيل) للبحرين ، قام محمد رفعت افندي بزيارتها مرة اخرى حتى يقف على احوال شيخها بعد مقابلة (هنيل) له ، وهناك تاكد من ان الشيخ عبد الله باق على العهد مع الحكومة المصرية ، كما جاء في صورة الجرنال المحضر من طرف محمد افندي ، اذ قال : « . . . وصلنا الى البحرين في ثالث شهر جمادى الاولى سنة تاريخية فوجدنا عبد الله بن احمد حضر من مدة عشرين يوماً من قطر الى البحرين ومقيم في قلعة . . . المسماة بالرق فوجدناه بالمحل المذكور واقمنا عنده ليلة وامتحناه هل هو باقي على العهد والميثاق الذي صار بيننا وبينه وسالناه عما صار من الانجليز . . . فالذي ظهر لنا منه انه باقي على العهد والميثاق الذي صار بيننا وبينه . . .» وكل هذا

---

١ ـ انظر لوريمر ، المصدر السابق ، ص ص ١٣٠٨ ـ ١٣٠٩ .

يؤكد لنا الترحيب البحراني بالمصريين ويدحض الافتراءات البريطانية التي كانت تحاول تصوير المصريين في صورة استعمارية في محاولة لطمس الحقائق والابقاء على التجزئة في الوطن العربي[1] .

من جانب اخر اشارت الوثائق المصرية المعاصرة الى خطأ ماتروجه المصادر البريطانية التي عللت اقدام شيخ البحرين على توطيد صلاته مع المسؤولين المصريين وابتعاده عن موالاة الحكومة البريطانية واوعزتها الى كبر سنه وضعف قواه ، وتؤكد موافقته على وضع بلاده ضمن مشروع محمد علي باشا وجهوده لاقامة دولة عربية موحدة عن ايمان وقناعة كبيرين ، ومما يعزز ذلك موقفه الواضح من البريطانيين ورفضه ضغوطهم المستمرة عليه ، وقد نقل عنه قوله لمبعوث خورشيد باشا الشيخ شافعي مانصه :

«مادمت في قيد الحياة فانني لااستسلم للانجليز وافهم منذ ثلاثين سنة وهم يحتالون علينا وسابذل جميع مالي وقوتي ، انني في الثمانين وقد بلغت آخر العمر فلان نموت جميعاً اولى من ان نكون رعية للكفار وافضل شيء واشرفه ان لانرى ذلك اليوم» ، الامر الذي شكل خطراً مباشراً على المصالح البريطانية في منطقة الخليج العربي عموماً والبحرين بخاصة ، لذلك سارعت بريطانيا الى تقويض مشروع محمد علي باشا ووضع حد له ، والى شي من هذا القبيل اشار بالمرستون بقوله ان بريطانيا لايمكن ان تسلم بوجود الخطر المصري الداهم في الخليج العربي فهي حامية لاستقلال الدولة العثمانية وسلامة اراضيها وتريد ان تضطلع بامانة بالمسؤولية المنوطة بها استناداً الى معاهدة الصداقة التي وقعتها الحكومة البريطانية مع السلطات العثمانية في عام ١٨٣٩ ولهذا هددت بالدفاع عن الخليج العربي بقوة السلاح حفاظاً على

---

١ ـ د .فؤاد سعيد العابد ، سياسة بريطانيا في الخليج العربي خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر ، الكويت ١٩٨١ ، ص ص ١٣٣-١٣٤ .

الحقوق الشرعية لسيادة السلطان[1] .

وازاء اصرار الشيخ عبد الله بن احمد آل خليفة على موقفه الرافض للتهديدات والضغوط البريطانية التي مورست عليه ، ظلت بريطانيا تتحين الفرصة المناسبة للقضاء على مشروع محمد علي باشا نهائياً في الجزيرة العربية وسواحل الخليج العربي ، والتي جاءت اثر النزاع الذي نشب بين السلطان العثماني ووالي مصر ونجاح بريطانيا في دفع الدول الكبرى باتجاه معاداة محمد علي باشا ، ثم تحولت الاوضاع السياسية الى ازمة دولية بعد انتصار القوات المصرية على الجيش العثماني في معركة نزيب في ٢٤ حزيران عام ١٨٣٩ واندفاعها صوب العاصمة استانبول ، فتصدت لها الدول الكبرى وارغمت محمد علي باشا طبقاً لمعاهدة لندن التي وقعت في ٢٧ تشرين الثاني عام ١٨٤٠ على سحب قواته من شبه الجزيرة العربية والخليج العربي وبلاد الشام ، لقناعته بان بلاده لا تستطيع بقواها الخاصة مقاومة الدول الاربع الكبرى (بريطانيا والنمسا وروسيا وبروسيا) لقاء تأمين حقوق سلالته الوراثية على مصر[2] .

على أية حال ظل شيخ البحرين صامدا امام التهديدات البريطانية ضده الى ان انسحب الجيش المصري عام ١٨٤٠ ففقد بذلك سنداً في مقاومته لتلك المؤامرات والتهديدات ، ومع ذلك ظل الشيخ عبد الله بن احمد متمسكاً باتفاقه مع الجانب المصري حتى انسحبت قواتهم من الخليج العربي ، وقد برر تمسكه هذا بقوله انه اذا قام بالفعل بنقض هذا الاتفاق فلا

---

١ ـ د . محمود علي الداود ، الخليج العربي والعمل العربي المشترك ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص٣٥؛ احمد ، المصدر السابق ص ص ١٥٦ ـ ١٥٧ .

٢ ـ لوتسكي ، تاريخ الاقطار العربية الحديث ، ترجمة د . عفيفة البستاني ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ص ١٤١ـ١٤٣ ، عبد الرحمن ، المصدر السابق ، ص٧٥ .

بد ان المصريين سيفسرون هذا العمل بانه استجابة لضغط من جانب السلطات البريطانية ، وجاء انسحاب القوات المصرية من المنطقة عام ١٨٤٠ ليضع نهاية للنشاط المصري في البحرين[١] .

في الوقت نفسه حدثت خلافات عام ١٨٤٠ بين الشيخ عبد الله بن احمد وابن اخيه الشيخ محمد بن خليفة على السلطة ، وقد شجعت هذه الخلافات الدول المجاورة على تجديد مطامعها في البحرين ، الامر الذي دفع البريطانيين الى التدخل للحيلولة دون ضم البحرين الى أي من هذه الدول ، وكانت المطامع الفارسية اشد خطورة من غيرها وذلك لاصرار السلطات الفارسية على مطالبتها بالسيادة على البحرين ، ثم تهديدات السعوديون الذين استعادوا نفوذهم في الجزيرة اثر انسحاب القوات المصرية عام ١٨٤٠ ، فقد ساند فيصل بن تركي الشيخ محمد بن خليفة ضد منافسه حاكم البحرين ، وبالاضافة الى الطامعين السابقين فقد تجدد طموح الدولة العثمانية ايضاً في منطقة الخليج العربي[٢] .

لم تغفر الحكومة البريطانية للشيخ عبد الله بن احمد تعاونه مع المصريين وتخليه عن صداقته للبريطانيين وعدته بتصرفه هذا غير مخلص لها ، لذلك اجتمعت اللجنة السرية لمديري شركة الهند الشرقية البريطانية وبحثت امكانية عزل شيخ البحرين عن الحكم ، ومن ثم لا نعجب ان نسمع عن وقوع اضطرابات وفتن في البحرين منذ عام ١٨٤٠ لا تهدأ الا بعزل الشيخ عبد الله عن حكم البلاد عام ١٨٤٣ ، ومن ثم سمحت بريطانيا لمنافسه الشيخ محمد بن خليفة بالانقضاض على السلطة وطرد الشيخ عبد الله من

---

١ ـ غنيمي الشيخ ، ارتباط ، ص ٨٦٣ .

٢ ـ ابراهيم خلف العبيدي ، الحركة الوطنية في البحرين ١٩١٤ ـ ١٩٧١ ، بغداد ، ١٩٧٦ ، ص ص ٣٥ ـ ٣٦ .

البحرين عقاباً له على مواقفه من الحكم المصري لذلك لم يعد المسؤولون البريطانيون في الخليج العربي بحاجة الى تنفيذ تعليمات حكوماتهم باستخدام القوة ضد القوات المصرية[1] .

وفي كل الاحوال ابرزت الوقائع في بعض جوانبها التي اوردها البحث في ثناياه كيف حالت الدسائس البريطانية دون تثبيت اقدام المصريين في البحرين ، وزد على ذلك ان الاخيرين لم تكن لديهم قواعد ثابتة يتمونون منها في مؤخرة الخليج العربي أي في بلاد نجد ، الامر الذي اسهم في اضعاف مجهوداتهم السياسية والعسكرية في منطقتي الجزيرة العربية والخليج العربي عموماً ، ومهد الطريق لترسيخ الوجود البريطاني هناك ، وعلى الجانب الاخر ادى انسحاب القوات المصرية من المنطقة الى اثارة انتباه القوى الاوربية الاخرى بسبب اهمية مشيخات الخليج العربي ومنها البحرين في الحفاظ على مصالحها الحيوية ، بل وادى التوسع المصري الى دخول المنطقة برمتها في اطار السياسات الاوربية والتي اتضحت جلياً في السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر[2] .

مقابل ذلك واجهت البحرين في الحقبة نفسها تنافس القوى المحلية في محاولة كل طرف فرض هيمنته على البحرين لاعتبارات اوردها البحث كالامراء السعوديين وسلاطين عمان الى جانب تطلعات حكام فارس ورغبتهم المعلنة في الاستحواذ على جزر البحرين ، وفي خضم اشتداد حالة التنافس بين القوى المحلية والدولية في محاولاتها تحقيق اهدافها المعروفة خلال تلك الحقبة التاريخية ، ظل عتوب البحرين هم اصحاب الكلمة الاولى

---

١ ـ احمد ، المصدر السابق ، ص ص ١٥٧ ـ ١٥٨ ؛ غنيمي الشيخ ، التوجه ، ص ٧٤ .

٢ ـ د . فائق بكر الصواف ، العلاقات بين الدولة العثمانية واقليم الحجاز ما بين (١٢٩٣ ـ ١٣٣٤ هـ/ ١٨٧٦ ـ ١٩١٦ م) مكة المكرمة ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٨٢ م ، ص ص ٦٦ ـ ٦٧ .

في ادارة شؤون بلادهم ، مع العلم انهم اعترفوا وفي ظل ظروف واوضاع معينة بولاء اضطراري لسقط والدولة السعودية والسلطة العثمانية في العراق اضافة الى حكام فارس .

وهكذا نلمس كيف ادت بريطانيا دوراً فعالاً وبالتنسيق مع دول اوربية اخرى في عدم تحقيق محمد علي باشا والي مصر مشروعه السياسي الرامي الى اقامة دولة عربية موحدة تحت زعامته ، ففي الوقت الذي كانت تعمل فيه على انهاء الوجود المصري في بلاد الشام محققة تحالفاً مع الدولة العثمانية لتحقيق ذات الاهداف نراها تنشط ايضاً في منطقة الخليج العربي بالاتجاه نفسه ، فعلى اثر اندحار القواسم في معركة رأس الخيمة عام ١٨١٩ امام القوات البريطانية ، انفسح الطريق للحكومة البريطانية بأن تفرض على شيوخ الامارات العربية ومنهم شيخ البحرين معاهدة عام ١٨٢٠ وبحجة المحافظة على الامن ومحاربة ما تسميه السلطات البريطانية بتجارة الرقيق وعمليات القرصنة في مياه الخليج العربي .

وبخصوص البحرين اتضح لنا مدى حرص المسؤولين البريطانيين على متابعة تحركات محمد علي باشا ونشاطات قادته العسكريين منذ العقدين الأولين من القرن التاسع عشر ، وتوغل قواتهم في الجزيرة العربية وتزايد اهتمام حكومة لندن بضرورة أحكام سيطرتها على جزر البحرين خاصة بعد سقوط الدولة السعودية الثانية عام ١٨٣٨ على أيدي القوات المصرية ، واندفاع الأخيرة صوب سواحل الخليج العربي ، ومن ثم نجاح ممثلي محمد علي باشا وفي مقدمتهم خورشيد باشا قائده العسكري ومحمد افندي رفعت الذي تولى مهمة التفاوض في عقد المعاهدة مع شيخ البحرين عام ١٨٣٩ ، والتي نظر اليها المراقبون بكونها دليلاً على تصاعد النفوذ المصري في البحرين ، وهو الامر الذي اثار استياء حكومة لندن وسلطات بومباي على حد سواء

وشجعها في أصدار الاوامر الى مقيمها في الخليج العربي الكابتن (هنيل) بضرورة استخدامه كل الوسائل الممكنة بما فيها القوة العسكرية للحيلولة دون بقاء النفوذ المصري هناك ، فيما راح البريطانيون يتعجلون الخطى في حبك الدسائس واثارة الفتن والاضطرابات وبهدف ازاحة شيخ البحرين عن السلطة وقد تم لهم ذلك بالفعل عام ١٨٤٣ .

الفصل السادس

العلاقات البحرينية الكويتية
في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

المقدمة

لاشك ان العلاقات بين البحرين والكويت لها اصولها المعروفة التي جمعت بين البلدين الشقيقين عبر فترات مختلفة من التاريخ ، اذ تعرضا لاحداث دولية واقليمية ومحلية في تلك المرحلة المبكرة من تكوينهم السياسي في منطقة الخليج العربي ، فاذا تناولنا صلة القربى بين آل خليفة في البحرين وأل الصباح في الكويت نلحظ ارتباط البحرين والكويت بصلة الرحم والنسب الواحد ، اذ ترجع المصادر التاريخية تلك الاسرتين في نسبهما الى قبائل عنزة من قبائل العرب الكبرى وهي منتشرة في العراق والشام ونجد والحجاز[1] ، الى جانب ان للبلدين تاريخا مشتركا لايتجزأ ومنذ القدم فقد شملت مملكة دلمون بنفوذها الكويت (فيلكا) وكثيرا من مناطق الخليج العربي الأخرى ، وخلال سنوات التاريخ الوسيط كان حاكم البحرين يشمل بحكمه وخلال بعض الفترات اجزاء كبيرة من جزر وموانئ المنطقة ومنها الكويت ، حتى اصبح القطران الشقيقان اكثر اتحادا والتصاقا بعضهما ببعض في التاريخ الحديث[2] ، بعد تعرضهما لاحداث تكاد تكون متشابهة من جانب القوى الاوربية او الدول المجاورة بما فيها الدولة العثمانية وفارس .

كانت أسرة آل خليفة ضمن الأسر العتبية الاخرى (الجلاهمة وآل الصباح) التي تركت مواطنها الاصلية في نجد وسط شبه الجزيرة العربية

---

١ ـ عباس العزاوي ، عشائر العراق ، جـ١ ، بغداد ، ١٩٣٧ ، ص٢٥٨ .

٢ ـ د .ميمونة الصباح ، علاقات الكويت الخارجية خلال القرن الثامن عشر ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٣٤ ، السنة ١٣ ، الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب ، بغداد ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م ، ص٩٠ .

وكانت هجرتها جزءاً من هجرة عنزة الكبرى التي تمت في النصف الاول من القرن السابع عشر ، والتي تفرعت الى فرعين رئيسين اتجه الفرع الاول المعروف بـ (الرولة) الى بلاد الشام ، بينما اتجه الفرع الاخر (العتوب) الى ساحل الخليج العربي[١] وذلك في اعقاب خروج البرتغاليين من المنطقة نهاية القرن المذكور ، اذ اتاح هذا الامر الفرصة امام هذه التجمعات القبلية لان تنشد سواحل الخليج العربي طلبا للخيرات المتوافرة فيه كصيد السمك واستخراج اللؤلؤ وممارسة النشاطات التجارية الاخرى[٢] ، حتى استقرت تلك القبائل ومنهم آل خليفة وبعد رحلة طويلة عبر سواحل الخليج العربي في نهاية المطاف بالكويت مطلع القرن الثامن عشر بزعامة شيخهم خليفة بن محمد ، الذي كان احد اطراف حلف العتوب وكان قد قرر اسناد امور التجارة لآل خليفة[٣] .

العلاقات البحرينية ـ الكويتية في القرن الثامن عشر

وبسبب الرخاء التجاري الذي اصاب الجماعات المهاجرة في مستقرهم الجديد الكويت ، نتيجة نجاحهم في كسب رزقهم عن طريق صيد السمك والغوص على اللؤلؤ من مياه الخليج العربي وقريباً من مدخل شط العرب[٤] ،

---

١ ـ الصباح ، نشأة الكويت وتطورها في القرن الثامن عشر ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد ، ٤٦ ، السنة ، ١٢ ، الكويت ، رجب ١٤٠٦هـ / ابريل (نيسان) ١٩٨٦ م ، ص١٥ .

٢ ـ د . علي أبا حسين ، دراسة في تاريخ العتوب ، مجلة الوثيقة ، ع ١ ، س ١ ، البحرين ، مركز الوثائق التاريخية ، تموز ، ١٩٨٢ ، ص ص ٩٠ ـ ٩١ .

٣ ـ خالد سعود الزيد ، الكويت في دليل الخليج ، جـ١ ، السفر التاريخي ، ١٩٨١ ، ص ٥٢٢ .

٤ ـ Lockhart, Laurance: Outline of the History of Kuwait, The Royal

فقد ابدى الفرع التجاري للعتوب (آل خليفة) رغبته في التحرر من ذلك الحلف الذي مضى عليه حوالي خمسون عاماً والأنتقال الى الزبارة التي تقع شمال غرب شبه جزيرة قطر المواجه للبحرين ، وعلى ذلك عرض الشيخ محمد[1] آل خليفة عام ١٧٦٦ على الشيخ عبدالله بن صباح ان يسمح له ولافراد قبيلته بالأنتقال من الكويت ، فأستحسن شيخ الكويت هذا العرض وأعلن موافقته عليه وسمح لال خليفة وعشائرهم بمغادرة الكويت فغادروها الى البحرين وقطر[2] .

اختلفت الروايات في محاولة كل منها توضيح اسباب الهجرة ودوافعها المختلفة ، والتي وان تكون قد ارتبطت بظروف سياسية او اقتصادية ، وحسب الرواية التي يتناقلها كبار آل خليفة فقد كانت اهم الأسباب تتمثل في ان ابناء الشيخ محمد بن خليفة ذهبوا الى الدورق (الفلاحية) لجلب التمر للكويت ، فهاجمهم وهم في وسط النهر بعض قطاع الطرق من بني كعب فقتلوا واحداً من المهاجمين وفر الآخرون ، فأتت كعب الى الشيخ عبد الله بن صباح تطالب بدم قتيلها فطلب الشيخ عبد الله من الشيخ محمد بن خليفة ان يسلم له أبناءه ليمشي بهم الى كعب في الصلح[3] ، واخبره انه ليس بمقدور الكويت محاربة قبيلة كعب ، فأبى الشيخ محمد بن خليفة وقال : «ان بني كعب هي التي اعتدت على ابنائي الذين دافعوا عن انفسهم فقتلوا واحداً منهم فاذا هم يريدون الدية فأنا مستعد ان ادفع لهم بدل الدية ديات ،

Central Asian Society- Journal, VOL. XXX IV, (July - October 1947) P. 263.

١ ـ تولى الشيخ محمد آل خليفة زعامة الأسرة والقبيلة بعد وفاة والده الشيخ خليفة .

٢ ـ حسين خلف الشيخ خزعل ، تأريخ الكويت السياسي ، جـ ١ ، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص ٤٦ .

٣ ـ انظر عبد الله بن خالد آل خليفة ، من تاريخ العتوب في القرن الثامن عشر ، مجلة الوثيقة ، العدد ٤ ، السنة ٢ ، يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤ ، ص ١٧ .

فأشتد الخلاف بينهما مما ادى ان يهاجر الشيخ محمد بن خليفة وابناؤه ومن رافقه من العتوب من الكويت الى الزبارة»[1] .

وترجع كثير من المصادر اسباب ذلك الأنفصال بالقول ان اختيار عبد الله بن صباح للحكم وهو اصغر اولاد صباح عام ١٧٦٤ ، جعل آل خليفة غير راضين عن وضعهم الأقتصادي والاجتماعي في الكويت ، ومن ثم فكروا في المغادرة والتوجه الى قطر[2] ، فيما يرى آخرون ان تراكم الثروة في الكويت جعل آل خليفة يرغبون في التحلل من تحالفهم القديم ، لكي ينفردوا بالغنى وتحصيل الثروة في قطر ويكونوا قريبين من سواحل استخراج اللؤلؤ الرئيسة هناك[3] ، ولهذا تبرز الأسباب الاقتصادية بكونها العامل المحفز الذي دفعتهم الى الهجرة ، وبخاصة بعد ان توطدت علاقة آل خليفة بالبحر الذي اصبح يعتمدون عليه كمورد اساسي لرزقهم ونمط معيشتهم ، فضلاً عن ذلك فقد استثمروا خبرتهم الملاحية والتجارية والتي اكتسبوها عبر السنوات السابقة في موطنهم الجديد[4] ، الى جانب مشاعر الود والترحاب التي ابداها سكان الزبارة ازاء الشيخ محمد بن خليفة لبره وورعه وكرمه وحسن معاملته للأخرين كتاجر ماهر ، فلما حل بالزبارة ألتف حوله أهالي المدينة وصار يتولى

---

١ ـ آل خليفة ، تعليق على مقالات البحرين قديماً وحديثاً لسيف مرزوق الشملان المنشورة بجريدة الوطن ، مجلة الوثيقة ، العدد ٣ ، السنة ٢ ، رمضان ١٤٠٣ هـ / يوليو (تموز) ١٩٨٣م ، ص ٢١ .

٢ ـ د . احمد مصطفى ابو حاكمة ، محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٧ ، ص ٧٨ .

٣ ـ د . جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي دراسة لتاريخ الامارات العربية في عصر التوسع الاوربي الاول ١٥٠٧ ـ ١٨٤٠ ، جـ١ القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ٣٧١ .
Lockhart; OP. Cit, p. 266

٤ ـ نورية محمد الصالح ، علاقات الكويت السياسية بشرقي الجزيرة العربية والعراق العثماني ١٨٦٦-١٩٠٢ ، الكويت ١٩٧٧ ، ص ٤٨ .

تدبير امورهم وادارة شؤونهم ويرعى مصالحهم التجارية[١] .

وعلى العموم فأن عوامل كثيرة تضافرت مع بعضها البعض وادت بالتالي الى هجرة آل خليفة ومن تبعهم الى الزبارة[٢] ، ويبدو ان السبب المباشر للخلاف والهجرة هو اعتداءات بني كعب وردود فعل كل من الاسرتين عليهما[٣] ، وعلى الرغم من ذلك التصدع الذي تعرض له تحالف العتوب ، الا ان عتوب البحرين ظلوا محافظين على علاقات طيبة مع اخوانهم عتوب الكويت حيث شاركوا الاخيرين في تعمير الزبارة[٤] .

ولعل اوضح صور التلاحم الاخوي بين عتوب البحرين والكويت نجدها بارزة باشتراكهما سوية في تخليص البحرين من النفوذ الفارسي الذي ظل لسنوات عدة جاثماً عليها في عام ١٧٨٣ مستغلين اضطراب الاوضاع الداخلية في بلاد فارس ، فعلى اثر نجاح آل خليفة في موطنهم الجديد بالزبارة ، ازداد نفوذهم وقوتهم تبعاً لذلك وذاع صيتهم في المنطقة ، وهو الامر الذي اثار مخاوف الشيخ نصر آل مذكور حاكم بوشهر الواقعة على الساحل الشرقي من الخليج العربي ، وقد بذل جهوداً للأستيلاء على الزبارة وكانت له اطماع معروفة في البحرين وقطر وظل يتحين الفرص للاستحواذ عليهما واخراج آل خليفة من البحرين[٥] .

وحينما قامت قوات حاكم بوشهر التي تكونت من نحو خمسة آلاف

---

١ ـ محمود بهجت سنان ، تأريخ قطر العام ، بغداد ، مطبعة المعارف ، ص ٦٣ .

٢ ـ آل خليفة ، تأريخ العتوب ، ص ٧ .

٣ ـ لمزيد من التفاصيل انظر الصباح ، علاقات ، ص ٩٢ .

٤ ـ عثمان بن سند البصري ، سبائك العجد في اخبار احمد نجل رزق الأسعد ، بومباي ، ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧م ، ص ١٨ .

٥ ـ الصالح ، المصدر السابق ، ص ٤٩ .

محارب في بداية يونيو (حزيران) عام ١٧٨٢ بهجوم في محاولة لتدمير مدينة الزبارة المقابلة للبحرين وهي معقل آل خليفة واتباعهم ، فتصدى لها آل خليفة والجلاهمة والعتوب وانصارهم من عرب قطر والاحساء وقبائل كثيرة ، وتمكنوا من هزيمة المغيرين شر هزيمة واجبروهم على التراجع[١] ، وتشير المصادر التاريخية الى ان آل الصباح بعثوا بسفنهم الى منطقة الزبارة وهي تتألف من مراكب كبيرة وأخرى صغيرة وهي تروم مساعدة بني عمومتهم في محاربة اعدائهم[٢] ، الا انها لم تشترك في القتال لأن خبر الهجوم على الزبارة جاءهم متأخراً لذلك وصلت سفن الكويت الى منطقة النزاع بعد انتهاء المعركة[٣] ، غير ان هذه السفن ورجالها وهي في طريقها الى الزبارة ، التقت بقارب صيد صغير كان قد ارسله الشيخ نصر آل مذكور حاكم بوشهر الى ابنه عبد الرسول في البحرين ، ليخبره في الهزيمة ويحثه على الصمود حتى تصله المساعدات العسكرية في اقرب وقت من والده[٤] ، وعند ذلك توجهت سفن الاسطول الكويتي بسرعة من توه الى البحرين وحاصرت قلعة المنامة مركز آل مذكور واتباعهم لمدة شهر ثم وافتها قوات عتوب الزبارة[٥] ، وعندئذ اجتمعت القوات المتحالفة وقام آل خليفة والجلاهمة وآل الصباح وبعض قبائل آل مسلم من حويلة وآل بن علي من فويرط والسودان من الدوحة والمنانعة من ابو ظلوف

---

١ ـ Sir Charles Belgrave; The pirate Coast, Beirut , 1972, P. 123.

٢ ـ ابو حاكمة ، تاريخ الكويت الحديث ، ١٧٥٠ ـ ١٩٦٥ ، الكويت ، دار السلاسل ، ١٩٨٤ ، ص ٩٣ .

٣ ـ د . بدر الدين عباس الخصوصي ، دراسات في تأريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، جـ١ ، ١٩٧٨ ، ص ١١١ .

٤ ـ الصالح ، المصدر السابق ، ص ٤٩ .

٥ ـ جون . ب . كيلي ، بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠ ، جـ٢ ترجمة محمد امين عبد الله ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ، ص ٤٩ .

والنعيم النازلين داخل شبه جزيرة قطر[١] بهجوم مشترك على البحرين في ٢٨ يوليو (تموز) عام ١٧٨٣ ونجحوا في استردادها من التفوذ الفارسي[٢] ، وهكذا قدر لعتوب الكويت الذين لم يشاركوا في معركة الزبارة ان يقوموا بدور مشهود في استعادة البحرين لبني عمومتهم عتوب الزبارة ويسهموا في تحرير البحرين من الوجود الفارسي[٣] وبذلك عادت الاخيرة الى حكم آل خليفة بعد فترة احتلال اجنبي لم تدوم طويلاً .

توثقت العلاقات بين اسرتي آل خليفة في البحرين وآل الصباح في الكويت لتشمل مجالات اخرى غير السياسية والتجارية ؛ ومما يعزز ذلك ما اوردته المصادر التاريخية ان الشيخ خليفة بن محمد آل خليفة جد آل خليفة الاكبر قام ببناء مسجد الخليفة عند نزول الاخيرين الكويت ، وأوقف عليه نخلاً في القطيف ولكن النخيل بمرور الايام بقي في يد ابناء الشيخ احمد بن سلمان آل خليفة[٤] .

العلاقات البحرينية ـ الكويتية في القرن التاسع عشر

مع اطلالة القرن التاسع عشر شارك آل خليفة اخوتهم آل الصباح في الحروب التي خاضها الاخيرون ضد قبيلة كعب التي كانت تقطن منطقة الدورق في عربستان والتي تمتعت بنفوذ سياسي وتجاري في شمال الخليج العربي وقتذاك ، كما اخذت الكويت تأخذ نصيبها من الرخاء التجاري الذي

---

١ ـ انظر ابو حاكمة ، محاضرات ، ص ١١١ .

٢ ـ Richard, Nyrop; Area Handbook For the (persian) Gulf States, Washington, January 3, 1977- ,P. 26.

٣ ـ انظر الخصوصي ، المصدر السابق ، ص ١١١ .

٤ ـ آل خليفة ، تعليق ، ص ٢١ .

جلبه استخلاص البحرين واعادتها عام ١٧٨٣ الى حكم آل خليفة بسبب اشتهار البحرين بمغاصات اللؤلؤ ومصائد السمك واشتغال آل الصباح في امور التجارة ونقل البضائع وممارسة النقل البحري داخل منطقة الخليج العربي ، واستمرت علاقات المودة بين فرعي العتوب في البحرين والكويت قائمة ، فحينما قام سلطان بن احمد حاكم مسقط عام ١٨٠١ بالاغارة على البحرين وقف آل الصباح الى جانب اشقائهم آل خليفة وسمح الشيخ عبد الله بن صباح بلجوء بعض رؤوساء آل خليفة الى مدينة الكويت والذين كان قد طردهم حاكم مسقط من البحرين[١] .

وعلى ما يبدو فأن العلاقات الطيبة التي كانت تربط اسرتي العتوب في كلا القطرين الشقيقين قد اصابها الفتور بعد تولى الشيخ جابر الصباح (١٨١٤ـ ١٨٥٩) الحكم في الكويت حوالي عام ١٨١٤ ، الا انها استعادت قوتها منذ عام ١٨٣٠ ، اذ توثقت العلاقات الاخوية بين الجانبين وبقي حالها على هذه الصفة حتى حوالي عام ١٨٤٠[٢] .

إلا انه حين عقد شيخ البحرين عبد الله بن احمد معاهدة عام ١٨٣٩مع محمد افندي وكيل محمد علي باشا (حاكم مصر) في الاحساء بعد نجاح القوات المصرية في احتلال الدرعية عاصمة السعوديين ، اشتملت على وضع البحرين امكانياتها العسكرية والبحرية تحت تصرف قوات محمد علي ضد اية جهة تحاربها ، والتي كانت تروم جعل الخليج العربي منطقة نفوذ تابعة لها ، مستثنياً من ذلك الكويت التي قال عنها شيخ البحرين : « . . . إلا الكويت فان اميرها الذي هو جابر بن الصباح ،

---

١ ـ Abraham, parsons; Travels in Asia and Africa, London, 1808, P. 203;-

قاسم ، المصدر السابق ، ص ٣٤٩ .

٢ ـ ابو حاكمة ، تاريخ الكويت ، ص ٢٣٨ .

فأنه بن عمومتنا ولا يمكننا ان نمشي عليه بحرب»[1] .

ونظراً للصلات الطيبة التي توطدت بين البحرين والكويت خاصة في اربعينيات القرن التاسع عشر ، فقد كان الجانبان يتوسطان لحل الخلافات الأسرية التي تحدث احياناً ، كتلك التي نشبت في اعوام (١٨٤٠ ـ ١٨٤٣) بين الشيخ عبد الله بن احمد حاكم البحرين ومحمد بن خليفة الذي كان يتطلع الى تولي السلطة في البحرين [2] ، وفي هذه الظروف سارع الشيخ جابر الصباح شيخ الكويت بالذهاب الى البحرين في مهمة وساطة للتقريب بين وجهات نظر المتنازعين ورأب الصدع الذي عكر علاقاتهما ، ومعه اسطول مكون من ثماني سفن كبيرة ، ونجح في حمل الشيخ محمد بن خليفة على ان يدعو عبد الله الى ملاقاته في مؤتمر ودي يجمع بينهما ، الا ان الاخير رفض ذلك[3] ، وتذكر المصادر التاريخية الى ان الكويت على الرغم من وساطتها الاخوية وعدم نجاحها في مسعاها المذكور ، غير انها لم تكن راغبة في ان تترك اتباع ومؤيدي الشيخ عبد الله بن احمد المحاصرين في الدمام يلاقون مصيرهم ، نتيجة الحصار الذي فرضه الشيخ محمد بن خليفة عليهم لذلك بعثت الكويت بسفينتين تحملان المؤن والطعام الى المحاصرين ، وقد كان هذا الأمر الأخير سبباً في تأزم العلاقة بين البحرين والكويت خلال هذه المرحلة من تأريخهما المشترك ، خاصة بعد استيلاء الشيخ محمد بن خليفة شيخ البحرين على السفينتين المذكورتين[4] ، الا ان السلطات البريطانية تمكنت من التوسط بين الاطراف المتنازعة من آل خليفة ، وبعد سقوط الدمام

---

١ ـ محمد عرابي نخلة ، تاريخ الأحساء السياسي (١٨١٨-١٩١٣) الكويت ، ١٩٨٠ ، ص ص ٧٠-٨٢ .

٢ ـ الصالح ، المصدر السابق ، ص ٥٠ .

٣ ـ انظر الزيد ، المصدر السابق ، ص ٨٨ .

٤ ـ لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع الى الصالح ، المصدر السابق ، ص ٥١ .

لجأ الشيخ عبد الله بن احمد الى مدينة الكويت عام ١٨٤٤ ، ومع انه غادرها الى بوشهر الواقعة على الساحل الشرقي من الخليج العربي بعد ذلك ، الا انه عاد لاجئاً من جديد الى الكويت عام ١٨٤٥[١] .

كان من الطبيعي ان تستمر العلاقات بين أسرتي العتوب في البحرين والكويت وفي مجالات عدة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وان تتعزز مواقفهما المشتركة ازاء احداث وقضايا سياسية مع تأكيد الحرص على وحدة آل خليفة وحل الخلافات الأسرية التي تنشب بين افرادها احياناً وبالطرق السلمية ، مثلما حدث في عام ١٨٦٧ حين ابعد الشيخ محمد بن خليفة عن مشيخة البحرين وصار امر الاخيرة في يد اخيه علي ، فقد ارسل شيخ الكويت عبد الله الثاني بن صباح عام ١٨٦٨ اخاه محمد بن صباح الى البحرين في مهمة وساطة لحل الخلافات بين اسرة آل خليفة في البحرين ، الا ان مهمته لم تحقق اهدافها المرجوة اذ استمر النزاع قائماً بين الشقيقين[٢] ، الامر الذي اسهم في اشاعة حالة عدم الأستقرار في البلاد .

شهد الثلث الاخير من القرن التاسع عشر محاولات عثمانية هادفة الى مد نفوذها نحو امارات الخليج العربي ومنها البحرين ، وادت الكويت خلال تلك الفترة دوراً في دعم حملة الاحساء العثمانية عام ١٨٧١ الرامية الى تحقيق ذات الغايات وبرغم تعرض كل من البحرين والكويت لضغوط الباب العالي لجعلهما تابعتين لوالي البصرة لتحقيق الاهداف العثمانية[٣] ، الى جانب الخطر الذي شكلته القوى المحلية المجاورة للأمارتين العربيتين وفي

---

١ ـ المصدر نفسه .

٢ ـ انظر الشيخ خزعل ، المصدر السابق ، ص ١٣٥ .

٣ ـ جريدة الزوراء ، الأعداد ١٥٣ ، ٢٨ ربيع الاول سنة ١٢٨٨ ، كذلك ع ١٦٣ ، ٤ جمادي الاولى سنة ١٢٨٨ .

مقدمتها آل الرشيد في حائل اضافة الى بعض القبائل العربية المجاورة[1] ، وخلال تلك السنوات التي اتسمت بحدة ذلك الصراع وتضارب مصالح الاطراف المتنازعة فقد ظلت العلاقات بين البحرين والكويت اواخر القرن المذكور طيبة تسودها المودة والتعاون المشترك .

وعلى الرغم من ذلك كله وما اعترى علاقات العتوب في البحرين والكويت من حالات اضطراب وعدم صفاء وفي ظل اوضاع وظروف متباينة طيلة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ربما كانت بسبب اختلاف في وجهات نظر كل طرف ازاء مسألة معينة او تباين في الرأي واظهار اجتهاد معين في مواجهة احداث وقضايا تناول البحث بعضها في ثناياه ، غير ان الحقيقة التي برزت والتي يمكن تأشيرها فتتمثل في ان الروابط والصلات السياسية والتجارية والاجتماعية القائمة بين البحرين والكويت استمرت قائمة وذات صفة تحمل الطابع الودي في الغالب وهذا ما لمسناه بوضوح في حالة تعرض البحرين او الكويت لأي خطر خارجي ، فأن كل منهما لم يقف مكتوف الأيدي ازاء الاخطار التي تهدد كلا البلدين والتصدي لها بالوسائل المتاحة في تلك المرحلة من تاريخ الخليج العربي الحديث .

---

١ ـ N. J, Whigham; The Persian Problem, London, 1903, P. 104 -

الفصل السابع

تجارة البحرين
في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

المقدمة

كان من الطبيعي ان يؤدي موقع البحرين الجغرافي على الساحل الغربي من الخليج العربي وكثرة جزرها البحرية وامتلاك العتوب المهارة الملاحية والخبرة التجارية التي اكتسبوها منذ ان وطئت اقدامهم سواحل الخليج العربي بعد هجرتهم من نجد بداية القرن الثامن عشر ، اضافة الى دورهم المعروف كوسطاء في المبادلات التجارية بين مدن وموانئ الخليج العربي ودواخل شبه الجزيرة العربية تارة وبين المراكز التجارية الخليجية ومثيلاتها على ساحل شرقي افريقيا وبلاد الهند تارة اخرى ، الى تبوأ البحرين مكانة طيبة جعلت منها معبراً للتجارة الشرقية ومابين البصرة والهند ايضاً ، فضلاً عن ذلك فان اشتهار البحرين بمصائد اللؤلؤ الغنية والمهارة التي تمتع بها اهلها في صناعة السفن اللازمة لتوفير الوسائل الضرورية لعمليات النقل البحري بين تلك المناطق ، كلها امور جعلتها تحتل مركز الصدارة في الميدان التجاري عامة وفي تصدير اللؤلؤ الى العالم الخارجي بخاصة .

ان الاهمية التجارية الاستراتيجية التي تمتعت بها البحرين خلال مراحل التاريخ المختلفة والتي برزت بوضوح مطلع العصور الحديثة ، حينما اخذت القوى الاوربية وأولها البرتغاليون بالقدوم الى مياه الخليج العربي بداية القرن السادس عشر قد تزايدت في القرون اللاحقة بدليل اشتداد تنافس الشركات الاوربية فيما بينها كالانكليزية والهولندية والفرنسية للاستحواذ على خيرات البحرين واستمر ذلك حتى بداية القرن التاسع عشر تقريباً ، حين استطاعت بريطانيا من الانفراد لوحدها في السيطرة على المشيخات العربية وفرض هيمنتها عليها تباعاً بهدف حماية مصالحها التجارية المتنامية في البحرين

وباقي اجزاء المنطقة ، وعلى الرغم من محاولات بعض القوى الاوربية احتكار التجارة العربية ووضع العراقيل امامها عن طريق اتخاذها لاجراءات من شأنها تقييد حرية التجارة والعمل على اضعافها بفرض الرسوم العالية على ايراداتها هذا من جانب ، او بعدم السماح بخروج التجار العرب الى البحر دون ترخيص من تلك الشركات الاجنبية من جانب آخر ، فقد ظلت البحرين تؤدي دورها التجاري الملحوظ في منطقة الخليج العربي طيلة القرن الثامن عشر مع امتلاكها العدد الكبير من السفن وكثرة عوائدها المالية المتأتية من تجارة اللؤلؤ ، واستمرت تعمل محطة تجارية تأتيها السلع الشرقية كالتوابل والجواهر والعطور والحرير والقطن والانسجة الشرقية النفيسة لتتولى توزيعها على مدن البصرة ومسقط والزبارة وغيرها وكذلك المناطق الداخلية من شبه الجزيرة العربية ، فيما كانت السفن البحرانية تقوم بنقل تمور البصرة والقطيف الى مسقط وقلهات او بطريق البحرين الى الهند ، وهكذا انتعشت الحياة الاقتصادية لسكان جزر البحرين جراء كثرة وارداتها المالية والتي جاءت ثمرة لتنامي الوظيفة التجارية للبحرين واتساع حجم تجارتها مع مناطق الخليج العربي والعالم الخارجي نهاية القرن التاسع عشر .

تمتعت البحرين المؤلفة من مجموعة من الجزر بلغ عددها (٣٣) جزيرة بموقع جغرافي متميز جعل منها معبراً للتجارة مابين الهند والبصرة ، الامر الذي حتم على السكان الاهتمام بصناعة السفن لانها تعد الوسيلة الوحيدة للمواصلات بين الجزر البحرينية والعالم الخارجي[١] ، واشارت المصادر التاريخية الى ان اهل البحرين يعدون خبراء ممتازون في صناعة السفن منذ عصر ما قبل الاسلام وقد ذاع صيتهم في البحار لمهارتهم الملاحية وشجاعتهم

---

١ ـ كاظم باقر علي ، البحرية الفارسية في الخليج العربي دراسة لواقعها البحري ١٨٤٨-١٩٠٧ ، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، ١٩٨٢ ، ص ٧٠ .

في مواجهة العواصف الشديدة والانواء المتقلبة ، وكانت اشرعة السفن المصنعة في البحرين لا تقل شهرة عن صيتهم في صيد اللؤلؤ والمرجان وتجارتهما[١] . والواقع ان امتلاك البحرين ذلك العدد الكبير من السفن وتزايد ايراداتها المالية المتأتية من تجارة اللؤلؤ ، انما يعود الى ان مغاصها كان مشهوراً منذ عصور تاريخية قديمة وهو اكبر مغاص في العالم[٢] ، وقد اصبحت البحرين قاعدة الانطلاق العربي صوب فارس والهند خاصة بعد انشاء الاساطيل الاسلامية في عهد الخليفة الراشدي عثمان بن عفان (رض) ، وتوسعت القوة البحرية العربية في العهدين الاموي والعباسي ، وتطورت العلاقات التجارية العربية من بغداد الى بلاد الهند عبر موانئ الخليج العربي التي انتعشت في العهد العباسي كالبحرين والبصرة وهرمز وصحار[٣] .

وخلال العصور الوسطى كان تجار البحرين يعملون وسطاء في كثير من السلع بين فارس والعراق والهند ومصر ، فيصدرون الخيول واللؤلؤ وامتعة الهند الى مصر ويستوردون من هناك السكر والثياب المصرية المشهورة انذاك بجودتها[٤] ، وحين وصل الرحالة العربي ابن بطوطة الخليج العربي بالحقبة

---

١ ـ د . احمد الشامي ، العلاقات التجارية بين دول الخليج وبلدان الشرق الاقصى واثر ذلك في بعض الجوانب الحضارية في العصور الوسطى ، بحوث مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية ، جـ٢ ، لجنة تدوين تاريخ قطر ، الدوحة ، اتحاد المؤرخين العرب ٢٨-٢١ مارس (آذار) ١٩٧٦ ، ص ٣٣٦ .

٢ ـ رؤوف افندي عيسى ، مغاصات اللؤلؤ ، مجلة لغة العرب ، المجلد ١ ، جـ١٢ جمادى الاخرة ١٣٣٠ / ايار ١٩١٢ ، ص٤٨٤ .

٣ ـ د . محمود علي الداود ، ملامح التاريخ السياسي الحديث لمنطقة الخليج العربي ، مجلة الخليج العربي ، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، العدد ٨ ، ١٩٧٧ ، ص ١١ .

٤ ـ د . جاسم ياسين الدرويش ، تجارة البحرين في ظل الامارة العيونية ، مجلة الوثيقة ، العدد ٤١ ، السنة ٢١ ، البحرين ، مركز الوثائق التاريخية ، شوال ١٤٢٢ هـ / يناير (كانون الثاني) ٢٠٠٢ م ، ص ٤٠ .

ذاتها وهو في طريقه الى مكة اذ عبر الخليج العربي من ميناء سيراف الشهير ، ووصف البحرين بقوله : «انها مدينة فاخرة وكبيرة وبها بساتين واشجار وجداول والماء يشترى بثمن يسير ويكفي ان تحفر الارض بيديك لتجد الماء وفي هذا المكان حظائر النخيل كما يزرع الليمون والرمان والقطن»[1] .

ومع اطلالة القرن السادس عشر فقدت موانئ الخليج العربي ومنها جزر البحرين تجارة الشرق بسبب الاحتلال البرتغالي لها مابين اعوام (١٤٩٨-١٦٥٠) التي كانت تجتمع فيه ، وكان هذا بداية العزلة والانقطاع بين موانئالخليج العربي والموانئ العربية على البحر المتوسط ، ولم يسمح البرتغاليون للتجار العرب في الخليج العربي الخروج الى البحر دون ترخيص منهم ، واصبح الخليج العربي سوقاً لنشاط التجار والملاحين البرتغال من قاعدتهم في جزيرة هرمز ، ومنع البرتغاليون تصدير الخيول من جزيرة العرب بصفة خاصة الى الهند وذلك لاضعاف قوة الدويلات الاسلامية المحيطة بهم في هضبة الدكن من الناحية الحربية[2] .

لقد سبقت شركة الهند الشرقية الانكليزية بقية الشركات الاوربية بوصول سفنها مياه الخليج العربي مطلع القرن السابع عشر ، وكانت التجارة وتحقيق الارباح هو الهدف الاساسي للشركة الانكليزية ، فقد كان يحدوها الامل في الحصول على جزء من ثروات الشرق وخيراته وتوفير السلع الشرقية كالتوابل والعطور والجواهر والقهوة والحرير في الاسواق الانكليزية دون الاعتماد على بقية الشعوب الاوربية في ذلك[3] ، ومما ساعدها على تغلغل

---

١ ـ نقلاً عن ارنولدت . ويلسون ، الخليج العربي ، نقله الى العربية وقدم له د . عبد القادر يوسف ، الكويت ، مكتبة الامل ، ص ١٦٨ .

٢ ـ انظر د .محمد مرسي عبد الله ، الخلفية التاريخية لموانيء الخليج ، مجلة الخليج العربي ، العدد ٢٨ ، السنة ١١ ، ١٤٠٦ هـ /١٩٨٦م ص ٨ .

٣ ـ د . عبد الامير محمد امين ، المصالح البريطانية في الهند خلال القرنين السابع عشر

نشاطها التجاري شمال الخليج العربي هو ان الدولة العثمانية صادقت على منح الكثير من الامتيازات للدول الاوربية بمعاهدات وفرمانات ، اهمها تاثيراً على التجارة خلال القرن السادس عشر ذلك الامتياز الذي منحه العثمانيون للانكليز عام ١٥٨٠ واعطوا بموجبه امتيازات واسعة النطاق للتجار الانكليز كما وافقوا على تاسيس شركة الادنى الانكليزية تسهيلاً لهذا الغرض ، ولهذا وجد التجار الانكليز طريقهم من حلب الى بغداد ومن ثم الى الخليج العربي محاولين استخدام الطريق البري الى الهند والحصول على السلع والبضاعة الهندية عبره[1] ، فلا عجب ان تتأثر تجارة البحرين المجاورة للبصرة ايجابياً بهذا التحول الذي انعكست آثاره المباشرة على انتعاش حركة التجارة وكثرة تردد السفن على جزر البحرين .

جذبت البحرين اهتمام مسؤولي شركة الهند الشرقية الهولندية منذ عام ١٦٤٠ وتعزو المصادر الهولندية هذا الاهتمام بالبحرين الى كون الاخيرة جزيرة ماهولة بالسكان وفيها العديد من القرى ولها موارد غنية في تصدير التمور واشتهارها بمغاصات اللؤلؤ الذي تزايد الطلب عليه في اوربا الغربية ، وهو مادفع مدراء شركة الهند الشرقية الى توجيه اهتمامهم نحو ممارسة تجارة اللؤلؤ في الخليج العربي ، ومما يعزز ذلك الاهتمام الهولندي بالبحرين ارسال كارل كونستانت مدير المؤسسة الهولندية في بندر عباس عام ١٦٤٣كوبمان هندريك والخرت وهو من الاعضاء البارزين في هيئة الموظفين الى البحرين للبحث عن امكانيات التجارة فيها ولمعرفة اسرار تجارة اللؤلؤ ومحاولة بيع بعض المنتجات الهولندية في البحرين ، وقد استطاع بيع كمية قليلة من البضائع الهولندية

والثامن عشر واثرها في الخليج العربي ، مجلة الخليج العربي ، العدد٨ ، ١٩٧٧ ، ص ١٧ .

١ ـ د .طارق نافع الحمداني ، تجارة البصرة الخارجية ودورها في الخليج العربي خلال القرن السادس عشر ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، جامعة الكويت ، العدد ٣٤ ، السنة ٩ ، ابريل (نيسان) ١٩٨٣م / جمادي الآخرة ١٤٠٣ هـ ، ص ص ٦٨-٦٩ .

باسعار معقولة لان النفقات غير المباشرة التي كان يكلفها نقل تلك السلع عن طريق البحر من هولندا كانت كبيرة[1] .

وفي مقابل ذلك أكدت وثائق هولندية تمتع العتوب بالخبرة التجارية والمهارة الملاحية وامتلاكهم لاسطول بحري مؤلف من (٣٠٠) سفينة كانت تستخدم بالغوص على اللؤلؤ منذ عام ١٧٥٦ مما شكل خلفية تاريخية طيبة في امتلاك عتوب البحرين مهارات اساسية في ميدان العمل التجاري ، وورد ذلك في التقرير الذي كتب بواسطة (نيفهاوزن) مدير شركة الهند الشرقية الهولندية في خرج ومساعده (جان فان درهولست) عام ١٧٦٥ ، وقد وصفا في هذا التقرير المنطقة الساحلية للخليج العربي وسكانها ورفعا التقرير الى (جيكوب موسيل) الحاكم العام للشركة الهولندية ، ومما جاء فيه مايلي : «وبعد الفرات «الفاو» تأتي جزيرة فيلكة على الشاطئ العربي وتقع القرين مقابل فيلكا وتسكن هذه الاماكن قبيلة العتوب العربية ولديها (٣٠٠) سفينة معظمها صغير ويستخدمونها بالغوص على اللؤلؤ وهو المصدر الوحيد لمعيشتهم ، والمغاصات التي يرتادونها لصيد اللؤلؤ تقع بين البحرين من جهة ورأس بردستان قرب كنكون من جهة اخرى»[2] .

تطورت تجارة الخليج العربي في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ولعل ابرز مظاهر ذلك الانتعاش قد تجسدت في قدوم التجار من مناطق الهند وشرق افريقيا الى مدن وموانئ الخليج العربي للاتجار مع سكانها ، ومما يعزز

---

١ ـ ب ج . سلوت ، عرب الخليج في ضوء مصادر شركة الهند الشرقية الهولندية ١٦٠٢ ـ ١٧٨٤ ، ترجمة عايدة خوري ، ابو ظبي ، ١٩٩٣ ، ص ص ٩٤-٩٥ ، ص ص ١٧٥-١٧٦ .

٢ ـ عبد الله بن خالد آل خليفة ، د .علي ابا حسين ، من تاريخ العتوب في القرن الثامن عشر ، مجلة الوثيقة ، البحرين ، مركز الوثائق التاريخية ، العدد ٤ ، السنة٢ ، ربيع الآخرة ١٤٠٤ هـ/ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤م ص ص ١٦-١٧ .

ذلك ماأشار اليه الرحالة الدنماركي نيبور Niebouhr الذي زار المنطقة عام ١٧٦٥ بان ركاب السفن المحملة بالبضائع الواردة من الهند كانوا تجاراً في نفس الوقت وكان يتم بيع بضائعهم بسرعة حال نزولها في الاسواق الخليجية ، واضاف يقول : «ويتجمع التجار الهنود ليبيعوا بضائعهم التي تعرض من خلال مزايدة علنية حيث يتم بيع معظمها اما ماتبقى فيحمل الى المناطق الداخلية من شبه الجزيرة العربية»[١] ، وكانت الصادرات الهندية تقابل بصادرات من تمور البصرة ولآلىء البحرين التي كانت تحملها القوافل القادمة من حلب ، ومعظم هذه الصادرات تمر بمسقط وهي في طريقها الى الهند[٢] .

وبعد هجرة آل خليفة من الكويت الى الزبارة حوالي عام ١٧٦٦ بعد انفصام تحالف العتوب ، فقد ادى ذلك الى تعاظم دورهم التجاري والسياسي شمال الخليج العربي لنجاحهم في اقامة علاقات طيبة مع القوى القبلية المجاورة لهم وتواصل فعالياتهم التجارية عبر السياسة الحكيمة التي اتبعها عتوب البحرين ، كما ان تعرض البصرة الى غزو واحتلال الفرس لها في اعوام (١٧٧٥-١٧٧٦) بقيادة كريم خان الزندي قد اسهم بالتالي في ازدهار تجارة البحرين بسبب تمركز جزء كبير من تجارة اللؤلؤ وتجارة الهند وموانئ الخليج العربي مع البحرين وترتب على ذلك ان ازدهرت واردات البحرين المالية وانتعشت اوضاعها الاقتصادية[٣] ، فيما عاودت السفن العربية التي كانت

---

١ ـ M.C..Niebouhr; Travels Through Arabia and Other Countries in the East, vol.II,Edinbourgh, - 1 1792, P 388.

٢ ـ د .بدر الدين الخصوصي ، دور الموانيء الخليجية في قيام المنافسات الدولية في منطقة الخليج ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، جامعة الكويت ، الندوة العلمية الثانية (١٢-١٦ ابريل (نيسان) ١٩٨٥ ص٢٣ .

٣ ـ R. Haghes; Thomas; Selections From the Records of the Bombay Gorernment, Historical and 3-Other Information Connected with the province of Oman, Muscat - Bahrain, and Other places in the (persian) Arabian Gulf(New Series, No. xxiv) Bombay, 1850, PP.363-364.

ذلك ماشار اليه الرحالة الدنماركي نيبور Niebouhr الذي زار المنطقة عام ١٧٦٥ بان ركاب السفن المحملة بالبضائع الواردة من الهند كانوا تجاراً في نفس الوقت وكان يتم بيع بضائعهم بسرعة حال نزولها في الاسواق الخليجية ، واضاف يقول : «ويتجمع التجار الهنود ليبيعوا بضائعهم التي تعرض من خلال مزايدة علنية حيث يتم بيع معظمها اما ماتبقى فيحمل الى المناطق الداخلية من شبه الجزيرة العربية»[١] ، وكانت الصادرات الهندية تقابل بصادرات من تمور البصرة ولآلىء البحرين التي كانت تحملها القوافل القادمة من حلب ، ومعظم هذه الصادرات تمر بمسقط وهي في طريقها الى الهند[٢] .

وبعد هجرة آل خليفة من الكويت الى الزبارة حوالي عام ١٧٦٦ بعد انفصام تحالف العتوب ، فقد ادى ذلك الى تعاظم دورهم التجاري والسياسي شمال الخليج العربي لنجاحهم في اقامة علاقات طيبة مع القوى القبلية المجاورة لهم وتواصل فعالياتهم التجارية عبر السياسة الحكيمة التي اتبعها عتوب البحرين ، كما ان تعرض البصرة الى غزو واحتلال الفرس لها في اعوام (١٧٧٥-١٧٧٦) بقيادة كريم خان الزندي قد اسهم بالتالي في ازدهار تجارة البحرين بسبب تمركز جزء كبير من تجارة اللؤلؤ وتجارة الهند وموانئ الخليج العربي مع البحرين وترتب على ذلك ان ازدهرت واردات البحرين المالية وانتعشت اوضاعها الاقتصادية[٣] ، فيما عاودت السفن العربية التي كانت

١ـ M.C..Niebouhr; Travels Through Arabia and Other Countries in the East, vol.II,Edinbourgh, - 1 1792, P 388.

٢ـ د .بدر الدين الخصوصي ، دور الموانيء الخليجية في قيام المنافسات الدولية في منطقة الخليج ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، جامعة الكويت ، الندوة العلمية الثانية (١٢-١٦ ابريل (نيسان) ١٩٨٥ ص٢٣ .

٣ـ R. Haghes; Thomas; Selections From the Records of the Bombay Gorernment, Historical and 3-Other Information Connected with the province of Oman, Muscat - Bahrain, and Other places in the (persian) Arabian Gulf(New Series, No. xxiv) Bombay, 1850, PP.363-364.

تفد من البحرين الى البصرة نشاطاتها وهي محملة بمختلف انواع السلع وبخاصة اللؤلؤ الذي كان يرسل الى حلب واستانبول في السنوات التي اعقبت خروج القوات الفارسية من البصرة[1] .

من جانب آخر ادى فتح العتوب للبحرين عام ١٧٨٣ الى تنشيط التجارة في هذه الجزر لان المهاجرين العرب سرعان ما اصبح لديهم اسطولاً تجارياً وصاروا هم الذين يقومون بعمليات نقل البضائع مابين مسقط والبصرة وغيرها من مدن وموانئ الساحل الغربي من الخليج العربي ، ولم يكن شيوخ العتوب يتقاضون رسوما على الاستيراد في بداية الامر وكانت مصالح التجار تلقى من جانبهم الرعاية الكاملة ، وكان اهل البحرين عندئذ يسيطرون سيطرة شبه كاملة على تجارة اللؤلؤ في الخليج العربي وكانت وارداتهم من الهند - التي قدرت في ذلك الوقت بحوالي (٦٠) لاكات من الروبيات كل سنة ـــ يدفع معظم قيمتها باللؤلؤ من سوق مسقط[2] ، الى جانب السياسة التي اتبعها عتوب البحرين في ارساء علاقات التعاون مع القوى المحلية المجاورة لهم بعد استقرارهم بالجزر المذكورة وهو ما اسهم في انتعاش البحرين التجاري .

شهد عقد الثمانينيات من القرن الثامن عشر شراء اهالي البحرين سفن باحجام كبيرة من الهند ليتمكنوا بواسطتها من نقل كميات اكبر من البضائع الى مناطق مختلفة من الخليج العربي وخارجه ، ومما يعزز ذلك التقرير الذي كتبه (صموئيل مانيستي) و (هارفورد جونز) عام ١٧٩٠ عن تجارة بلاد العرب وفارس وورد فيه الآتي : «ان عتوب البحرين والكويت والزبارة في عهد

---

١ ـ د .حسين احمد القهواتي ، اضواء عليتجارة البصرة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، مجلة الخليج العربي ، المجلد ١٢ ، العدد ٢ ، ١٩٨٠ ، ص٢٣ .

٢ ـ ج .ج . لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٣ ، ترجمة ديوان امير قطر ، الدوحة ، ١٩٧٥ ، ص١٢٧٤ .

الشيخين احمد بن خليفة شيخ البحرين وعبد الله بن صباح شيخ الكويت كانوا يمتلكون القوارب العديدة الكبيرة ، وانهم احتكروا قسما كبيرا من التجارة القائمة بين مسقط والبصرة»[١] .ويذكر الدكتور عبد الامير محمد امين الى ان قيمة صادرات لآلى البحرين التي تم تصديرها الى الهند خلال القرن الثامن عشر قد قدرت بـ (٥٠٠) ألف روبية[٢] ، الامر الذي ترك آثاره الايجابية على نشاط شركة الهند الشرقية الانكليزية التي اصبح الميزان التجاري في منطقة الخليج العربي لصالحها بعد ضعف المنافسة الفرنسية عقب اندحار فرنسا امام بريطانيا عام ١٧٦٠ ، وصارت المناطق المطلة على الخليج العربي من الاسواق الرئيسية للشركة واخذت العملات الذهبية تخرج من مناطق الخليج العربي دون قيود بما فيها اللؤلؤ[٣] ، ومما يؤكد ما ذهبنا اليه ماذكره مايلز بان اغنى احواض صيد اللؤلؤ هي التي تقع بالقرب من جزر البحرين التي تعبئ سنوياً (٢٥٠٠) مركبا لهذه العمليات[٤] .

وعلى الرغم من تعرض البحرين لاخطار خارجية في العقود الاولى من القرن التاسع عشر وهو ما اسهم في تراجع مركز الاخيرة التجاري ، الا ان المصادر التاريخية اوردت احصائيات عن صادرات البحرين وواردتها في منتصف العقد الثاني من القرن المذكور مع البلدان والمناطق الاخرى ، مما يشير

---

١ ـ نقلاً عن د . نجاة عبد القادر القناعي ، د . بدر الدين عباس الخصوصي ، تاريخ صناعة السفن في الكويت وانشطتها المختلفة ، الكويت ،١٩٨٢ ، ص١١٩ .

٢ ـ امين ، المصدر السابق ، ص٢١٣ .

٣ ـ د . مصطفى عبد القادر النجار ، شركة الهند الشرقية ملامحها وابرز سماتها في الخليج العربي ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد ١٥ ، السنة ٤ ،١٩٧٨ م / رجب ١٣٩٨ هـ ، ص ١٠٥ .

٤ ـ س . ب . مايلز ، الخليج بلدانه وقبائله ، ترجمة محمد امين عبد الله ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ،١٤٠٢ هـ /١٩٨٢ م ، ص ص ٣٤٣ -٣٤٤ .

الى احتفاظ البحرين بوظيفتها التجارية التي وثقتها تلك المعلومات ، والجدول الاتي يبين صادرات البحرين والموانئ المصدرة لها خلال عام ١٨٢٤ بالريال النمسوي (الكروان الجرماني) .

جدول رقم (١)

جدول تقديري يبين صادرات البحرين والموانئ المصدر لها خلال عام ١٨٢٤[١]

السلع	الموانئ المصدر ليها	القيمة بالريال النمسوي (الكراون الجرماني)
لالئ	الهند	١,٢٠٠,٠٠٠
لالئ الجزيرة العربية ـ تركيا والبصرة		٣٠٠,٠٠٠
لالئ	فارس	١٠٠,٠٠٠
بلح مجفف	الهند والسند	١٥,٠٠٠
بلح مجفف	فارس	١,٢٠٠
قماش القنب البحريني الهند		٣,٠٠٠
=	البصرة	٥,٠٠٠
=	الكويت	٥,٠٠٠
=	فارس	٣,٠٠٠
الحصران	فارس	١,٢٠٠

١ ـ نقلا عن خالد خليفة الخليفة ، تجارة البحرين منذ فتح العتوب وحتى ظهور النفط ، مجلة الوثيقة ، العدد ٧ ، السنة ٤ ، شوال ١٤٠٥هـ / يوليو (تموز) ١٩٨٥ م ص ٣٦ .

=	البصرة	١,٢٠٠
=	الكويت	٨٠٠
زعانف سمك القرش	الهند	٢,٠٠٠
ذبل	الهند	٣,٥٠٠
عصار البلح (الدبس)	فارس	٢,٠٠٠
الحام الملون	البصرة	١,٠٠٠
نثريات	مناطق مختلفة	٥,٠٠٠
المجموع		١,٦٤٨,٩٠٠

يتضح من الجدول رقم (١) ان صادرات البحرين كانت تعتمد اعتماداً اساسياً على تصدير اللؤلؤ حيث بلغ مجموع ماصدر من لآلىء البحرين الى مناطق مختلفة خلال عام ١٨٢٤ حوالي (١,٦٠٠,٠٠٠) ريال نمسوي (مايساوي ٣٢٠,٠٠٠ جنيه استرليني) ويشكل هذا الرقم حوالي(٩٧,٣٪) من مجموع الصادرات ، ويلي اللؤلؤ البلح بـ (١٦,٢٠٠) ريال (٩٨٪) ثم القنب البحريني بـ (١٦,٠٠٠) ريال (٩٧٪) ويشكل حجم السلع حوالي ١,٠٢٪ من مجموع الصادرات[١] .

١ ـ انظر الخليفة ، المصدر السابق ، ص ٣٧ .

جدول رقم (٢)

جدول تقديري لواردات البحرين خلال عام ١٨٢٤ والموانئ المستوردة منها[١] :

السلع	الموانئ المستورد منها	القيمة بالريال النمساوي
أرز مانجلور	(الهند)	٦٠,٠٠٠
أرز البنغال	(الهند)	٢٤,٠٠٠
سكر	الهند	١٢,٠٠٠
قصب سكر	الهند	٥,٠٠٠
توابل	الهند	١٠,٠٠٠
سبائك اللحام	الهند	٢,٠٠٠
حديد	الهند	١٠,٠٠٠
قصدير	الهند	٢,٤٠٠
فولاذ	الهند	١,٠٠٠
اخشاب	الهند	١٧,٠٠٠
ألياف جوز الهند	الهند	٥,٠٠٠
اقمشة	الهند	١٠٠,٠٠٠
قرفة	الهند	٦٠٠
بهارات أخرى	الهند	٤,٠٠٠
مسك	الهند	٢,٠٠٠
أصباغ	الهند	٥,٠٠٠

---

١ ـ المصدر نفسه ، ص٣٨ .

كركم	الهند	٤,٥٠٠
كافور	الهند	٤,٠٠٠
خشب الصندل	الهند	٢,٠٠٠
مخدرات مختلفة	الهند	٥,٠٠٠
تمر الهند	الهند	٢,٠٠٠
نثريات	الهند	١,٨٠٠
قهوة	البحر الاحمر ومسقط	٩٣,٠٠٠
فاكهة مجففة وحبوب وبعض صادرات		
الهند مسقط والساحل الفارسي		٢٠٠,٠٠٠
بلح وحبوب	البصرة	٢٠٠,٠٠٠
نثريات	مناطق مختلفة عدا الهند	٣٠,٠٠٠

ويوضح الجدول رقم (٢) حجم واردات البحرين خلال نفس الفترة المذكورة واهم الموانئ المصدرة لهذه السلع حيث يتبين ان صادرات الهند تمثل حوالي (٣٥,٢١٪) من مجموع الواردات ثم تأتي البصرة بحوالي (٢٤,٧٧٪) وفارس بأقل من (٢٤,٧٧٪) والبحر الاحمر ومسقط باكثر من (٥١ ، ١١٪) ومناطق مختلفة بحوالي (٧١ ، ٣٪) . ومن الجدير بالذكر ان معظم واردات البصرة وفارس كان يعاد تصديرها الى الهند[١] .

استمرت تجارة اللؤلؤ تحتل المقدمة في صادرات البحرين في عقد الثلاثينيات من القرن التاسع عشر ، واشارت المصادر التاريخية الى ان عدد

---

١ ـ الخليفة ، المصدر السابق ، ص ٣٩ .

سفن الغوص على اللؤلؤ كانت عام ١٨٣٣ (١٥٠٠) سفينة ، وعلى ظهر كل سفينة ما يقرب من (٦٠) شخصاً يجمعون ما تزيد قيمته عن (٣٥) مليون روبية[١] فيما ظلت الهند تعد السوق الرئيسية لتجارة اللؤلؤ التي ازدهرت تجارتها وهي تعتمد على اللؤلؤ المستخرج من اعماق الخليج العربي حتى ان بعض تجارها كانوا يسافرون الى بومباي او يرسلون بضاعتهم اليها ، وهناك يتم تصنيف اللؤلؤ واعداده للتصدير الى الاسواق الاوربية ، وكانت اجزاء منه ترسل الى بغداد وخاصة اللآلئ البيضاء ، اما اللآلئ الصفراء فلها سوق رائجة في الهند الامر الذي انعكس ايجابياً على تزايد اعداد السفن العاملة في الغوص على اللؤلؤ ، وقد دفع هذا الانتعاش الاقتصادي بسلطات حكومة بومباي الى فرض المزيد من الرسوم والضرائب الجمركية على السفن البحرينية مما اضطر الشيخ محمد بن خليفة شيخ البحرين عام ١٨٤٣ على تقديم شكوى الى بروس Bruce المقيم البريطاني في الخليج العربي ، منتقداً تلك الاجراءات التي ألحقت الضرر بالاقتصاد البحريني وهدد بأنه ما لم يتم التوقف عن فرض تلك الرسوم المالية فانه سيجد نفسه مضطراً لأن يضع نفسه تحت حماية الدولة العثمانية[٢] .

واعتباراً من النصف الثاني من القرن التاسع عشر استعادت تجارة البحرين دورها الملحوظ كاملاً مع استقرار اوضاعها الداخلية وزوال الاخطار الخارجية المهددة للامارة والتي استغرقت سنوات عدة من النصف الاول من القرن المذكور ، وقد اشارت المصادر الروسية لعام ١٨٥٣ ان احسن انواع اللؤلؤ هي التي تستخرج من جزر البحرين ، وتساهم في موسم الصيد حوالي (٤٥٠٠) سفينة والذي يبدأ في شهر حزيران حتى نهاية تشرين الاول ، ويبلغ معدل

---

١ ـ قدري قلعجي ، الخليج العربي ، بيروت ، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٥ ، ص ٦٥٤ .

٢ ـ محمد جابر الانصاري ، لمحات من الخليج العربي ، ١٩٧٠ ، ص ٦٥ ؛

- Thomas, OP. Cit , P. 418 .

الناتج السنوي حوالي (١٢,٥٠٠,٠٠٠) فرنك ، يقع القسم الاكبر من ناتج اللؤلؤ بيد المرابين الهنود ويشحن من ميناء لنجة الى بومباي[١] ، وهناك يتولى التجار بيع اللآلى المختلفة الانواع والاحجام في المدن الهندية بمبالغ عالية جداً ، حتى صار الاقبال عليها شديداً من قبل المهراجات (الامراء الهنود) الذين كانوا يدفعون فيها مبالغ خيالية ، كما تزايدت اعداد السفن العاملة بالغوص على اللؤلؤ كما اورد ذلك الرحالة البريطاني بلكريف Palgrave عام ١٨٦٢ بقوله انها لاتقل عن (٢٠٠٠ ـ ٢٥٠٠) سفينة[٢] ، وحسب تقرير الكولونيل بلي Pelly المقيم البريطاني في الخليج العربي والمؤرخ عام ١٨٦٣ فقد قدرت ايرادات الساحل العربي من اللؤلؤ في ذلك العام بـ (٤) ملايين دولار حصة البحرين منها (٣,٥) مليون دولار[٣] .

وبسبب الهيمنة البريطانية على الخليج العربي اواخر القرن التاسع عشر وماتركته من تاثير مباشر ادت الى تبدل شامل في العلاقات الاقتصادية السائدة في المنطقة وتمثل ذلك بظهور نوع من التخصص السلعي هناك ، اذ استندت الحياة الاقتصادية في الخليج العربي على تجارة اللؤلؤ التي ظلت هي الغالبة على باقي انواع التجارة[٤] ، كما كان سكان دواخل شبه الجزيرة العربية يأتون الى البحرين وهم يحتاجون البضائع الهندية كالعقاقير ومواد الملابس

---

١ ـ آد اموف ، التجارة الدولية في الخليج العربي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ترجمة د . نوري عبد البخيت ، مجلة الخليج العربي ، العدد ٩ ، ١٩٧٨ ، ص١١٧ .

٢ ـ W. G. Pelgrave; Narrative of Ayear Journey Through Central and Eastern Arabian -(1862-1863) vol..11,London, 1865, P.214.

٣ ـ J. A. Saldanha; Precis Of Correspondence Regarding the Affairs of the (Persian Gulf) - vol..11, (1834-1871) Calcutta, 1906 (Reprinted in 1986) P.122.

٤ ـ د .خلدون النقيب ، المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٩ ، ص ص ٩٠-٩١ .

والتوابل[1] وهو ما انعكست آثاره الايجابية على ازدهار تجارة البحرين ، وقد اسهم ذلك بدوره في ظهور مراكز تجارية على الساحل الشرقي من الخليج العربي ، فقد كان لنجة يعد الميناء الثاني على الساحل الشرقي بعد ميناء بندر عباس لكنه لايملك أي اتصال مع المناطق الداخلية لبلاد فارس لوجود الهضاب العالية والصحاري الخالية من الماء التي تفصله عن داخل بلاد فارس وتجعله قليل الانتعاش ، لكنه تحول الى مركز للتجارة الهندية والاوربية التي تنقل بعد ذلك الى البحرين ومسقط وبقية الموانئ العربية الاخرى[2] .

من جانب آخر ظلت البحرين محتفظة بثقلها التجاري وسمعتها المحلية والعالمية في الحقبة ذاتها ، فقد عرفت كمحطة تجارية تشتهر ببيع الخيول العربية التي تجلب من المناطق الداخلية من شبه الجزيرة العربية وفي المنامة عند باب البحرين توجد مخازن هندية كبرى تقدم كل مايباع من بضائع مختلفة[3] ، وهكذا اصبحت البحرين نهاية القرن التاسع عشر اكبر مركز تجاري في منطقة الخليج العربي وصار حجم تجارتها يشكل حوالي (٤٥,٧٪) من مجموع حجم التجارة في موانئ الخليج العربي المختلفة ، واشارت المصادر التاريخية الى ان موانئ البحرين باتت تدار خلال هذه الفترة من قبل الهنود المقيمين في البلاد مقابل دفع مبالغ معينة للاحتفاظ بهذا الامتياز ، وكونت صادرات الهند حوالي (٣٥,٢١٪) من مجموع الواردات كما قدرت ذات المصادر ان حوالي (٤٧,٢٠٪) من مجموع الصادرات البحرينية كان يصدر الى الهند[4] .

---

١ ـ Andrew, Crichon; History of Arabia and Its people, London and Edinburah, 1852, P.526.

٢ ـ انظر أد اموف ، المصدر السابق ، ص ١١٤ .

٣ ـ Iranian Controversy, Fereydun. Adamiyat; Bahrain Islands, Alegal Diplomatic Study of - the British, New York, 1935. p 3.

٤ ـ لمزيد من التفاصيل انظر الخليفة ، المصدر السابق ، ص ص ٣٢ ـ ٣٧ .

يتبين لنا من العرض السابق كيف تميز تاريخ البحرين الحديث الذي وثقته مفردات البحث وموضوعاته بتواصل الانشطة التجارية المختلفة لسكان البحرين على الرغم من المخاطر الاقليمية والدولية التي تعرضت لها جزر البحرين ، والدور الذي اداه العتوب في عمليات التبادل التجاري في عموم مناطق الخليج العربي والجهود التي بذلوها بهدف الحفاظ على قوافلهم التجارية وسلامة رحلاتهم البحرية المتجهة الى المناطق الدأخلية من شبه الجزيرة العربية او تلك التي تتعامل مع مدن وموانئ الخليج العربي المختلفة ، وقد تمكنوا من اقامة علاقات طيبة مع القوى القبلية المجاورة لهم والبلدان الخارجية اساسها الثقة وتحقيق المنافع المتبادلة لكل الاطراف ، ثم اتسع دور البحرين التجاري بعد فتح العتوب لجزر البحرين وتخليصها من السيطرة الاجنبية عام ١٧٨٣ ، فضلاً عن ذلك فان نجاح البحرانيين في صناعة السفن اللازمة لادامة وظيفتهم التجارية وهو ماعد تلبية لحاجة ملحة املتها عليهم ظروف وتطورات عملهم التجاري ، الامر الذي زاد من قوة اسطولهم البحري وقدرتهم على نقل وتبادل البضائع مع جهات عدة داخل الخليج العربي وخارجه ، كما ازدادت عائداتهم المالية جراء افادتهم من وجود اكبر مغاص على اللؤلؤ على سواحل بلادهم واستمرار الطلب عليه من الاسواق العالمية ، وهو ما ضاعف من حجم تجارة البحرين التي احتلت مكان الصدارة من صادرات الخليج العربي وارداته خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر من خلال ما اورده البحث من الاحصائيات التي ضمتها الجداول المرفقة والتي عززت حقائق البحث واستنتاجاته .

الفصل الثامن

الاهتمام البريطاني في البحرين
حتى عام ١٨٤٠

المقدمة

ظهر الانكليز لأول مرة في الخليج العربي منذ بداية القرن السادس عشر بعد وصول سفن شركة الهند الشرقية التي أسست عام ١٦٠٠ والتي تعاملت بالتجارة مع موانئ ومدن المنطقة ، وخلال القرن الثامن عشر انهمك الانكليز في صراع مكشوف ضد القوى الاوربية المنافسة لهم كالهولنديين والفرنسيين لاجل المحافظة على مصالحهم المتنامية في الخليج العربي ، وقد زادت بريطانيا من نشاطها العسكري والسياسي والاقتصادي في نهاية القرن المذكور عندما قام نابليون بالاستيلاء على مصر عام ١٧٩٨ واخذ يعد العدة للاتجاه نحو الشرق والتفاهم مع قيصر روسيا من جهة ومع امير ميسور الهندي تيبو صاحب وسعيد بن سلطان حاكم مسقط ، ومن جهة اخرى عدت بريطانيا المشروع الفرنسي بانه يشكل تهديداً خطيراً لمصالحها المتزايدة في الخليج العربي ولوجودها في الهند .

وبينما كانت بريطانيا تسعى جاهدة لأبعاد أي منافس دولي آخر يزاحمها السيطرة على مناطق النفوذ بالمنطقة ، وعلى الرغم من فشل المخططات الفرنسية تلك ، فقد كانت الحكومة البريطانية تعمل من جهة اخرى على دعم سيطرتها على عموم الخليج العربي وحمل شيوخ الامارات العربية على الانصياع للمطالب والارادة البريطانية ، ولاجل تحقيق ذلك حاولت بريطانيا ربط شيوخ المنطقة بعدة معاهدات تضمن من خلالها الحفاظ على مصالحها التجارية ، ومع ذلك فان السلطات البريطانية كثيراً ما لجأت الى استخدام القوة ضد مقاومة القبائل العربية التي عارضت وبشدة الوجود الاجنبي ، وبرز ذلك واضحاً في الحرب التي شنتها بريطانيا ضد القواسم والتي انتهت كما هو

معروف في معركة رأس الخيمة عام ١٨١٩ لصالح البريطانيين ، وهكذا تم تثبيت دعائم النفوذ البريطاني هناك ، واعقب ذلك اجبار بريطانيا الشيوخ العرب على توقيع معاهدة عام ١٨٢٠ التي اطلق عليها اتفاقية السلم البحري وتعهد فيها الشيوخ بعدم التعرض للتجارة البريطانية والحفاظ على الامن في مياه الخليج العربي .

احتلت البحرين اهمية في توجهات حكومة الهند البريطانية لفرض سيادتها على موانئ ومدن الخليج العربي الشرقية والغربية بسبب اهميتها الاقتصادية والاستراتيجية للمصالح البريطانية باعتبارها تمثل ميناءاً ونقطة عبور للاحساء والقطيف ، وقد اتخذت العلاقات البريطانية مع البحرين والتي ابتدأت منذ عام ١٨٠٥ طابعاً تجارياً وتطورت بمرور الوقت بسبب اشتهار الاخيرة بمغاصات اللؤلؤ ومصائد السمك اضافة الى ثروتها الزراعية وموقعها الجغرافي وامتلاكها لجزر كثيرة ، وللدلالة على تعاظم الاهتمام البريطاني بالبحرين هو الزيارات العديدة التي قام بها المسؤولون البريطانيون لشيخ البحرين والتباحث معه في الامور المتعلقة بتوطيد علاقات بلاده مع السلطات البريطانية وفي مقدمتهم المقيم العام في الخليج العربي ، وتعاون الجانبين فيما اطلق عليه بمحاربة تجارة الرقيق والامتناع عن اعمال القرصنة على حد وصف المسؤولون البريطانيون واستغرق ذلك العقود الثلاثة من القرن التاسع عشر .

ولم تقتصر اهمية البحرين بدورها في الحفاظ على المصالح التجارية البريطانية وانما تعدى ذلك الى اتساع مكانتها الاستراتيجية ، خاصة بعد بروز تطلعات حكام مسقط للسيطرة على جزر البحرين ، وتزامن ذلك مع ظهور السعوديين كقوة سياسية انطلقت من قلب الجزيرة العربية صوب سواحل الخليج العربي والذين اصبحوا يشكلون خطراً على اجزاء من تلك المناطق بما

فيها البحرين خاصة بعد تحالفهم مع القواسم والتي تعرضت لعدة هجمات سعودية ، ثم جاء عقد الثلاثينيات من القرن التاسع عشر الذي شهد توغل القوات المصرية الى قلب الجزيرة العربية واحتلال نجد عام ١٨٣٦ ، ثم اندفاع تلك القوات نحو سواحل الخليج العربي بوصولها الى الاحساء والقطيف ، وما اعقب ذلك من نجاح محمد رفعت افندي ممثل محمد علي باشا في توقيع اتفاقية مع الشيخ عبد الله بن احمد آل خليفة عام ١٨٣٩ ،.ليهدد المصالح البريطانية في الصميم ويدفع بحكومة الهند الى اتخاذ اجراءات حاسمة بما فيها التهديد بأستخدام القوة العسكرية للحيلولة دون اتساع النفوذ المصري ، فيما راحت الدبلوماسية البريطانية تعمل وبشتى السبل على تحريض الدول الاوربية لوقف التوسع المصري وهذا ما سيحاول البحث متابعته مستشهداً بالامثلة والاحداث التاريخية .

البحرين في السياسة البريطانية حتى عام ١٨٢٠

دخلت بريطانيا الى منطقة الخليج العربي نتيجة استعمارها للهند اذ عدتها احدى الخطوط الامامية للدفاع عن مستعمرتها الكبرى ، وقد استغل الاستعمار البريطاني اوضاع المنطقة لتحقيق اغراضه فرسخ التجزئة بعد ان قسمها الى كيانات سياسية ضعيفة ، ثم لجأ الى تغذية وتشجيع الحروب القبلية والخلافات العائلية بين حكام هذه الاجزاء تدعيماً منه لهذه التجزئة ، ولكي يحول الانكليز بين تلك المشيخات وبين الاتصال بأية دولة اخرى عمدوا الى فصل التعهدات الثنائية والجماعية التي مكنتهم من تثبيت هذا الواقع المجزأ ، وحتى يحكموا قبضتهم على المنطقة ، اتخذوا لأنفسهم شعارات ومبادئ انسانية سامية كرغبتهم في القضاء على ما اسموه القرصنة ومحاربة تجارة الرقيق ، وكانت نفس تلك الشعارات سبيلاً سلكته السلطات الانكليزية

للوصول الى فرض حمايتها على المشيخات العربية لاحقاً[1] .

كانت البحرين من اولى الاماكن التي جلبت اليها اهتمام ممثلي شركة الهند الشرقية الانكليزية التي وصلت سفنها التجارية الى مياه الخليج العربي منذ مطلع القرن السادس عشر ، فقد كان توماس الدورث الذي عين رئيساً لوكالة سورات لدى انشائها بداية عام ١٦١٣ منهمكاً في البحث عن اسواق جديدة خارج الهند ، وكتب عن البحرين في السنة الاولى من توليه العمل يقول : «اقترح ان تأتي الى البحرين سفينة تتراوح حمولتها بين (٢٠٠ و٣٠٠) طن واعتقد ان هذه المنطقة ستستهلك الحمولة كلها ، فأهل البندقية يوردون لها الثياب عن طريق البر ويرجعون محملين بحرير ايران ، واعتقد ايضاً انه خلال زمن قصير سيصبح استهلاك البحرين من الثياب يعادل استهلاك سورات تماماً» واعقب ذلك تزايد اهتمام الشركة الانكليزية على اقامة وكالة تجارية لها في بلاد فارس ، الا ان سجلات الشركة كانت قد اشارت الى اهمية البحرين منذ عام ١٦٢٥ للحفاظ على المصالح الانكليزية المتنامية في منطقة الخليج العربي بسبب اشتهارها بمغاصات اللؤلؤ ذات المردودات المالية[2] .

واجهت شركة الهند الشرقية الانكليزية في محاولاتها ايجاد موطئ قدم لها في جزر البحرين منافسة القوى المجاورة للاخيرة وفي وقت مبكر من التاريخ الحديث وفي مقدمتها اطماع الفرس الذين كانوا يدعون انها امتداد لأراضيهم ولهم ادعاءاتهم في المطالبة بالسيادة على البحرين ، وقد حاولوا

---

١ ـ د . بدر الدين عباس الخصوصي ، الخليج العربي والمطامع الاستعمارية ، مجلة كلية الاداب والتربية ، العدد ٣ و ٤ ، حزيران (يونيو) ١٩٧٣ ـ جمادي الاولى ١٣٩٣ ، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ ـ ذو العقدة ١٣٩٣ ، ص ص ٢٤١-٢٤٢ .

٢ ـ نقلا عن ج . ج ، لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٣ ، ترجمة ديوان امير قطر ، الدوحة ، ١٩٧٥ ، ص ص ١٢٦٩ ـ ١٢٧٠ .

استغلال التحالف الانكليزي ـ الفارسي الموجه ضد البرتغاليون كي تأمرهم بريطانيا باحتلال البحرين وتساعدهم لتحقيق ذلك ، غير ان مسؤولي حكومة الهند كانوا يقابلون تلك المساعي بالرفض القاطع وقد اتخذوا موقف الضغط والتهديد من الحكومة الفارسية حين حاولت الاخيرة غزو جزر البحرين خلال القرن السابع عشر ، ولم تستطع فارس تحقيق اهدافها ولم يبق امامها الا ان تتراجع ولو مؤقتاً بادعاءاتها في البحرين[1] .

وعقب تولي آل خليفة الحكم في البحرين عقب تحريرها من السيطرة الاجنبية عام ١٧٨٣ ، فقد تزامن ذلك مع اشتداد التنافس البريطاني الفرنسي للسيطرة على مناطق النفوذ في الخليج العربي وبلاد الشرق اواخر القرن الثامن عشر ، وخلال تلك الحقبة كان عتوب البحرين بحاجة الى دولة قوية تساندهم في مواجهة مخاطر القوى المحلية الطامعة في بلادهم ، مقابل امتيازات اقتصادية يقدمونها ودون ان يكون لتلك الدولة اطماع في الحلول محلهم في ادارة البحرين ، لذلك عندما ظهرت بريطانيا ذات النفوذ القوي في الخليج العربي كانت سياستها تتفق مع هذه الاهداف ، لذلك رحب سكان البحرين منذ البداية بضرورة توثيق علاقاتهم مع السلطات البريطانية في المنطقة[2] .

مقابل ذلك استطاعت بريطانيا ان تنشأ لها وكالات تجارية في بلاد الشام والعراق وفارس في الربع الاخير من القرن الثامن عشر من اجل حماية المواصلات بين بريطانيا ومستعمراتها في الهند متبعة في ذلك الطرق الدبلوماسية ، لكن مجيء الحملة الفرنسية الى مصر عام ١٧٩٨ قد بدل خطط

---

١ ـ قدري قلعجي ، الخليج العربي ، بيروت ، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٥ ، ص ٤١٤ .

٢ ـ د . صلاح العقاد ، الاستعمار في الخليج ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ص ٧١ .

شركة الهند الشرقية فمع اقتناع ادارة الشركة في لندن باستبعاد غزو نابليون لمنطقة الخليج العربي والوصول الى الهند ، الا انها اتخذت خطوة ايجابية لتدعيم الموقف لصالحها في عموم المنطقة وضد الفرنسيون ، ومن ذلك توقيعها معاهدة مع سلطان بن احمد (١٧٩٢ ـ ١٨٠٤) حاكم مسقط في الثاني من تشرين الاول عام ١٧٩٨ تعهد فيها بعدم السماح للفرنسيين بدخول بلاده مقابل ان يدفع البريطانيون مبلغ (٢٨٢٠) روبية[١] ، وارسال مبعوثين الى العراق وفارس وجدة وتوجيه قوة بحرية استطاعت احتلال جزيرة بريم الواقعة عند مدخل البحر الاحمر عند باب المندب التي اتخذتها بريطانيا قاعدة ومركز وثوب على جنوب الجزيرة العربية كما استطاعت ان تؤمن الطريق الى الهند[٢] .

وبسبب انشغال بريطانيا خلال العقدين الاولين من القرن التاسع عشر في محاربة القواسم الذين هددوا مصالحها السياسية والاقتصادية في الخليج العربي ، فقد اتسمت السياسة البريطانية تجاه البحرين حينذاك بانها لم تتضح بعد ، اذ رفض البريطانيون تقديم المساعدة لآل خليفة حين تعرضت بلادهم الى غزو عماني في عهد السيد سعيد بن سلطان (١٨٠٦ ـ ١٨٥٦) سلطان مسقط ، لما قد يجره عليهم ذلك من عداء مباشر مع القوى المحلية المجاورة لجزر البحرين ، وعلى الرغم من نجاح عتوب البحرين وبمساعدة السعوديين في طرد القوات العمانية من البحرين ، غير انهم تعرضوا عام ١٨١٠ الى هجوم شنته قوة سعودية والتي سرعان ما اجبرت على التراجع هي الاخرى بسبب مقاومة العتوب لها ، وطيلة هذه الحقبة تمثل موقف

---

١ ـ الروبية : عملة هندية كانت تساوي شلن وست بنسات .

٢ ـ الدكتور . سيد نوفل ، الاوضاع السياسية لأمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة ، الكتاب الاول ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٥٠ .

بريطانيا بالابتعاد عن التدخل بين القوى المتنازعة[1] .

ادى تعرض البحرين الى مخاطر حقيقية جراء توالي هجمات القوى المحلية على اراضيها الى ادراك شيوخها عام ١٨١٣ بضرورة تلقيهم دعماً بريطانيا لمواجهة الاخطار المحدقة بهم ، وطبقاً لما اوردته المصادر البريطانية فقد اعربت سلطات حكومة بومباي عن استعدادها بامداد آل خليفة بالعون اللازم الذي يمكنهم من العيش بسلام في بلادهم بما في ذلك وضع سفينة بريطانية او اكثر تحت تصرفهم[2] ، وتوافق هذا الموقف البريطاني مع اخبار روجها سلطان عمان مفادها بانه قد تحالف مع امير شيراز لمهاجمة البحرين ، ولكي يبث الخوف في نفوس عتوب البحرين اشاع بانه يعمل بمؤازرة الحكومة البريطانية التي تنوي اغلاق موانئها في الهند امام سفن العتوب ، مما دفع بآل خليفة للكتابة الى (بروس) المقيم البريطاني في الخليج العربي يسألونه عن مدى صحة تلك الاخبار ، فبادر الاخير باخبار حكومة بومباي عما يراود عتوب البحرين من مخاوف اثارتها التحركات العمانية الاخيرة ، ومقترحاً اتخاذ موقف بريطاني يظهر الدعم والمساندة لآل خليفة في مواجهة تلك الاخطار ، وجاء رد حكومة بومباي بالايعاز الى (بروس) بزيارة البحرين لطمأنة الشيخ عبد الله بن احمد آل خليفة ان لا اساس لتلك الشائعة من صحة ، والتباحث مع الشيخ في بعض الامور المتعلقة بضمان أمن الملاحة وحركة التجارة في المنطقة ، وقد استقبل الشيخ في تموز عام ١٨١٤ ضيفه استقبالاً ودياً مبدياً استعداده لتلبية مطالب السلطات البريطانية مقابل

---

١ ـ انظر ارنولدت . ويلسون ، الخليج العربي ، نقله الى العربية د . عبد القادر يوسف ، الكويت ، مكتبة الأمل ، ص ٣٩٦ .

٢ ـ Thomas, Haghes, ed; Selections From the Records Bombay Government, Historical and Other Information Connected with the province of Oman, Muscat, Bahrain, and Other places In the persian - Arabian Gulf - (New Series, No. x x l v) Bombay, 1850, p. 368.

حمايته من التهديدات الفارسية التي كثيراً ما كان يتعرض لها ، كما رحب بقدوم السفن البريطانية والتعامل مع تجارها ، وهو يأمل ان تعامل بريطانيا سفنه بنفس المعاملة التي يعامل بها سفنها في موانئ البحرين ، فيما جدد (بروس) للشيخ عبد الله احمد استعداده للاتفاق على صيغة معاهدة تقرر صداقه حكومته له وتضمن دخول سفن اهالي البحرين لموانئ الهند البريطانية واخبره بانه مستعد ان يوقع على تلك الاتفاقية لكي يزيل مخاوف الشيخ ، فوعده الاخير بانه سيصدر اوامره الصارمة للتشديد على سفنه بضرورة احترام العلم البريطاني حتى في اشد الاوقات حرجاً[1] ، وللدلالة على النتائج الايجابية التي تمخضت عن الزيارة ما قاله (بروس) عن تلك الزيارة بقوله انها كانت موفقة ومفيدة جداً[2] ، وبصدد ذلك كتب المقيم البريطاني تقريراً الى رؤسائه شرح فيه الفوائد التي يمكن ان تعود على شركة الهند الشرقية من علاقاتها بشيوخ آل خليفة واهمية توقيع اتفاقية معهم ، وكان مما جاء في تقريره : «ان البحرين اصبحت الآن هي السوق الرئيسية لبيع منهوبات (القرصنة) في الساحل العماني كذلك اصبحت قاعدتهم التي يمونون فيها بالارز والتمور ، وبالتالي فلا يمكن اعتبار البحرين سوى انها ميناء يمارس (القرصنة) وخاصة ان عدداً كبيراً من سكانها اعتادوا ان يبحروا الى رأس الخيمة وهناك يغيرون طاقم سفنهم وكان من المعتاد ان ينقل القواسم اسلابهم مباشرة الى البحرين ومن هناك تحمل اجزاء منها الى كنجون وغيرها من الموانئ المطلة على الساحل الشرقي للخليج العربي بواسطة سفن الكويت وغيرها» ، وحين عرض تقرير (بروس) على حكومة بومباي لم تتخذ الحكومة اية بادرة بشأن تنفيذ ما جاء بمقترحاته ، اذ كان اهم ما يعني حكومة بومباي

---

١ ـ حافظ وهبة ، جزيرة العرب في القرن العشرين ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ١٠٣ .

٢ ـ محمود بهجت سنان ، البحرين درة الخليج العربي ، بغداد ، ص ١٠٩ .

في ذلك الوقت هو التخلص من النشاط البحري للقواسم الذي وصل الى ذروته[1] .

على ان تعرض البحرين لهجمات السفن العمانية شكل الهاجس الذي ظل يراود آل خليفة ودفعهم باستمرار الى البحث عن الحليف الذي يحول دون تعرض بلادهم للاخطار الخارجية ، وفي خضم تلك الاحداث استمرت الاتصالات البريطانية البحرينية ، فحين اقدم سلطان عمان عام ١٨١٦ في الاستيلاء على (١٥) سفينة تابعة للبحرين ونهب حمولتها على مقربة من مسقط ، بادر المقيم البريطاني على طمأنة شيخ البحرين مؤكداً له حياد بلاده في النزاع وعدم انحيازها لسلطان عمان[2] .

ويبدو ان بريطانيا كانت ميالة الى التعاون مع سلطان مسقط ذي الاطماع في البحرين وكان من الممكن ان تلاقي مطالبه هوى في نفس الحكومة البريطانية التي كانت تعمل في ذلك الوقت على انشاء مركز لها في الخليج العربي بغية الحفاظ على مصالحها عن طريق تقديم المساعدات الكافية لحليفها السيد سعيد بن سلطان ليفرض سيطرته على الساحل العماني بما في ذلك جزر البحرين ، كما تستطيع في نفس الوقت ان تقضي على اية خطط توسعية اخرى يحتمل ان يقوم بها محمد علي باشا في مناطق الخليج العربي ، والحكومة البريطانية لم تنظر بعين الرضا الى احتمال تدخل السعوديين في شؤون المشيخات العربية ، لذلك وافقت على خطة بموجبها ان يكون سلطان عمان مسؤولاً عن مستقبل الساحل العماني وجزر البحرين وعليه بالمقابل ان يسمح باقامة مركز بريطاني في جزيرة قشم يدفع هو نفقات

---

١ ـ د . جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي دراسة لتاريخ الامارات العربية في عصر التوسع الاوربي الاول ١٥٠٧ ـ ١٨٤٠ ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ٤٣٣ .

٢ ـ انظر لوريمر ، المصدر السابق ، ص ١٢٧٨ .

صيانته ، على ان حكومة بومباي لم تلبث ان عدلت عن خطتها هذه ورأت ان سلطان مسقط اقل الزعماء جدارة لكي تعهد له حكومة بومباي بالنفوذ في الخليج العربي نظراً لضعفه وعدم استقراره وانه غير جدير بسبب ذلك ان يمنح أي نوع من انواع السيادة على أي من امارات الخليج العربي ، وعلى ذلك رأت الحكومة البريطانية انه من الاجدى ان تقوم بنفسها بالاشراف على شؤون الخليج العربي[1] .

وعلى الرغم من استيلاء القوات المصرية عام ١٨١٨ بقيادة خورشيد باشا على الدرعية عاصمة الدولة السعودية الاولى ، الا ان ذلك لم يثر مخاوف السلطات البريطانية ازاء التوسع المصري ، وعلى ما يبدو فان هناك توافقاً قد حصل بين الجانبين المصري والبريطاني في هذه المرحلة على الاقل من مراحل التوسع المصري للقضاء على قوة القواسم البحرية في مياه الخليج العربي ، اذ ادرك البريطانيون ان هناك عدواً مشتركاً لهما يتمثل في السعوديين وحلفائهم القواسم ، مع ضرورة الاشارة الى حقيقة ان النفوذ البريطاني لم يكن قد تدعم وجوده بعد ، اضافة إلى ان وصول القوات المصرية لسواحل الخليج العربي كان مقتصراً على تأمين العمليات العسكرية في نجد ، فاقتصر الموقف البريطاني على الافادة من الوجود المصري لمحاربة القواسم[2] .

وبخصوص وضع البحرين من العمليات الحربية التي شنتها القوات البريطانية على معاقل القواسم على الساحل الغربي من الخليج العربي والتي استغرقت معظم العقدين الاولين من القرن التاسع عشر ، لم تورد التعليمات

---

١ ـ قاسم ، دولة بو سعيد في عمان وشرق افريقيا (١٧٤١-١٨٦١) القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ١٧٧ .

٢ ـ د . رأفت غنيمي الشيخ ، ارتباط النشاط المصري في الخليج بالنشاط المصري في الحجاز ونجد ، بحوث لجنة تدوين تاريخ قطر ، جـ ٢ ، اتحاد المؤرخين العرب ، الدوحة (٢١-٢٨ مارس (اذار) ١٩٧٦ ، ص ٨٧١ .

الرسمية الصادرة من السلطات البريطانية أي ذكر للقيام بعمليات مشابهة ضد البحرين والامتناع عن توفير الدعم والمساندة لسلطان مسقط الذي يروم احتلال جزر البحرين ، وقد اوضح طبيعة تلك السياسة الفينستون Alphinstone حاكم بومباي بقوله : «ان علينا ان نكف عن كل تدخل في الادعاءات المقدمة لاحتلال البحرين ، مع القيام بشرح واضح لشيخ تلك الجزيرة بان موانئ الهند ستبقى مفتوحة لمراكبه طالما بقي رادعاً قبيلته عن متابعة اعمال المضايقة في اعالي البحار ويقومون بأعمال التجارة ، وانه يمكنه الاعتماد على مساعدة وصداقة الحكومة البريطانية ، وعلى العكس اذا ظهرت اية روح للقرصنة ، فسنكون مضطرين لتبني تلك الاجراءات القهرية التي نتابعها ضد القواسم . . .»[1] .

ولا شك فان الانتصار العسكري الذي حققه البريطانيون في هجومهم على القواسم واحتلالهم رأس الخيمة عام ١٨١٩ ، قد ادى الى دخول مشيخات ابو ظبي وام القيوين والعجمان والشارقة ورأس الخيمة في معاهدة الصلح البحري لعام ١٨٢٠[2] ، مع الحكومة البريطانية والتي اصبحت بموجبها الاخيرة صاحبة السلطة الفعلية على تلك المشيخات ، ولعل مما ساعد البريطانيون على تحقيق ذلك ما تعرضت له المشيخات العربية من نزاعات فيما بينها ، الى جانب الخلافات الاسرية داخل كل مشيخة ، وتأسيساً على ذلك راحت بريطانيا وبحجة نكث هذه المعاهدة وعدم التزام الشيوخ بتنفيذ البنود الواردة فيها وخاصة ما روجت له حكومة بومباي والسلطات البريطانية في الخليج العربي ، من عدم التزامهم بالامتناع عن (تجارة الرقيق) (وعمليات

---

١ ـ نقلاً عن د . فؤاد سعيد العابد ، سياسة بريطانيا في الخليج العربي خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر ، الكويت ، ١٩٨١ ، ص ص ٨٠- ٨١.

٢ ـ لمزيد من التفاصيل عن المعاهدة انظر

J Hurewits ; Diplomacy in The Near and Middle East,Vol.I, pp. 88- 90

القرصنة) ، تتدخل بشؤون المنطقة التي سرعان تحولت الى بحيرة بريطانية في السنوات اللاحقة[1] .

التوجه البريطاني نحو البحرين (١٨٢٠ ـ ١٨٤٠)

اسرع عتوب البحرين بالانضمام الى معاهدة عام ١٨٢٠ والتي عدت بداية لسلسلة من المعاهدات التي عقدها المسؤولون البريطانيون مع آل خليفة في السنوات اللاحقة ، وهو ما يشير الى استعداد شيوخ البحرين في اقامة علاقات صداقة مع الحكومة البريطانية ابان عقد العشرينيات من القرن التاسع عشر ، الامر الذي يعزز من دعامة حكمهم في مواجهة اطماع كل من سلطنة عمان والدولة السعودية اضافة الى حكام فارس في جزر البحرين[2] ، ومن ثم بدا واضحاً لآل خليفة ان بريطانيا هي القوة الوحيدة التي يمكنها ان تحميهم من الخطر الذي يشكله تهديد جيرانهم ، وبهذا الخصوص يرى الدكتور جمال زكريا قاسم ان انضمام البحرين لمعاهدة الصلح البحري كونها تتضمن اعترافاً باستقلال الاطراف المتعاقدة عليها ، وبالتالي فان على بريطانيا ووفقاً لبنود المعاهدة ان تقف امام القوى المتطلعة للسيطرة على البحرين ، لذلك وجد شيوخ آل خليفة في انضمامهم لتلك المعاهدة الفرصة للتخلص من اطماع سلطان مسقط وحكام فارس او كليهما ، ومن ثم الفائدة التي عادت اليهم من جراء انضمامهم الى تلك المعاهدة هي انهم استطاعوا ان يضعوا بريطانيا وجهاً لوجه امام محاولات فارس للاستيلاء على البحرين بعد ان كانت المقاومة من آل خليفة وحدهم

---

١ ـ لوتسكي ، تاريخ الاقطار العربية الحديث ، ترجمة د . عفيفة البستاني ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ١١١ .

٢ ـ عبد الفتاح ابراهيم ، على طريق الهند ، بغداد ، ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م ، ص ٣٨٠ .

وهؤلاء كان لا يمكنهم بطبيعة الحال ان يتصدوا لهجوم فارسي عليهم ، هذا بالاضافة الى ان فارس كانت على استعداد للتحالف مع اية قوة اخرى في سبيل السيطرة على تلك الجزر ومن ثم كان من الطبيعي ان تعارض فارس اشتراك شيوخ البحرين بالتوقيع على معاهدة عام ١٨٢٠ على اعتبار تبعية البحرين لها ، وبالمقابل تتعامل بريطانيا وفق المعاهدة مع الشيوخ بصفتهم الاستقلالية لا مجرد كونهم اتباعا للحكومة الفارسية ، وان السيادة الفارسية عليها قد سقطت نهائياً منذ وصول آل خليفة إلى حكم البحرين عام ١٧٨٣ ، فيما تحولت المعاهدة الى السند (القانوني) للوجود البريطاني في الخليج العربي خلال حقبة تاريخية طويلة جاوزت القرن ونصف القرن ، ومهدت في نفس الوقت السبيل الى اتفاقيات لاحقة واصبح البريطانيون من هذا التاريخ القيمين على حفظ الامن في المنطقة مما وفر لهم امكانية تثبيت اقدامهم في البحرين[١] .

واصل البريطانيون سياستهم القائمة على ابعاد أي نفوذ خارجي عن البحرين سواء من جانب الفرس او العثمانيين او السعوديين متذرعين بمعاهدة عام ١٨٢٠[٢] ، فحينما طالبت فارس في كانون الاول عام ١٨٢٠ من بعض حكام السواحل كعبد الرسول حاكم منطقة بوشهر ان يجمعوا كل ما يقع في إيديهم من سفن لاستخدامها في حملة لغزو البحرين ، ورغم ما كان يتوقع لهذه المحاولة من فشل ، فقد قام (بروس) المقيم البريطاني بزيارة خاصة لشيخ البحرين وطمأنه الى ان بريطانيا تعترف باستقلال حكومتهم ، كما ارسل من هناك مذكرة إلى السيد سعيد يطلب فيها التعهد باحترام استقلال هذه الجزر ،

---

١ ـ انظر قاسم ، الخليج ، ص ص ٤٣٨-٤٣٩ و ص ٤٤٨ .

٢ ـ الخصوصي ، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، جـ٢ ، الكويت ، ص ٩٢ .

وادت الوساطة البريطانية على ما يبدو بين آل خليفة وسلطان مسقط للحيلولة دون استيلاء الاخير على البحرين[1] .

من جانب آخر وقفت السلطات البريطانية في الخليج العربي ضد الحملة العسكرية التي تألفت من الجلاهمة وحليفهم امير شيراز في العام ذاته والتي استهدفت احتلال البحرين ، اذ بعد ان فقد الجلاهمة بقيادة رحمة بن جابر الامل في مساعدة البريطانيين لهم على استرداد البحرين وجدوا في انضمامهم الى ميرزا خان امير شيراز في الحملة التي كان يقوم بها لاسترداد البحرين من آل خليفة فرصة سانحة للانتقام من خصومهم ، ذلك ان حاكم مقاطعة فارستان التي كان يحكمها امير شيراز لم يسلم باستيلاء آل خليفة على البحرين وقاد حملة عسكرية ضد آل خليفة بمساعدة الجلاهمة عام ١٨٢٠ ، على ان تلك الحملة ما كادت تقترب من البحرين حتى اسرعت السلطات البريطانية في المنطقة بايقافها ، وتم ذلك بعد اتفاق كل من (بروس) المقيم البريطاني وميرزا خان امير شيراز على عقد معاهدة عام ١٨٢٢ ، والذي اعترف بموجبها (بروس) بتبعية البحرين الى فارس[2] ، لكن حكومة بومباي وطبقاً لما اورده لوريمر لم تكن تقر المقيم العام على تصرفاته ولا توافق على الاتفاقية ، لذا قامت بنقل (بروس) من منصبه في الخليج العربي الى الهند[3] ، وفي ظل تلك الاوضاع المضطربة تمكن آل خليفة وسط هذه الاخطار المحدقة بهم من كل جانب من المحافظة على ملكهم متخذين اسلوب الدهاء والمناورة تارة ومحاولة دفع مبلغ من المال تارة اخرى لتفادي مخاطر قوى مجاورة لهم[4] .

---

١ ـ ابراهيم خلف العبيدي ، الحركة الوطنية في البحرين ١٩١٤-١٩٧١ ، بغداد ، ١٩٧٦ ، ص ٣٥ ؛ العقاد ، المصدر السابق ، ص ١٠٣ .

٢ ـ انظر قاسم ، الخليج ، ص ص ٣٧٧ ـ ٣٧٨ .

٣ ـ لوريمر ، المصدر السابق ، ص ص ١٢٨٦ ـ ١٢٨٧ .

٤ ـ العبيدي ، المصدر السابق ، ص ٣٥ .

ومع ذلك تجددت الاطماع الفارسية في البحرين ، اذ شهد عام ١٨٢٣ استعانة الفرس بسفن سلطان بن صقر زعيم القواسم بهدف غزو جزر البحرين ، مما اثار رد فعل بريطاني تمثل في دعوة السلطات البريطانية في الخليج العربي الجانب الفارسي الى التفاوض معها في بندر عباس ، وقد اشارت بريطانيا على زعيم القواسم بالامتناع عن تقديم المساعدة للفرس لانها لم تكن راضية عن ضمها لجزر البحرين ، وازاء ذلك لم يسع الشيخ الا الأئتمار بأمر المسؤولين البريطانيين[١] .

واذا تناولنا موقف بريطانيا من طموحات سلطان مسقط تجاه البحرين فنلحظ اتباع السلطات البريطانية في المنطقة لسياسة التقارب مع السيد سعيد بن سلطان معظم النصف الاول من القرن التاسع عشر ، لأسباب عدة فبالاضافة الى مركزه المرموق في الخليج العربي وقوة حكمه واستقراره وما يملك من اساطيل قوية لم تضاهيها في الخليج العربي والمحيط الهندي الا قوة الاسطول البريطاني ومن هذه الأسباب :

١ ـ المعارضة التي ابدتها الحركة السعودية ضد التغلغل البريطاني في الخليج العربي والمقاومة العسكرية العنيفة التي قادتها قبائل القواسم ضد النفوذ البريطاني والمصالح البريطانية في عموم المنطقة .

٢ ـ ابتعاد سعيد بن سلطان عن العروض التي قدمها محمد علي باشا والي مصر لدعم حملة ابنه ابراهيم باشا في الجزيرة العربية ضد الحركة السعودية ورفض سعيد العرض المصري بالتحالف ضد الوهابيين رغم الادعاءات المصرية بالموافقة على احتلاله للبحرين واجزاء اخرى في الخليج العربي[٢] .

---

١ ـ العقاد ، المصدر السابق ، ص ٩٦ .

٢ ـ د . محمود علي الداود ، الخليج العربي والعمل العربي المشترك ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص

وحين ادرك سلطان مسقط عدم اهتمام حكومة بومباي بالاستجابة لرغبته في ضم البحرين والتي تطور موقفها المعارض لسياسة التوسع العمانية لدرجة انها وجهت تحذيرات شديدة اللهجة عام ١٨٢٥ للسيد سعيد بن سلطان على تهديداته المتضمنة ارسال حملة بحرية لاحتلال البحرين[١] ، اقترح على آل خليفة امراء البحرين ان يدفعوا له مبلغ (١٣٠) ألف كورونه كجزية سنوية مقابل تنازله عن المطالبة بالبحرين ، ومعلوم ان البريطانيين رفضوا الاشتراك بالاتفاق العماني - البحريني كطرف ثالث لضمان دفع المبلغ ، ولما رأى آل خليفة اعتراض السلطات البريطانية استغلوا هذه الفرصة وخفضوا الجزية السنوية الى (١٨) الف كورونه ، غير انه على اثر توقف الشيوخ عن دفع الجزية المتفق عليها قام السيد سعيد بن سلطان عام ١٨٢٨ بمحاولته الاخيرة لضم البحرين الا ان مخططاته لم تلبث ان منيت بفشل ذريع وذلك حين طلب شيوخ البحرين النجدة من السعوديين وحاول سلطان مسقط الافادة من هذا التحول المفاجئ في سلوك شيوخ البحرين ، فطلب من الحكومة البريطانية مساعدته وتوجه في هذه المرة الى وزارة الخارجية في لندن مباشرة مؤكداً الاضرار التي يمكن ان تنجم عن سيطرة السعوديين على البحرين ، غير ان هزيمة السيد سعيد بن سلطان العسكرية في البحرين واصرار الحكومة البريطانية على موقفها الذي كان يتلخص في ان ضم سلطان مسقط للبحرين سوف يبعث الفوضى بالمنطقة ، جعلته ييأس من الحصول على اية انتصارات سياسية او عسكرية حتى انه اراق ماء وجهه في سبيل عقد صلح مع شيوخ آل خليفة وتم ذلك بالفعل في تشرين الثاني عام ١٨٢٩[٢] .

ص ٣٥ - ٣٦ .

١ - لوريمر ، المصدر السابق ، ص ١٢٩ .

٢ - قاسم ، الخليج ، ص ص ٤٢٦ - ٤٢٧ .

يتبين لنا من العرض السابق ان السياسة البريطانية نحو البحرين كانت تقوم وحتى عام ١٨٣٨ الذي شهد تقدم القوات المصرية صوب الخليج العربي على تفضيل حكومة العتوب (آل خليفة) كوحدة سياسية منفصلة عن دول الخليج العربي التي تدعي السيادة عليها كل من فارس والدولة العثمانية ، ولكنها لم تبلغ حد التدخل العسكري او التهديد به للمحافظة على هذا المبدأ حتى نهاية عقد الثلاثينيات من القرن التاسع عشر[١] .

وعلى اثر معاودة السعوديين لنفوذهم والذي تمثل باسترداد الاحساء على يد الامام فيصل بن تركي عام ١٨٣٠ بعد الانسحاب المصري المفاجئ من سواحل الخليج العربي ، وهو ما اثار الفزع لدى بنو خالد ودفعهم الى طلب العون من السلطان العثماني[٢] ، الذي اصدر اوامره الى محمد علي باشا بضرورة القضاء على الدولة السعودية في نجد، وبدات بذلك المرحلة الثانية من مراحل التوسع المصري نحو الخليج العربي حين جاء جيش مصري تولى قيادته خورشيد باشا عام ١٨٣٨ وتوغل الى نجد مرة اخرى ، ودارت معركة حامية الوطيس بين الجانبين المتحاربين انتهت باستسلام الامير السعودي للجنود المصريين وارسل من هناك الى القاهرة وتم تنصيب خالد بن سعود الموالي للوجود المصري وكان مقيماً في مصر اميراً على نجد ، وهكذا استطاعت القوات المصرية من احتلال اقاليم الاحساء والقطيف اللذان يحتلان جزءاً كبيراً من شاطئ الخليج العربي ، ويؤكد فريدون آدميات ان سقوط تلك المدينتين قد فتح الطريق للتغلغل المصري في البحرين لارتباط الاخيرة بأقليم الاحساء ارتباطاً وثيقاً ، ومن ثم لا تعجب ان يكون من ضمن مخطط محمد

---

١ ـ انظر العقاد ، المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

٢ ـ انظر محمد مرسي عبد الله ، وثائق القلعة محمد علي في الجزيرة العربية وعلاقاته بالخليج الغربي ١٨٠٧-١٨٤٢ ، مجلة الوثيقة ، العدد ١٦ ، السنة ٨ ، جمادي الثانية ١٤١٠ هـ / يناير (كانون الثاني) ١٩٩٠ م ، ص ١٦ .

علي باشا مد النفوذ المصري الى البحرين عبر الاحساء[١] .

كان من الطبيعي ان يلقى التقدم المصري صوب البحرين معارضة بريطانية لخوف الاخيرة على سلامة خطوط ملاحتها التجارية الجديدة التي تصل الهند باوربا ، فقد انشأت الخط الذي يصل بومباي بالسويس عام ١٨٢٩ ليتصل بالخط الفرنسي الذي يصل الاسكندرية بمرسيليا ، فلم تكن بريطانيا لتنظر الى ظهور القوة المصرية على سواحل الخليج العربي بعين الارتياح لانه سيجعل كلا الخطين واقعة تحت رحمة والي مصر[٢] ، كما ابدت وزارة الخارجية التي كان يرأسها بالمرستون رفضها لمشروعات محمد علي باشا في مناطق الخليج العربي[٣] ، فيما كتب الليفتانت كولونيل تايلور Taylor المقيم البريطاني في بغداد رسالة الى بالمرستون اوضح فيها العواقب التي سوف تنجم عن التوسع المصري نحو سواحل الخليج العربي ، ثم بعث بالمرستون برسالة الى الكولونيل كامبل Campbel ممثل الحكومة البريطانية في ٢٩ تشرين الثاني عام ١٨٣٨ بالقاهرة طالباً منه الاستفسار من المسؤولين المصريين عن صحة هذه المعلومات ومؤكداً ان هذه التحركات تنظر اليها الحكومة البريطانية نظرة غير ودية ، ومما يعزز تعاظم الاهتمام البريطاني بالبحرين ما نود التذكير به من ان شؤون الخليج العربي كانت من اختصاص حكومة بومباي ولم يكن تدخل حكومة لندن في تلك الامور الا في النواحي التي تستوجب تدخلها ، وعلى ذلك فان حرص وزارة الخارجية على متابعة التحركات المصرية يشير الى اهمية تلك التحركات ليس بكونها تشكل خطراً على

---

١ ـ Fereydaun, Adamiyat; Bahrein Islands, Algal Diplomatic Study of the British - Iranian controversy, New York, 1935, P 125.

٢ ـ العقاد ، المصدر السابق ، ص ص ١٠٨-١٠٩ .

٣ ـ Haskins; Back Ground of the British position in Arabia, Vol. I, London, PP. 138 - 143.

حكومة الهند وانما على الامبراطورية البريطانية باسرها[1] . وكان تخوف بريطانيا نابعاً من مقدار التقدم المصري في امارات الخليج العربي اعتباراً من العراق الى عمان[2] .

جاء الموقف البريطاني ازاء التوسع المصري في مرحلته الثانية مختلفا عما اتخذته الحكومة البريطانية في المرحلة الاولى ابان وصول القوات المصرية الى نجد ، وتميز باستخدام كل الوسائل بما فيها القوة العسكرية لوقف التقدم المصري صوب البحرين ، وانسجاماً مع التوجهات الجديدة وصل الاميرال فردريك ميلاند Maitland قائد البحرية البريطانية في الهند الى الخليج العربي عام ١٨٣٨ ونزل في البحرين ، وتجنب في هذه الزيارة واثناء لقائه بشيوخ آل خليفة اظهار عزم السلطات البريطانية على استخدام الخيار العسكري لاجبارهم على الرضوخ لمخططات حكومة بومباي الرامية الى الابتعاد عن التعاون مع ممثلي محمد علي باشا ، وفي ذات الوقت فوض هنيل Hennell المقيم البريطاني في الخليج العربي بان يتولى مهمة انذار خورشيد باشا من العواقب الوخيمة التي ستترتب على دخوله البحرين ، وتزامن ذلك مع تحرك السفن البريطانية صوب جزر البحرين وهي تبعث اشارة انذار للسلطات البريطانية ، وكان لهذا الموقف المتشدد تأثيره على تفكير محمد علي باشا الذي تظاهر بانه لايفكر في الوقت الحاضر في غزو بغداد خاصة وان جيوشه مشغولة بتوطيد الامن في بلاد الشام ، وتعزيزاً لهذا التظاهر فان والي مصر رفض تلبية مطلب خورشيد باشا الخاص في ارسال قوة بحرية عن طريق الخليج العربي لتكون

---

١ ـ د .ابراهيم خليل احمد ، موقع البحرين في محاولات محمد علي باشا لتأسيس دولة عربية موحدة ، مجلة الوثيقة ، العدد ٢٤ ، السنة ٢ ، ربيع الاخر ١٤٠٤ هـ /يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤ م ، ص ١٥٣ ؛ قاسم ، الخليج ، ص ص ٤٦٢-٤٦٣ .

٢ ـ فالح حنظل ، المفصل في تاريخ الامارت العربية المتحدة ، جـ٢ ، لجنة التراث والتاريخ ، ١٩٨٢ ، ص٤٩٨ .

عوناً لقواته التي ذهبت للاستيلاء على القطيف قائلاً : «ان ارسال السفن من جدة الى ميناء القطيف لا يوافق بعض المحذورات» ولاشك فان محمد علي باشا كان يعني هنا بالمحذورات النفوذ البريطاني المتزايد في منطقة الخليج العربي ، الامر الذي اقلق القائد المصري وجعله يفكر في مدى جدية هذه المحذورات[1] .

تزايدت المعارضة البريطانية للتواجد المصري على شواطئ الخليج العربي واتساع الاتصالات المصرية البحرينية خاصة بعد توقيع محمد رفعت افندي ممثل محمد علي باشا على اتفاقية مع الشيخ عبد الله بن احمد آل خليفة في ٧ ايار عام ١٨٣٩ ، تضمنت بنوداً زادت من ترسيخ النفوذ المصري في جزر البحرين ، وبطبيعة الحال كان الشيخ مضطراً الى تأييد مركزه فطلب من محمد علي باشا ان يرسل له الحماية المطلوبة بعد ان ظل المقيم البريطاني متردداً في اجابته على طلب شيخ البحرين الخاص بمساعدته ، حين اخبر الاول الثاني بانه ينبغي عليك ان تكون الفيصل في ادارة شؤون امارتك وخاصة في مثل هذه الامور ، على ان (هنيل) وبناء على اوامر من حكومة الهند رفع تقريراً مفصلاً عن قوة الحملة المصرية في نجد الاحساء ، كذلك عن قوى ومواقف كل الشيوخ والحكام على الساحل الغربي من الخليج العربي الذين كانت مصالحهم مهددة باعتداءات القوات المصرية ، وطبقاً لما اورده لوريمر فقد ذكر المقيم البريطاني ـ فيما يتعلق بشيخ البحرين ـ ان وسائله الدفاعية قد تتيح له نجاحاً في حالة استغلالها الكامل ، فوضع امارته المحاط بمياه البحر ، الى جانب تفوقه الساحق في القوة البحرية بما فيها من القوارب

---

١ ـ د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، دور البصرة في احداث نجد وشرقي الجزيرة العربية في عهد محمد علي ، ١٨٤٠-١٨١٩ من خلال الوثائق العثمانية ، مجلة حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية ، جامعة قطر ، العدد ٤ ، ١٤٠١ هـ ، ١٩٨١م ، ص ص ٦٧-٦٨ ؛ قاسم ، الخليج ، ص ٤٦٥ .

الحربية من الطراز الاول ، كلها اعتبارات في صفه ، كما ان المقاتلين الذين يقفون الى جانبه يتجاوزون ستة آلاف رجل يمكن جمعهم من جزيرتي البحرين والمحرق فقط ، ويمكنه ايضاً ان يجمع ثلاثة آلاف رجل من ارض العتوب في البحر وكلهم من الرجال الشجعان الذين يقاتلون في البر والبحر على السواء[1] .

قدمت الحكومة البريطانية احتجاجاً شديد اللهجة الى محمد علي باشا لاقدام ممثله على توقيع تلك الاتفاقية مع شيخ البحرين ، واعلن (هنيل) عدم مشروعيتها لان تلك الاتفاقية مخالفة للتعهدات التي قدمها والي مصر للمسؤولين البريطانيين والتي تضمنت عدم قيامه باية انشطة عسكرية فيما تم ابلاغ الشيخ عبد الله بن احمد بعدم التزامه بالوعود التي صرح بها اثناء لقاءاته او اتصالاته بالسلطات البريطانية في الخليج العربي ، وان اقدامه على توقيع اتفاقية مع المصريين يعد خرقاً لبنود المعاهدة التي سبق وان وقعها عام ١٨٢٤ مع الجانب البريطاني ، ولم تكتف السلطات البريطانية بذلك ، بل قام المقيم البريطاني بمقابلة شيخ البحرين في ٢٨ تموز عام ١٨٣٩ على أمل ان يجعله يتراجع عن مشروع تحالفه مع المصريين ، وقد حفلت المقابلة بالكثير من التهديد والترغيب معاً ، اذ وعد (هنيل) الشيخ بتوفير الحماية للبحرين من طرف حاكم الهند وتقديم اعفاءات لمدة خمس وعشرين عاماً من الضرائب ، وكان قد طلب المسؤول البريطاني من الشيخ عبد الله بن احمد ان يعطيه المعاهدة ليمزقها ، ولكن الشيخ اصر على موقفه المؤيد للجانب المصري واكد ذلك حين رفض تلك العروض مبرراً موقفه بانه كان في السابق قد طلب الحماية البريطانية خوفاً من بطش القوات المصرية ، على حين لم يعد لهذا الخوف من مبرر بعد الاتفاق مع خورشيد باشا ، بالاضافة الى ان مصالحه

---

١ ـ انظر قاسم ، دولة ، ص ١٨١ ؛ لوريمر ، المصدر السابق ، ص ص ١٣٠٣ ـ ١٣٠٧ .

مرتبطة مع مناطق الاحساء ونجد التي هي تحت يد محمد علي باشا[1] ، ومما يعزز ماذهبنا اليه ماذكره الشيخ للمقيم البريطاني بقوله : «انني وان كنت قد طلبت منكم فعلاً الحماية ، ولكن ماقلت لكم ان اكون من جملة رعايا الانجليز ، وثانياً انما كان طلب الحماية من خوفي من عساكر محمد علي باشا واما اليوم فقد تصالحنا وربطنا الصلح بشروط واضاف : «ان البحرين ملكنا ورثناه عن اجدادنا وليس بيننا شروط لان نكون رعية للانجليز ، ولم اظهر أي سبب لذلك غير الصداقة وليس للانجليز ان يتعدوا علينا ، فاذا ماكنتم تشرعون في الحرب قوة واقتدار فاننا سنبذل كل وسعنا في سبيل حماية ملكنا واهلنا وعيالنا ودیننا وليحصل بعد ذلك ما يحصل»[2] .

وعند ذلك ايقن هنيل بفشله في تحويل شيخ البحرين عن اتفاقه مع المصريين ، فقرر مغادرة البحرين وسلم شيخها احتجاجاً جاء فيه : «ليعلم الواقفون على هذه الاحرف ان الراسم بهذه وهو باليزوا خليج فارس من جهة الدولة العلية الانكليزية . . . مابلغه من العلم عن خورشيد باشا ساري عسكر نجد بمعرفة وكيله محمد افندي ان البحرين قد اطاعت لحكم جناب ذي الشوكة والاجلال محمد علي باشا وان حاكمها قد تقبل ان يسلم في كل سنة ثلاثة آلاف ريال فرنسيه على سبيل الزكوة تبين ان ذلك خلافاً محضاً للقول المتأتي من جانب محمد علي باشا في جواب مطلب امناء الدولة العلية الانكليزية فيما اظهروه من عدم رضاهم بحركات خورشيد باشا بطوارف بنادر بر العرب المتصل بخليج فارس هذا ليكون معلوماً»[3] .

وحينما ادركت الحكومة البريطانية عدم نجاحها في اجبار شيخ البحرين

---

١ ـ فؤاد العابد ، المصدر السابق ، ص١٣٣ .

٢ ـ قاسم ، دولة ، ص ص ١٨٠-١٨١ .

٣ ـ فؤاد العابد ، المصدر السابق ، ص ١٣٣ .

بالتراجع عن تحالفه مع القائد المصري وتخليه عن المعاهدة الموقعة بين الجانبين ، حاولت توجيه الاتهامات الى الشيخ عبد الله بن احمد بقولها ان الاخير قد تصرف في مسألة توثيق علاقاته مع المصريين بسبب من ضعف قواه وكبر سنه ، الا ان الوثائق المصرية اشارت الى كذب الادعاءات البريطانية ومؤكدة ان الشيخ اعلن انضمام بلاده لمشروع محمد علي باشا الهادف الى اقامة دولة عربية موحدة عن ايمان وقناعة كبيرين ، ومما يؤكد ماذهبنا اليه رفض الشيخ الضغوط البريطانية التي مورست عليه بهدف اجباره على تغيير سياسته وفي ظل ظروف معينة ، ونقل عن الاخير قوله لمبعوث خورشيد باشا الشيخ شافعي مانصه : «مادمت في قيد الحياة فانني لا استسلم للانكليز وافهم منذ ثلاثين سنة وهم يحتالون علينا وسابذل جميع مالي وقوتي ، انني في الثمانين وقد بلغت آخر العمر فلان نموت جميعاً اولى من ان نكون رعية للكفار وافضل شئ واشرفه ان لانرى ذلك اليوم»[1] .

ادى اصرار شيخ البحرين على موقفه المساند للمخططات المصرية في بلاده والخليج العربي عموماً وعدم رغبته بالتحالف مع بريطانيا وتوطيد صلاته معها ، بل ورفضه للتهديدات البريطانية الموجه ضده الى ادراك حكومة لندن بضرورة الاسراع في افشال المشروع المصري الهادف للسيطرة على المنطقة لما يلحقه تحقيق ذلك المشروع من اضرار مباشرة على الوجود البريطاني برمته هناك ، وظلت تتحين الظروف المناسبة لتحقيق مآربها ، وتم لها ذلك على اثر النزاع الذي نشب بين السلطان العثماني ومحمد علي باشا ، وتحقيق الدبلوماسية البريطانية نجاحاً في تأليب الدول الكبرى على الوجود المصري ومخططات محمد علي باشا في البحرين وباقي الامارات العربية اضافة الى بلاد الشام ، والتي اسهمت في اتساع المعارضة الدولية خاصة بعد انتصار

---

١ ـ نقلاً عن احمد ، المصدر السابق ، ص ص ١٥٦-١٥٧ .

الجيش المصري بقيادة ابراهيم باشا على القوات العثمانية في معركة نزيب يوم ٢٤حزيران عام ١٨٣٩ وتوغلها صوب العاصمة استانبول بغية احتلالها ، مما ادى بدوره الى قيام تحالف دولي تزعمته الدول الكبرى وهي (بريطانيا - النمسا - روسيا - بروسيا) استطاع التصدي للمشروع المصري وبالتالي اجبار محمد علي باشا على توقيع معاهدة لندن في ٢٧ تشرين الثاني عام ١٨٤٠ ، والتي تضمنت بنوداً لعل ابرزها سحب قواته من شبه الجزيرة العربية والخليج العربي وبلاد الشام ، بعد ادراكه بعدم امكانية بلاده على مواصلة القتال والتي استنزفت مواردها الحروب الكثيرة التي خاضتها الجيوش المصرية في بقاع عديدة لقاء احتفاظ اسرته بحكم وراثي في مصر[١] .

من جانب آخر لم تنس الحكومة البريطانية موقف الشيخ عبد الله بن احمد آل خليفة الرافض للتعاون معها وضلوعه بالمخططات المصرية الرامية الى جعل الخليج العربي منطقة نفوذ تابعة إلى محمد علي باشا ، لذلك اجتمعت اللجنة السرية لمديري شركة الهند الشرقية وتدارست موضوع عزل شيخ البحرين عن الحكم في بلاده ، ومن ثم أخذت الدوائر البريطانية تدبر الدسائس وتشجع على اثارة الاظطرابات والفتن ضد حكم الشيخ ، اذ تعرضت البحرين ومنذ عام ١٨٤٠ الى موجة من اعمال الفتن وانتشار حالة من عدم الاستقرار لم تهدأ الا بعد عزل الشيخ عبد الله عن السلطة عام ١٨٤٣ ، واعقب ذلك إن فسحت السلطات البريطانية في الخليج العربي المجال امام منافسه الشيخ محمد بن خليفة بالاستيلاء على السلطة بعد طرد الشيخ السابق من البحرين عقاباً له على رفضه التحالف مع بريطانيا[٢] .

---

١ ـ لوتسكي ، تاريخ الاقطار العربية الحديث ، ترجمة د .عفيفة البستاني ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ص ١٤١-١٤٣ .

٢ ـ غنيمي ، التوجه العثماني نحو الخليج العربي من خلال محمد علي ، مجلة الوثيقة ، العدد ١٦ ، السنة ٨ ، جمادي الثاني ١٤١٠ هـ /يناير (كانون الثاني) ١٩٩٠ م ص٧٤ .

يتضح لنا من خلال العرض السابق كيف اسهمت بريطانيا وبعد عقدها لتحالفات مع دول اوربية اخرى في الحيلولة دون تحقيق محمد علي باشا لمشروعه الهادف الى اقامة دولة عربية موحدة تكون تحت زعامته ، فمن جانب كانت تعمل وبلا هوادة على اضعاف الوجود المصري الذي استمر لسنوات كثيرة في بلاد الشام بعد نجاحها في توثيق صلاتها بالدولة العثمانية ، وعلى الجانب الاخر تحركت الحكومة البريطانية صوب منطقة الجزيرة العربية والخليج العربي لتحقيق اهدافها الاستراتيجية الرامية الى جعلها الدولة الوحيدة المسيطرة على تلك المشيخات وقد تم لها ذلك بالفعل في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الذي شهد تحول الخليج العربي الى بحيرة بريطانية[1] . في اعقاب سقوط رأس الخيمة معقل القواسم عام ١٨١٩ اثر الهجوم البريطاني على مدن وموانئ القواسم مما فسح المجال لبريطانيا لكي تنفرد لوحدها في ادارة شؤون المنطقة وشجعها ذلك الانتصار على فرض معاهدة عام ١٨٢٠ على الشيوخ العرب ومنهم شيخ البحرين وماتبعها من اتفاقيات كثيرة ضمنت بها مصالحها المتنامية ، ثم جاءت حقبة الثلاثينيات من القرن التاسع عشر لتؤشر وبوضوح رسوخ الاهداف البريطانية وتزايد اهتمام حكومة بومباي بالبحرين بعد تمكن القوات المصرية بقيادة خورشيد باشا من احتلال الاحساء والقطيف وباتجاه السيطرة على البحرين عام ١٨٣٨ ، وتجسد رد فعلها في سعيها لمنع تغلغل أي نفوذ اجنبي يعمل على تهديد وجودها في الخليج العربي والجزيرة العربية ، لان الحملة المصرية ادت الى تعرض بريطانيا لهزة عنيفة كادت ان تلحق اضراراً مباشرة بمصالحها السياسية والعسكرية والتجارية في عموم المنطقة ، فلجأت الى التلويح باستخدام القوة العسكرية لوقف الزحف المصري

---

١ ـ الداود ، محاضرات عن الخليج العربي والعلاقات الدولية ١٨٩٠-١٩١٤ القاهرة ، ١٩٦١ ، ص١٨ .

والمقترن بنشاط سياسي ، اذ شهد عام ١٨٤٠ توقيع محمد علي باشا على معاهدة لندن التي ارغمته على سحب جنوده من المنطقة واحتفاظه بحكم وراثي داخل مصر[١] .

وعلى اية حال سارت بريطانيا قدما في مخططاتها الرامية الى أحكام قبضتها على البحرين تحت ذرائع وحجج متعددة ، فتارة باسم محاربة ما أطلقت عليه (القرصنة) وتوفير الامن بالمنطقة ، وتارة اخرى ماروجته لمحاربة ما أسمته (تجارة الرقيق) ، في ذات الوقت الذي ظلت فيه السلطات البريطانية عاقدة العزم على ازاحة أي قوة منافسة لها على الصعيد الدولي او الاقليمي ، وهذا ماحصل فقد نجحت في ابعاد الدول الاوربية الاخرى المنافسة لها عن المنطقة ، فيما تواصلت في تصديها للمحاولات السعودية الهادفة مد نفوذها صوب سواحل الخليج العربي ووقوفها بصلابة ضد الجهود السياسية والعسكرية التي بذلتها الدولة العثمانية وكان ابرزها حملة الاحساء عام ١٨٧١ التي اريد بها معاودة السيادة العثمانية على البحرين وقطر ، الى جانب اطماع فارس وادعاءاتها المتكررة في تبعية البحرين لها ، واستطاعت بالتالي منع تلك القوى من الاستحواذ على البحرين .

---

١ ـ محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، بيروت ، ١٣٩٧ هـ /١٩٧٧ م ص ٢٤١ .

الفصل التاسع

المطالبة العثمانية بالسيادة على البحرين
حتى عام ١٩١٣

المقدمة

تتناول هذه الدراسة فترة تحول هامة في التاريخ السياسي للبحرين وهي فترة استغرقت زمنا طويلا منذ القرن السادس عشر وصولا إلى الربع الأول من القرن العشرين ، واتسمت في استمرار المحاولات العثمانية فرض سيادتها على إمارات الخليج العربي واشتداد التنافس العثماني ـ البريطاني في محاولة كل منهما فرض هيمنته على المنطقة . وفيما يتعلق بعلاقة الدولة العثمانية بالخليج العربي هناك حقائق تاريخية لابد من إبرازها كونها تشكل الأساس التاريخي لادعاءات العثمانيين السيادة على المنطقة . ومن هذه الحقائق ان الأخيرين رغم وصولهم إلى البصرة منذ عام ١٥٤١ الا انهم لم يستطيعوا فرض سيطرتهم على الخليج العربي بشكل تام ، وربما يرجع سبب ذلك إلى ضعف الأسطول العثماني وعدم قدرته على مجاراة الأسطول البرتغالي ووقوف بلاد فارس معارضة للتوجهات العثمانية لتضاربها مع أهدافها المعروفة . وعلى الرغم من نجاح الدولة العثمانية في احتلال الاحساء في أواخر القرن السادس عشر وتحقيقها لنجاحات محدودة هناك ، غير ان النفوذ العثماني لم يقدر له البقاء والديمومة طويلا ، فقد انهارت السلطة العثمانية على يد بني خالد الذين نجحوا في حكم الاحساء منذ عام ١٦٧٠ .

ومع ذلك تواصلت المحاولات العثمانية الرامية الى مد نفوذها إلى مناطق الخليج العربي برغم تصاعد المعارضة البرتغالية والبريطانية ، إذ شهدت السنوات اللاحقة استمرار تلك المجهودات التي بذلها الباب العالي والتي ارتبطت مدى فاعليتها وطبيعتها السياسية والعسكرية بأوضاع السلطة العثمانية في العراق عامة والدولة العثمانية في استانبول بخاصة واثر ذلك

المباشر على تشديد القبضة العثمانية على تلك المناطق ومن ثم القضاء على معارضة بعض القبائل والقوى المحلية التي وقفت بالمرصاد ضد التطلعات العثمانية الرامية إلى تحقيق أهدافها في عموم الخليج العربي .

المطالبة العثمانية بالسيادة على البحرين

حتى حملة الاحساء عام ١٨٧١

جذبت البحرين اهتمام القوى المجاورة لها كالدولة العثمانية وبلاد فارس لموقعها الجغرافي على سواحل الخليج العربي وامتلاكها جزر كثيرة ، الأمر الذي جعلها تتعرض ومنذ مطلع القرن السادس عشر لاطماع تلك القوى التي ما برحت تهاجم البحرين وتحاول فرض سيطرتها عليها ، ومن الناحية الاقتصادية فان البحرين تضم افضل مغاصات اللؤلؤ بالمقارنة مع مناطق الخليج العربي الأخرى والذي يعد مصدرا رئيسا للثروة ، إلى جانب امتلاكها لمصائد الأسماك واراضي زراعية ومياه عذبة وبعض المراكز التجارية على سواحلها[1] .

نشطت الدولة العثمانية خلال القرن السادس عشر في محاولاتها لاستمرار نفوذها في الخليج العربي والتصدي للوجود البرتغالي بالمنطقة ، ونتيجة لاستقرار النفوذ العثماني بالعراق في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ ـ ١٥٦٦) فقد بعث شيخ البحرين عام ١٥٣٤ برسالة إلى السلطان العثماني يدعوه لارسال أسطول بحري للدفاع عن البحرين أمام الهجمات الفارسية ، وقد انسحب العثمانيون بعد فترة قتال وجيزة تاركين جزر البحرين ساحة لصراع جديد آخر ما بين الفرس والبرتغاليين ، وبعد احتلال القوات

---

١ ـ د . احمد مصطفى أبو حاكمة ، محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة ، القاهرة ،١٩٦٧ ، ص ٤٣ .

العثمانية مدينة البصرة عام ١٥٤٦ أصبحت البحرين جزيرة حدود تفصل بين القوى المتحاربة[١] ، والمعروف ان الدولة العثمانية كانت قد أرسلت منذ عام ١٥٢٩ أسطولا إلى مياه الخليج العربي لكنه لم يلق الترحيب بسبب عدم وجود قاعدة له في المنطقة .

خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر استمر الصراع ما بين العثمانيين والبرتغاليين للسيطرة على مدن وموانئ الخليج العربي ، وقد اعد العثمانيون حوالي عام ١٥٥٣ أسطولا بحريا مكونا من سفينتين وسبعين مركبا ، وكانت تحمل (١٢٠٠) من الجنود الانكشارية ، قام بالهجوم على البحرين ، غير ان النجدات التي وصلت الى البحرين قادمة من جزيرة هرمز القريبة ، أسفرت عن فك الحصار العثماني واجبار قوات الانكشارية على الانسحاب نحو البصرة[٢] . وفي اثناء ذلك تزايدت المقاومة العربية ضد التدخل الأجنبي في المنطقة ، فمنذ عام ١٥٥٥ ثارت القبائل العربية ضد البرتغاليين في جزر البحرين وساحل القطيف وطلبت العون من العثمانيين الذين كانوا يحتلون العراق . في ذلك الوقت استنجدت هرمز بالبرتغاليين وكانت البحرين تابعة لهم ، لذلك وصلت نجدة برتغالية لشيخ هرمز استطاعت اخراج القوات العثمانية من القطيف والبحرين[٣] . وعاود العثمانيون هجومهم بعد عام ١٥٥٧ وتمكنوا من فرض سيطرتهم وحصارهم على البحرين ، الا ان ذلك النفوذ لم يقدر له البقاء فيها أو في غيرها من مناطق الخليج العربي .

---

١ ـ صالح اوزبران ، الاتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٨١-١٥٣٤ ، ترجمة د . عبد الجبار ناجي ، مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ، ١٩٧٩ ، ص٥٤ ؛ د . محمود علي الداود ، أحاديث عن الخليج العربي ، بغداد ، ص٣٢ .

٢ ـ محمد عدنان مراد ، صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي ، دار دمشق للطباعة ، ١٩٨٤ ، ص١٤ .

٣ ـ ارنولد ت . ويلسون ، الخليج العربي ، ترجمة محمد امين عبد الله ، ١٩٨٥ ، ص٨٥ .

ويبدو ان العثمانيين لم يقوموا بعمل جدي بغية توكيد سيادتهم على المنطقة الا في عام ١٥٥٩ ، حين جهزوا حملة بحرية كبيرة قوامها (٢٠٠٠) من الجنود الانكشارية للسيطرة على البحرين ، الا ان حملتهم هذه باءت بالفشل أمام أسطول برتغالي قوي جاء من الهند واجبروا على التراجع نحو البصرة ، وبذلك استمرت سيطرة البرتغاليين على البحرين[١] ، فيما أشارت الوثائق العثمانية إلى نجاح قوة بحرية عثمانية تولى قيادتها مصطفى باشا في العام ذاته بفرض حصارها على البحرين ، وقد أدى وصول تعزيزات حربية برتغالية في اجبار العثمانيين على الانسحاب[٢] . وعلى الرغم من المجهودات الكبيرة التي بذلها العثمانيون في محاولاتهم ازاحة النفوذ البرتغالي من الخليج العربي لكنهم أصيبوا بنكسات متعاقبة نتيجة لفقدهم وحدة الأهداف السياسية في المنطقة .

وخلال القرن التاسع عشر تجددت المطالبة العثمانية بالسيادة على البحرين . إذ اتسمت سياسة البحرين في عهد الشيخ محمد بن خليفة ، بالولاء في الخفاء لكل من الدولتين العثمانية والفارسية على انفراد ، ويبدو ان تلك السياسة جاءت كرد فعل على محاولات بريطانيا أحكام سيطرتها على بلاده ، لذلك لم يرق هذا السلوك للحكومة البريطانية التي أخذت تحرض القبائل ضد الشيخ محمد بن خليفة وبهدف اضعاف سلطته السياسية[٣] ،

---

١ ـ لمزيد من التفاصيل عن تلك الحملة العسكرية ينظر :

Danvers ,F.S, The Portuguess in India , Vol .1,London ,1894, P.514,

ابراهيم خلف العبيدي ، الحركة الوطنية في البحرين ، بغداد ، ١٩٧٦ ، ص٢٢ .

٢ ـ ي اورهونلو ، تقرير حول الحملة العثمانية على البحرين سنة ١٥٥٩ ، ترجمة د . حسين علي الداقوقي ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد ٢٤ ، السنة ٦ ، جامعة الكويت ، تشرين الاول ١٩٨٠م / ذو القعدة ١٤٠٠ هـ ، ص٢١٦ .

٣ ـ محمود بهجت سنان ، البحرين درة الخليج العربي ، بغداد (د .ت) ص١٣٦ .

وعدت المصادر البريطانية طلب شيخ البحرين للحماية العثمانية على بلاده وقوة صلاته بالسلطات العثمانية على انه يمثل انتقاما من الحكومة البريطانية التي ترددت في حمايته من منافسيه[١] ، ومع ذلك فان شيخ البحرين لم يتردد في الابقاء على صلاته مع العثمانيين الذين أرسلوا وفدا إلى البحرين عام ١٨٥٨ كان مؤلفا من السادة : محمد بك الديار بكري من بغداد وعبد القادر افندي باشا كاتب لواء البصرة[٢] .

طلبا رفع العلم العثماني على قلعة الشيخ في البحرين ، وفعلا رفع الشيخ محمد بن خليفة العلم العثماني على قلعته في السنوات اللاحقة ، مبديا استعدادا كبيرا لقبول السيادة العثمانية ، وبذلك حقق الوفد نجاحا في اعلان تبعية البحرين للدولة العثمانية وابقاء ممثل لها في الامارة[٣] ، وأورد المؤرخ النبهاني تفاصيل ذلك بالقول : «وفي سنة ١٢٧٥ (١٨٥٨م) أرسلت الدولة العثمانية وفدا إلى البحرين تحت رياسة المير الاى من بغداد (محمد بيك الديار بكري) ومن البصرة (عبد القادر افندي باشكاتب ولاية البصرة) فاتجها مع حاكم البحرين (الشيخ محمد بن خليفة) وطلبا منه رفع العلم العثماني على جميع مملكته فلبى طلبهما وأوعدهما برفعه بعد افهام العشاير المقصود بذلك»[٤] .

---

١ ـ ج ج لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ج٣ ، ترجمة ديوان امير قطر ، الدوحة ، ١٩٧٥ ، ص١٣٤٢ .

٢ ـ خضير نعمان العبيدي ، البحرين من امارات الخليج العربي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٩ ، ص٤٥ .

٣ ـ C. U, Aitchison ; A collection of Treaties Engagements and Sands Relating to India and -,Neighboring Countries, Calclatta vol.X.PP.16-18

٤ ـ لمزيد من التفاصيل ينظر الشيخ محمد بن الشيخ خليفة بن حمد النبهاني ، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية (البحرين) المطبعة المحمودية ، القاهرة ، ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م ، ص١٧٨ .

أثار التقارب البحراني ـ العثماني قلق السلطات البريطانية خوفا على مصالحها المتنامية في الخليج العربي ، خاصة بعد نجاحها في القضاء على مقاومة القبائل العربية وفي المقدمة منها القواسم والرافضين للوجود البريطاني بالمنطقة ، وبرهنت على ذلك في قيام السفن البريطانية بمهاجمة قلعة أبي مناهر في جزيرة المحرق الواقعة على ساحل البحرين ، مما اضطر محمد بن خليفة شيخ البحرين للموافقة على الشروط البريطانية والمتضمنة اخراج المندوب العثماني من جزيرة البحرين ، بل وفرضت عليه اتفاقية عام ١٨٦١ التي ألزمت شيخ البحرين بالقبول عمليا بجميع بنود المعاهدات والاتفاقيات التي أبرمتها الحكومة البريطانية مع شيوخ الخليج العربي في أعوام ١٨٢٠ و١٨٤٣ و ١٨٥٣[١] .

وفي مقابل انصراف الدولة العثمانية عن الاحساء والخليج العربي كان نفوذ بريطانيا ومصالحها في المنطقة يتزايد بشكل كبير ، فاستطاعت بسط هيمنتها على عموم المنطقة حتى صار الساحل الجنوبي للخليج العربي منطقة نفوذ بريطانية من خلال الاتفاقيات التي كبلت بها بريطانيا شيوخ المنطقة ، وتحت حجج معروفة وهي الحفاظ على المصالح التجارية وايقاف القرصنة وتجارة الرقيق ، حتى انه يمكن القول ان بريطانيا قد سبقت الدولة العثمانية بالتغلغل في الخليج العربي من خلال فرض وجودها الفعلي سواء في مياهه أو سواحله ، ومن الثابت أن الدولة العثمانية كانت تتمتع بسيادة اسمية وأن نفوذها في البحرين كان مؤقتا ومتقطعا ومحكوما بتحدي البريطانيين والفرس[٢] .

---

١ ـ د . عبد الجبار عطيوي جاسم ، ملاحظات حول تغلغل أساليب النفوذ الأوربي في الخليج العربي قبل الحرب العالمية الأولى ، مجلة الخليج العربي ، العدد العاشر ، مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ، ١٩٧٨ ، ص٤١ .

٢ ـ د . مصطفى عقيل الخطيب ، التنافس العثماني ـ البريطاني حول قطر (١٨٩٢ـ ١٩٠٢)

على ان امتعاض الشيخ محمد بن خليفة من المعاملة غير المنصفة والمتمثلة في اقدام سلطات الجمارك في بومباي على مضاعفة الرسوم الجمركية التي تجبى من سفن بلاده ، قد اسهم في دفعه إلى التعاون مع السلطات العثمانية والابتعاد قدر المستطاع في علاقاته مع بريطانيا ، وذكر بان مثل هذه الضرائب لا تجبى من السفن التي تتبع أمام مسقط أو الشاه الفارسي ، وأضاف شيخ البحرين قائلا : «انه ما لم تتوقف السلطات البريطانية من فرض المزيد من الضرائب والرسوم الجمركية على سفن اتباعه ، فانه سيجد نفسه مضطرا على القيام بنفس العمل الذي قام به شيخ الكويت بان يضع نفسه تحت حماية الباب العالي»[1] .

وبرغم هذا النفوذ المحدود والاسمي للدولة العثمانية في الخليج العربي فان الدولة العثمانية ظلت تعد نفسها صاحبة سيادة حقيقية وسلطة فعلية على المنطقة ، بحكم كونها اكبر دولة اسلامية تحتضن الخلافة ويرتبط بها سكان الخليج العربي وحكامه بصلة روحية عميقة من جهة ، وبحكم حاجة بعض شيوخ المنطقة لقوتها ونفوذها واعترافهم بسيادتها لمواجهة النفوذ البريطاني والفارسي من جهة أخرى ، ولذلك نلاحظ انه حينما تهيأت الظروف الداخلية والخارجية للدولة العثمانية لتحول هذه السيادة الاسمية إلى وجود فعلي سياسي أو عسكري في الجزيرة العربية والخليج العربي ، فان الأخيرة لم تتوان عن تحقيق ذلك[2] ، وهذا ما سنجده في حملة الاحساء العسكرية .

في ضوء الوثائق الروسية ، مجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق ، العددان ٦٥ و ٦٦ (أيلول ـ كانون الأول) ١٩٨٨ ، ص ص ١٣٠-١٣١ .

١ ـ Thomas, Haghes; ed; Selections From the Records of the Bombay government, Historical and Other Information Connected with the province of Oman, Muscat, Bahrain, and Other places in the persian- Arabian Gulf "New Series No. XXIv" Bombay, 1850, p. 418 .

٢ ـ انظر مصطفى عقيل الخطيب ، المصدر السابق ، ص١٣١ .

المطالبة العثمانية بالسيادة على البحرين (١٨٧١ ـ ١٩١٣)

بعد تولي مدحت باشا في عام ١٨٦٩ إدارة شؤون العراق فقد أبدى اهتماما كبيرا بولاية البصرة وأسس علاقات شخصية مع القبائل العراقية الجنوبية ، وخلال سنوات حكمه لولاية بغداد (١٨٦٩ ـ ١٨٧٢) انتهج سياسة من شانها تعزيز سلطة الدولة العثمانية التي كانت اسمية اكثر منها حقيقية على مناطق الخليج العربي فضلا عن الاحساء ، وتقوية قبضته على الامارات التي لم ترتبط بعد بالبريطانيين ليحميها من الوقوع تحت سيطرتهم[١] ، والحد بالتالي من التغلغل البريطاني المتزايد في المنطقة[٢] ، واضعا في اعتباره مساندة سكان الخليج العربي له لان جميعهم من المسلمين الذي يعدون من رعايا الخليفة العثماني .

وقد اقترنت تلك السياسة التي اتبعها مدحت باشا في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر بظروف مواتية لتنفيذها ، لعل أبرزها افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ مما هيأ للأسطول العثماني الالتفاف حول بلاد العرب للوصول إلى الخليج العربي ، وتولي مدحت باشا ولاية بغداد والذي كان يروم فرض السيادة العثمانية على امارات الخليج العربي[٣] وحانت فرصتها المناسبة بعد وفاة الامير فيصل بن تركي عام ١٨٦٦ وحدوث النزاع بين ولديه عبد الله

---

١ ـ Pilai And Mahendra, Kumar; The political Legal Status Kuwait, International And Comparative Law Quarterly, Vol. II, part I, London, January, 1962, p. 110 .

٢ ـ د . حسين محمد القهواتي ، الصراع العثماني ـ البريطاني في منطقة الخليج العربي خلال الفترة (١٨٧١-١٩١٤) في كتاب «تاريخ الخليج الحديث والمعاصر» جامعة البصرة ، ١٩٨٤ ، ص١٣٤ .

٣ ـ نظر د . عبد العزيز نوار ، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص٤٠٥ .

وسعود على السلطة في نجد والاحساء ، وقد طلب الأول مساعدة الدولة العثمانية له في محاربة أخيه سعود[1] . وقد هيأ ذلك التنافس ايام مدحت باشا فرصة العمل للأخير لتحقيق أهدافه في معاودة بسط السيادة العثمانية على تلك المناطق بموافقته على طلب الأمير السعودي .

تمكنت القوات العثمانية في ايار عام ١٨٧١ من احتلال القطيف والهفوف بعد ان اشتبكت بعدة معارك مع اتباع الامير سعود من قبائل الخوالد والعجمان وبني مرة ، وحققت انتصارات عسكرية عليها وبذلك تأكدت السيادة العثمانية على الاحساء والقطيف[2] ، وأعقب ذلك مواصلة العثمانيين مجهوداتهم العسكرية والسياسية وهم يرومون احتلال البحرين ، وحسب ما أورده ويلسون فقد أعلن العثمانيون عن رغبتهم في المطالبة بالسيادة على المناطق المجاورة للاحساء بما فيها البحرين[3] .

تمثل رد الفعل البريطاني ازاء التحركات العثمانية بقيام السلطات البريطانية بعدة فعاليات سياسية وعسكرية للحد من التغلغل العثماني ، لخشيتها من سيطرة العثمانيين الروحية على امارات الخليج العربي ، إذ أوعزت إلى معتمدها السياسي في المنطقة العقيد لويس بيلي L.Pelly باعلان حماية بريطانيا على البحرين ، فسار اليها مسرعا وعقد مع شيخها عام ١٨٧١ اتفاقية تضمنت تعهد الحكومة البريطانية بحماية امارة البحرين ما دام شيخها متمسكا بمعاهدة عام ١٨٦١ . وعلى أثر ذلك وصلت إلى البحرين بوارج بريطانية ورست في مينائها ولديها تعليمات تتضمن احتلال البحرين

---

١ ـ لمزيد من التفاصيل انظر العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية ، مخطوط في دائرة المخطوطات ، بغداد ، تحت رقم (٤٠٣٥٣) الورقة ٨٧ .

٢ ـ لمزيد من التفاصيل عن الحملة العسكرية ينظر محمد عرابي نخلة ، تاريخ الاحساء السياسي (١٨١٨-١٩١٣) الكويت ، ١٩٨٠ ، ص١٦٢ .

٣ ـ ويلسون ، المصدر السابق ، ص٣٩٧ .

في حالة تهديد العثمانيين لها ، مما اضطر الدولة العثمانية الى التراجع عن محاولاتها مد سيادتها إلى الخليج العربي[١] .

ومع ذلك فان المصادر البريطانية ذاتها تشير إلى ان السلطة العثمانية ظلت تدعي بسيادتها على البحرين خلال تلك الفترة وما بعدها ، وبكون الأخيرة تعد جزيرة تقع في نطاق تبعيتها[٢] . وبرزت تلك المطالبة مجددا بمناسبة الزيارة التي قام بها مدحت باشا للحاميات العثمانية في الاحساء وقطر عام ١٨٧١ ، إذ أرسل الأخير من هناك موظفا عثمانيا كبيرا إلى البحرين طالبا من الشيخ عيسى بن خليفة اقامة مستودع للوقود تستخدمه السفن العثمانية العاملة في مياه الخليج العربي ، ويقال ان شيخ البحرين رحب بهذا الطلب وتبرع بأرض البناء[٣] . وانسجاما مع تلك التوجهات العثمانية فقد أقدمت استانبول على انشاء قوة عسكرية في شط العرب ، فضلا عن قيام السلطان العثماني بتوزيع المال والسلاح على شيوخ القبائل العربية الساكنة بالمنطقة في محاولة لاستمالتهم إلى جانبه في مقاومته للنفوذ البريطاني المتزايد في موانئ ومدن الخليج العربي[٤] ، فيما أعلنت الدولة العثمانية تصميمها على استعادة سيادتها على تلك المناطق زاعمة ان لا سيطرة لأحد على تلك المشيخات سوى السلطان العثماني[٥] . ومما يعزز ذلك ، الامر الذي أصدره الباب العالي

---

١ ـ ابراهيم خلف العبيدي ، المصدر السابق ، ص ص ٤١- ٤٢ .

٢ ـ ستيفن هيمسلي لونكريك ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط ، بغداد ، ١٩٦٨ ، ص٣٦٤ .

٣ ـ د . صلاح العقاد ، التيارات السياسية في الخليج العربي ، القاهرة ، ١٩٨٢ ص١٧٦ .

٤ ـ قدري قلعجي ، الخليج العربي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ص ٤٦٧ ـ ٤٦٨ .

٥ ـ صلاح العقاد ، حملة مدحت باشا في شبه الجزيرة العربية سنة ١٨٧١ وصداها في منطقة الخليج ، بحث لجنة تدوين تاريخ قطر ، ج٢ ، اتحاد المؤرخين العرب ، الدوحة (٢١ ـ

في عهد الشيخ عيسى بن علي طالبا من ممثل السلطة العثمانية في منطقة الاحساء ان يقيم القلاع والاستحكامات الحربية في منطقة الزبارة الواقعة في شبه جزيرة قطر ، وعندها شعرت بريطانيا بالقلق على مصالحها فأوعزت بواسطة معتمدها السياسي في الخليج العربي إلى شيخ البحرين والى السفير العثماني في لندن ، ان يطلب من حكومته اغلاق هذا الموضوع ، وفعلا ترك الوكيل العثماني هذه الفكرة[1] .

لم يحاول مدحت باشا مواصلة الضغط العسكري وذلك تحت تأثير رجال الأسطول العثماني من جهة وبسبب الضعف الذي كان يسري بين افراد القوات العثمانية في الاحساء من جهة أخرى ، ويمكن القول ان جهود مدحت باشا في مناطق الخليج العربي جاءت بعد فوات الاوان وبعد ان وطد البريطانيون نفوذهم السياسي والعسكري والتجاري هناك ، ومن ناحية ثانية كانت الدولة العثمانية في وضع يمنعها تماما من ان تجازف في حرب خاسرة من اجل البحرين أو أية مشيخة من مشيخات الخليج العربي . وعلى الرغم من كل ذلك فان حملة الاحساء تركت أساسا ارتكزت عليه الدولة العثمانية فيما بعد في تأكيدها لتلك السيادة ، وكان من الممكن ان تظهر فاعلية تلك الحملة لو استمر الباب العالي مواظبا على الجهد الذي بذله مدحت باشا ، الا انه من الثابت ان ما قام به ذلك الوالي العثماني كان يعتمد إلى حد كبير على طموحه الشخصي ، وقد ضاعف من تضاؤل القوة العثمانية عودة مدحت باشا إلى العراق ومن ثم مغادرته إلى الاستانة في ٢٢ مايس ١٨٧٢ ، ولم يستطع الولاة من بعده متابعة جهوده في الخليج العربي ، رغم ان سياسة

---

٢٨ مارس ١٩٧٦) ، ص ص ٩٣٤ ـ ٩٣٥ .

١ ـ د . جعفر عباس حميدي وآخرون ، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، جامعة بغداد ، ١٩٩١ ، ص٥٤ .

السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ ـ ١٩٠٩) كان تتصف بمعارضة السياسة البريطانية وبخاصة بعد الاحتلال البريطاني لمصر في عام ١٨٨٢[١] .

من جانب آخر أدى قيام السفن البريطانية عام ١٨٩٤ بحرق بعض سفن أهالي البحرين والتي كانت تعمل في البحث عن اللؤلؤ في قاع الخليج العربي ، إلى اثارة استياء السكان بسبب المعاملة السيئة التي تلقوها من قبل السلطات البريطانية ، وقد تبلورت حالة الرفض هذه في ظهور حالات توقيع لأهالي البحرين واعيان الدولة العثمانية ومن ثم أرسلت تلك التواقيع والمستندات برفقة احد المواطنين الذي توجه إلى استانبول لمناشدة السلطات العثمانية تقديم العون اللازم لأبناء البحرين ، غير ان المسؤولين البريطانيين تعقبوا ذلك الشخص وقتلوه وبذلك قطع الطريق على مشروع استهدف معاودة السيادة العثمانية على البحرين[٢] .

على الرغم من ذلك فان كل الدلائل تشير إلى ان الدولة العثمانية كانت مقتنعة بضرورة استمرار محاولاتها الرامية إلى فرض سيطرتها على المنطقة ، وان اتخذت أشكالا وأنشطة سياسية ودبلوماسية أو التلويح باستخدام القوة العسكرية . ففي عام ١٨٩٥ أصدرت الدولة العثمانية أمرا اعتبرت فيه البحرين وعمان مناطق تابعة لها وطلبت من سفن البحرين حمل العلم العثماني تأكيدا لتلك السيادة ، فضلا عن ذلك فقد حاول العثمانيون افتتاح مركز صحي لهم في البحرين عام ١٨٩٧ ، الا انهم جوبهوا بمعارضة قوية من الحكومة البريطانية ، الأمر الذي افشل مخططاتهم الهادفة إلى توكيد نفوذهم

---

١ ـ ينظر د . مصطفى عبد القادر النجار ، التاريخ السياسي لعلاقات العراق الدولية بالخليج العربي ، مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ، ١٩٧٥ ص٢٦ ؛ جعفر عباس حميدي وآخرون ، المصدر السابق ، ص١٥٦ .

٢ ـ خضير نعمان العبيدي المصدر السابق ، ص٥٤ .

على امارات الخليج العربي[1] ، وهكذا لتسمت العلاقات العثمانية ـ البريطانية خلال العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بانعدام الثقة واستمرار التوتر ، إذ نشطت بريطانيا باستخدام شتى الاساليب لزيادة نفوذها والحفاظ على مصالحها ، وقد لجأت إلى الدبلوماسية أو التهديد لتحقيق ذلك ، وفي حين كان موظفو حكومة الهند يتصلون بوالي البصرة العثماني مباشرة لمتابعة قضايا واحداث المنطقة ، كان مسؤولو وزارة الخارجية البريطانية يتباحثون في هذه الامور مع الباب العالي وينسقون الجهود الدبلوماسية بغية فرض هيمنتهم على منطقة شمال الخليج العربي .

شهد العقد الأول من القرن العشرين تطورات مهمة داخل الدولة العثمانية تمثلت بقيام رجال الاتحاد والترقي عام ١٩٠٨ بثورة أطاحت بحكم السلطان عبد الحميد وتبوأ أخيه محمد رشاد مقاليد السلطة ، مما أتاح للاتحاديين اتباع سياسة التتريك التي استهدفت تذويب القوميات الأخرى غير التركية في بوتقة تركية ، مشددين على تطبيق نظام الحكم المركزي في ولاياتهم ومنها منطقة الخليج العربي واضعاف سلطة الشيوخ والأمراء العرب المتنفذين هناك ، وهو ما ولد معارضة أهالي الخليج العربي عموما ومنهم سكان البحرين لتلك السياسات[2] . ولا شك فان التقارب العثماني ـ الألماني الذي حصل خلال هذه الفترة خاصة بعد حصول ألمانيا على امتياز سكة حديد برلين ـ بغداد من السلطان عام ١٨٩٨ قد اسهم في تدعيم التوجهات العثمانية صوب الخليج العربي[3] .

---

١ ـ ينظر امين سعيد ، الخليج العربي تاريخه السياسي ونهضته الحديثة ، بيروت (د.ت) ص٨١ ؛ لوريمر ، المصدر السابق ، جـ٣ ، ص١٤٠٨ .

٢ ـ النجار ، دراسات في تاريخ الخليج العربي المعاصر ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٧ ، ص ص٨-٩ .

٣ ـ John Marlowe; The Gulf in the 20th Century, London, 1962, p. 79.

وعلى ما يبدو فان السياسات العثمانية التي استعرضها موضوع البحث لم تثمر في اعادة السيطرة العثمانية على البحرين ، والتي ظلت تراوح في مكانها لأسباب تتعلق بطبيعة تلك السياسات وقصورها عن مواكبة الأحداث المتلاحقة وعدم نجاحها في مجاراة التطورات التي شهدتها منطقة الخليج العربي ، وعوامل أخرى تتعلق بضعف الدولة العثمانية نفسها ، وسبق بريطانيا الدخول إلى المنطقة وربطها بمصالحها وسياستها بموجب الاتفاقيات و المعاهدات التي أبرمتها مع مشيخات الخليج العربي ، وهو ما قطع الطريق على المحاولات العثمانية التي لم تحقق نجاحا . وجاء احتجاج عيسى بن علي آل خليفة قبيل الحرب العالمية الأولى على الانشاءات التي كانت تقوم بها الدولة العثمانية في منطقة الاحساء وعلى بعض التجمعات التي كانت تقصد من ورائها احتلال البحرين[1] ، ليعبر عن حالة عدم التوافق العثماني ـ البحراني ويدل على صعوبة فرض السيادة العثمانية على عموم المنطقة مجددا ، ومما يعزز ذلك هو نجاح بريطانيا في حمل الدولة العثمانية عام ١٩١٣ على التنازل عن مطاليبها في البحرين والتي استمرت قرابة النصف قرن بموجب المعاهدة الموقعة بين الحكومة البريطانية والدولة العثمانية[2] ، والتي أنهت بالكامل تلك المطالب وأفسحت المجال لترسيخ السيطرة البريطانية على امارات الخليج العربي .

---

١ ـ خضير نعمان العبيدي ، المصدر السابق ، ص ٦٠ .

٢ ـ صلاح العقاد ، التيارات ، ص ١٨١ .

الفصل العاشر

التنافس العثماني البريطاني على البحرين

١٨٧١-١٩١٤

المقدمة

شهد الثلث الاخير من القرن التاسع عشر والسنوات التي سبقت قيام الحرب العالمية الاولى تصاعد النزاع العثماني- البريطاني للسيطرة على الخليج العربي لأهمية المنطقة الحيوية للمصالح الاستراتيجية لكلا الجانبين . ومعلوم ان بريطانيا سبقت الدولة العثمانية في ترسيخ وجودها على امارات الساحل العماني بموجب الاتفاقيات والمعاهدات الموقعة مع شيوخها منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر ، فيما تعددت المحاولات العثمانية لمعاودة سيادتها على عموم المنطقة وكان ابرزها تلك الحملة العسكرية التي بعثها مدحت باشا (والي بغداد) عام ١٨٧١ واستهدفت اعادة النفوذ العثماني الى الامارات العربية التي لم ترتبط بعد بمعاهدات مع السلطات البريطانية لمنعها من السقوط في قبضة الحكومة البريطانية ، وما اعقب ذلك من مجهودات بذلها الباب العالي وهو يروم فرض سيطرته على تلك المناطق واستمر ذلك حتى عام ١٩١٣ .

على ان الاوضاع الداخلية التي كانت تعاني منها الدولة العثمانية من جهة وتفاقم مشاكلها الاوربية في البلقان او في علاقاتها مع دول اوربية من جهة اخرى ، قد ألقت بظلالها على مجمل الفعاليات العسكرية والسياسية العثمانية التي عملت على محاولة ازاحة النفوذ البريطاني والحلول محله ، الأمر الذي اضعف من قدراتها فجاءت محاولاتها ضعيفة وغير جدية إزاء اتساع الوجود البريطاني وفي مجالات عدة والهادف الى تهميش الدور العثماني وجعله غير فاعل في سياساته الرامية الى التقرب واستمالة شيوخ المنطقة الى جانبه ، والذين كانوا في بعض الأحيان بحاجة الى دعم الباب

العالي لحكمهم في مواجهة الضغوط المتزايدة التي مارستها السلطات البريطانية عليهم لجعلهم خاضعين لمقتضيات مصالحها المتزايدة ، فنراها تلجأ الى اتباع الدبلوماسية النشطة تارة والتلويح باستخدام القوة العسكرية تارة اخرى وفي ظل ظروف واوضاع معينة لتحقيق ذات الاهداف . وقد حاول البحث القاء الضوء على تلك الاحداث مستشهداً بالامثلة التاريخية ومعززاً ما اورده من اراء وافكار على معلومات ونصوص استقاها الباحث من مصادر متخصصة في تاريخ الخليج العربي الحديث .

على الرغم من وصول العثمانيين الى البصرة عام ١٥٤١ ، الا انهم لم يستطيعوا ان يفرضوا سيطرتهم الفعلية على المنطقة لأسباب تتعلق بضعف البحرية العثمانية وعدم قدرتها على منافسة القوى الاوربية ومعارضة بريطانيا وفارس للتوجهات العثمانية ، ومع نجاح العثمانيون في اقامة سلطة لهم في الاحساء اواخر القرن السادس عشر ، غير ان هذه السلطة سرعان ما انهارت على يد بني خالد الذين استولوا على حكم الاحساء منذ عام ١٦٧٠ ، وان اعترفوا بولاء شكلي للدولة العثمانية من خلال صلتهم بولاة البصرة[١] ، كما ان العثمانيين لم يلغوا كيان الامارات العربية وكانوا يفضلون الادارة غير المباشرة لها ، واكتفت الدولة بالتركيز على زعامتها الروحية خاصة وانها كانت غارقة بمشاكلها في البلقان ، مما كان الأمر يضطرها بين الحين والاخر الى سحب حامياتها العسكرية من الخليج العربي ، لذلك ظلت سيادتها اسمية في الغالب على تلك المناطق[٢] .

---

١ ـ مصطفى عقيل الخطيب ، التنافس العثماني – البريطاني حول قطر (١٨٩٢-١٩٠٣) في ضوء الوثائق الروسية ، مجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق ، العددان (٦٦-٦٥) ايلول ـ كانون الاول ، ١٩٩٨ ، ص ١٣٠ .

٢ ـ د . جمال زكريا قاسم ، النزاع البريطاني – العثماني في الخليج العربي قبل نشوب الحرب العالمية الاولى ، المجلة التاريخية المغربية ، السنة العاشرة ، العدد (٢٩ ـ ٣٠) جويلية ،

وفي مقابل ذلك استطاعت بريطانيا ان تسيطر على الخليج العربي خاصة بعد احتلال قواتها رأس الخيمة عام ١٨١٩ ، وما اعقب ذلك من تصاعد نفوذها عبر اجبارها شيوخ القبائل العربية ومنهم عبد الله بن احمد آل خليفة شيخ البحرين على توقيع معاهدة السلم عام ١٨٢٠ ، والتي تضمنت التزامهم بعدم التعرض للتجارة البريطانية والمحافظة على ما اطلقت عليه السلطات البريطانية بالأمن في المنطقة[١] ، اضافة الى معاهدات اخرى لاحقة لها .

ولعل ما يلفت النظر ان عروضاً قدمت الى شيخ البحرين في السنوات التالية عن طريق السلطات العثمانية في البصرة تطلب اعترافه بالسيادة العثمانية منها ما حدث عام ١٨٥٨ حينما جاء وفد عثماني ضم شيوخ البصرة وبغداد ليقدم عروضاً لشيخ البحرين الذي ابدى استعداده لقبول السيادة العثمانية على بلاده ، لكن الحكومة البريطانية عارضت في ذلك على أساس ارتباط البحرين باتفاقيات معها وهي لا تعترف بأية اتفاقية تهدف الى وضع الامارة تحت سيطرة الباب العالي ، على ان محاولة فرض السيطرة الفعلية للدولة على البحرين لم تتضح الا على عهد مدحت باشا فمن الملاحظ انها كانت محاولات بسيطة لم يترتب عليها نتائج ذات اثر جدي[٢] .

ادت المعارضة البريطانية المستمرة لمحاولات الدولة العثمانية توطيد وجودها في امارات الخليج العربي الى ادراك بعض المسؤولين العثمانيين مخاطر تلك السياسات على مصالحهم بالمنطقة ، وفي مقدمتهم مدحت باشا (والي بغداد

تونس ، ١٩٨٣ ، ص ٣٥٩ .

١ ـ J-C. Hurewits; Diplomacy in the Near and Middle East, Vol. I, PP 88-90.

٢ ـ قاسم ، الخليج العربي دراسة لتاريخ الامارات العربية ، جـ ٢ ، ١٨٤٠ - ١٩١٤ ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ٢٢٤ .

١٨٦٩-١٨٧٢) الذي يعد من ألد اعداء السياسة البريطانية في الخليج العربي ، وكان حريصاً على تقوية قبضة الدولة على المناطق التابعة لها اسمياً تعويضاً عن الخسائر الاقليمية التي الحقت بها في البلقان ، وجسد توجهاته هذه في ارساله لحملة عسكرية عام ١٨٧١ تمكنت من احتلال الاحساء بمساعدة شيخ الكويت عبد الله الثاني بن صباح[١] ، الامر الذي اثار قلق الحكومة البريطانية على مصالحها في المنطقة خاصة بعد انضمام القبائل العربية للقوات العثمانية فلجأت الى ممارسة ضغوطهاعلى شيوخ تلك القبائل لمنعهم من التحالف او التعاون مع الحملة العسكرية الزاحفة صوب مناطق الخليج العربي[٢] .

ومنذ الاستعدادات الاولى لحملة الاحساء حرصت حكومة استانبول على ان تطمأن بريطانيا بان الحملة المرسلة الى شرق الجزيرة العربية ونجد لن تمس البحرين سواء في المجال العسكري او السياسي ، فقد صرح علي باشا (الصدر الاعظم) في نيسان عام ١٨٧١ بانه فيما يتعلق بالبحرين فلا توجد هناك نية للقيام بعمليات حربية ضدها فان الباب العالي يعلم اهتمام الحكومة البريطانية بهذه الجزر ، اما نجد وتوابعها فهي جزء من ولايات الدولة تشمل الاحساء وقطر[٣] .

---

١ ـ Forign Office (Confidential) To Sir A. Layard, No. 13, Dated 5th Jan. 1885, This Document is the Property of Her Majests Secretary of State For India; قاسم ، الخليج ، ص١٧٥ .

٢ ـ عبد العزيز عبد الغني ابراهيم ، بريطانيا وامارات الساحل العماني دراسة في العلاقات التعاهدية ، بغداد ،١٩٧٣ ، ص٣٠٦ .

٣ ـ د . صلاح العقاد ، حملة مدحت باشا في شبه الجزيرة العربية سنة ١٨٧١ وصداها في منطقة الخليج ، بحوث مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية ، ج ، ٢ ، اتحاد المؤرخين العرب ، لجنة تدوين تاريخ قطر ، الدوحة (٢١-٢٨ مارس (آذار) ١٩٧٦) ص ٩٣٦ .

وكان البريطانيـون يرجون ان يقف الزحف العثماني عند الاحساء ، غير ان تحول شيخ قطـر الى محالفـة العثمانيين افسد حسابات البريطانيين الذين بادروا الى الاستفسار عن اهداف الحملة العـسكرية ، وقد اجاب وزير الخارجية العثماني بان نجداً وتوابعها الاحساء وقطر من املاك الدولة ، اما الامارات الاخرى ومنها البحرين فليس لحكومة استانبول اطماع فيها[1] ، ومع ذلك فقد صدرت الاوامر في نهاية ايار عام ١٨٧١ الى بلي Pelly المقيم البريطاني في الخليج العربي بان يقوم وبرفقة ثلاث سفن حربية بزيارة الى البحرين لتجديد التعهدات البريطانية بالحماية ، وقد برهن وجود هذه السفن في المياه المجاورة على انه كبح فعال لادعاءات العثمانيين ومطالبتهم في البحرين[2] .

أدت الاحتجاجات الفورية من قبل ممثل الحكومة البريطانية لدى استانبول في شهري نيسان وايار من عام ١٨٧١ وحسب ما اوردته المصادر البريطانية الى إنكار المسؤولين العثمانيين وجود مثل هذه المخططات لديهم ، وتلقي قادة الحملة العثمانية تعليمات من حكومتهم تمنعهم من الاقتراب من جزر البحرين ، ورغم التطمينات المذكورة فقد استمرت المخاوف البريطانية من احتمال تقدم القوات العثمانية جنوباً نحو البحرين ، ففي تموز من العام ذاته ترامي الى (بلي) اتجاه الحملة الى البحرين ، وعلى الاثر طلب من الكولونيل لادر Ladder القائد الاعلى للبحرية البريطانية في الخليج العربي مراقبة الساحل العماني عند تقدم القوات العثمانية والعمل على تأكيد المعاهدات السابقة التي عقدت مع شيوخ المنطقة ، وطلب (بلي) من حكومة الهند ان

---

١ ـ المؤلف نفسه ، التيارات السياسية في الخليج العربي ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ١٧٦ .

٢ ـ ارنولدت ، ويلسون ، الخليج العربي ، نقله الى العربية وقدم له د . عبد القادر يوسف ، الكويت ، ص ٣٩٧ .

توافق على ايفاد الميجور سدني سمث مساعده الاول الى جزيرة البحرين وتخصيص بارجة حربية على مقربة من الجزيرة استعداداً للطوارئ ، وعند وصول سمث الى البحرين بعث الى (بلي) يؤكد له تحرك الحملة العثمانية صوب الأمارة[1] .

والواقع ان محاولة مدحت باشا مد نفوذه الى البحرين كان يعد واحداً من المشروعات التي كان يهدف بها السيطرة على شبه الجزيرة العربية وتوابعها من امارات الخليج العربي ، وحانت فرصتها بمناسبة زيارة مدحت باشا للحاميات العثمانية في الاحساء وقطر اواخر عام ١٨٧١ ، وارسل من هناك فرقة عسكرية الى البحرين بقيادة عارف بك قائد بحرية البصرة لبناء ما يلزم من مستلزمات الوقود اللازمة للسفن العثمانية ، وفعلاً توجه عارف بك الى البحرين وتقابل مع شيخها عيسى بن علي آل خليفة الذي اظهر له الحفاوة وعبر عن سروره عند رؤيته للسفينتين العثمانيتين (لبنان والاسكندرية) واللتين كان قد اصطحبهما معه في زيارته ، ثم تبرع بما يلزم من الاراضي لبناء مستودعات الوقود اللازمة للسفن العثمانية ، على انه لم يكن الغرض من تلك البعثة مجرد الحصول على مستودعات الوقود بقدر ما كانت للعمل على وضع البحرين تابعة لمتصرفية الاحساء والحصول على ولاء فعلي من شيخها[2] . وعلى الصعيد السياسي حاول مدحت باشا ان يجمع تواقيع لنحو خمسين او ستين من التجار البارزين في البحرين يطلبون من الاخير توفير الحماية العثمانية لهم بعد ان اجتمع لأحد تجارها وقد شك التاجر في نجاح مثل هذه المحاولة ، وعندئذ عاد مدحت باشا وطلب منه صرف النظر عن

---

١ ـ لمزيد من التفاصيل انظر ج . ج . لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، جـ ٣ ، ترجمة ديوان امير قطر ، الدوحة ، ١٩٧٥ ، ص ص ١٣٦٠- ١٣٦١ ؛ قاسم ، الخليج ، ص ١٨٥ .

٢ ـ قاسم ، الخليج ، ص ٢٢٥ .

الموضوع ، ولم يستطع مدحت باشا ان يمضي في القطيف فترة اطول لأنه كان عليه ان يعود الى بغداد[1] .

اثار التدخل العثماني في شؤون البحرين مخاوف المسؤولين البريطانيين في الهند فبعثوا بتعليماتهم الى (بلي) المقيم البريطاني في الخليج العربي لكي يعمل على منع العثمانيين من الاستيلاء على البحرين ، اذ طلبوا منه في ٨ تشرين الثاني عام ١٨٧١ التوجه على رأس بعض السفن الحربية الى البحرين لطمأنة شيخها وللتعرف على مدى الأخطار التي تهدد بلاده ، كما طلبوا منه ان يوضح للمسؤولين عن الحملة العثمانية ان البحرين مشيخة مستقلة بموجب معاهدة خاصة مع الحكومة البريطانية ، وان الباب العالي كان قد اعرب للسلطات البريطانية عن عدم وجود اية نوايا للسيطرة على البحرين ، وفي الوقت نفسه اقترح اللورد مايو Mayo حاكم الهند على أرجيل Argel وزير الدولة البريطاني الاتصال بالسلطات العثمانية ليبعثوا بتعليماتهم الى مدحت باشا لكي يصرف انظاره عن البحرين ، فأستجاب هؤلاء لذلك وابلغوا أليوت Eliot السفير البريطاني في استانبول بان البحرين ستترك على حالها ولن يمسها أي سوء[2] .

اما مدحت باشا فقد كتب الى اللورد مايو (Mayo وحاول ان يبرر موقفه باظهار الادلة القانونية والتاريخية التي تثبت حق الدولة العثمانية في السيادة على البحرين ، ولكن الاخير اصر من جهته على استقلال البحرين . ويبدو ان السبب الذي دفع مدحت باشا لذلك التفاهم السلمي ان ولاية بغداد

---

١ ـ جون . ب . كيلي ، بريطانيا والخليج ١٧٩٥- ١٨٧٠ ، جـ ٢ ، ترجمة محمد أمين عبد الله ، ١٩٧٩ ، ص ص ٦١٣-٦١٤ .

٢ ـ د . بدر الدين عباس الخصوصي ، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، منشورات ذات السلاسل ، جـ ٢ ، الكويت ، ص ص ١٢٢-١٢٣ .

كانت تعتمد على مصانع بومباي البحرية لأستيراد السفن التي اكثر مدحت من شرائها للملاحة في الخليج العربي وفي نهري دجلة والفرات على امل ان تحل محل الشركة البريطانية ، وكان الشيخ عيسى بن علي آل خليفة -حاكم البحرين لايفتأ يردد مخاوفه من توقع وصول العثمانيين الى بلاده ، وعن احتمال تدخلهم في مغاصات اللؤلؤ بفرضهم الرسوم على القوارب المشتغلة بالصيد ، كما اكثرت السفن العثمانية من التردد على البحرين بحجة التزود بالماء والوقود ، وهو ما اثار مخاوف السلطات البريطانية التي كانت ترى ان انشاء قواعد عسكرية عثمانية امر يهدد مصالحها المتنامية في الخليج العربي[١] .

والثابت فان حملة الاحساء تركت اساسا ارتكزت عليه الدولة العثمانية في تأكيد سيادتها على الخليج العربي فيما بعد من ناحية ، ومن ناحية اخرى دفعت بريطانيا الى تعزيز وجودها في المنطقة ، ومن ثم الاستعداد الدائم للتصدي للوجود العثماني ومحاولات تدعيمه ، وان اضطرت بريطانيا الى الاعتراف بسيادة الدولة على المنطقة الممتدة من البصرة حتى العقير ، اما فيما دون ذلك فليس ثمة اعتراف باي سيادة للدولة باستثناء وجود الاخيرة المحدود في قطر[٢] ، فقد ادى وصول قوة عثمانية الى الدوحة مطلع عام ١٨٧٢ وقيام الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني نيابة عن ابيه الحاكم برفع العلم العثماني على قصره الى احتجاجات فورية واتهامات بريطانية للدولة العثمانية بانها تخطط لاحتلال البحرين وساحل عمان[٣] ، وترجمت ذلك

---

١ ـ Richard, Coke; The Heart of the Middle East, London, 1925, P. 125;

قاسم ، الخليج ، ص ٢٢٦ .

٢ ـ انظر الخطيب ، المصدر السابق ، ص ١٣٣ .

٣ ـ احمد العناني ، الشيخ قاسم بن محمد ثاني ومشكلات الزعامة المحلية في الخليج العربي خلال القرن التاسع عشر ، مجلة الخليج العربي ، المجلد ١٣ ، العدد٢ ، مركز دراسات

في مقاومتها لمحاولة الدولة العثمانية في عهد الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين مد سيطرتها الى جزيرة البحرين ، عن طريق الطلب الى ممثلها في الاحساء ان يقيم القلاع والاستحكامات الحربية في مدينة الزبارة في شبه جزيرة قطر المقابلة للبحرين ، وعندما علمت بريطانيا بذلك اوعزت بواسطة معتمدها السياسي في الخليج العربي الى شيخ البحرين والى السفير العثماني الموجود في لندن ان يطلب من حكومته اغلاق هذا الموضوع ، وفعلاً ترك الوكيل العثماني هذه الفكرة التي باءت بالفشل[1] .

على ان استمرار وجود القوات العثمانية في قطر والاحساء كان يثير من حين الى اخر بعض القلق لشيخ البحرين ، ففي عام ١٨٧٣ على سبيل المثال كتب بعض الشيوخ من آل خليفة الى الصدر الاعظم في استانبول بدافع من الخلافات الشخصية على مايبدو وذكروا في رسائلهم ان البحرين ينبغي ان تدخل تحت السيادة العثمانية ، ولم تنقطع الحوادث الفردية التي تقع بين تجار المنطقة والتي كانت تثير المنازعات المالية ، ولما لم يكن هناك تحديد للجنسيات في منطقة الخليج العربي فان التجار كانوا يدعون لانفسهم الرعوية العثمانية او البحرانية او الفارسية حسب ماتقتضيه مصالهم وكذلك سيعلن البريطانيون في نهاية الامر ان اهالي البحرين يخضعون لقوانين الهند البريطانية[2] .

استمرت حالة التوتر في العلاقات العثمانية ـ البريطانية بخصوص البحرين طيلة الثلث الاخير من القرن التاسع عشر ، فحين حاولت الدولة العثمانية عام ١٨٧٤ ان تزيد من قوة حامياتها العسكرية في قطر وان تعيد بناء مدينة الزبارة واعمارها ، فقد اثار ذلك احتجاج السلطات البريطانية في

الخليج العربي ، جامعة البصرة ، ١٩٨١ ، ص١٩٠ .

١ ـ لمزيد من التفاصيل انظر خضير نعمان العبيدي ، البحرين من امارات الخليج العربي ، مطبعة المعارف ،١٩٦٩ ، ص ٥٤ .

الخليج العربي والتي اعلنت انها لا تسمح باقامة أي مركز في الزبارة يتعارض ومصالحها في عموم المنطقة ، على اعتبار ان هذا الميناء سيشكل نقطة ارتكاز معادية للبريطانيين ونفوذهم في البحرين ، وفي تشرين الثاني عام ١٨٧٥ طلب حاكم الاحساء العثماني من الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين ان يدفع التعويضات المستحقة على رعاياه من التجار ، وقد نصح (أليوت) المقيم البريطاني شيخ البحرين بان يسوي هذه الموضوعات بهدوء وحكمة مع الجانب العثماني ، ومشيرا الى انه على الرغم من ان الحكومة البريطانية لا تطالب بالسيادة على البحرين غير انها مصممة على حماية الجزيرة من أي هجوم يقع عليها[١] ، فيما اوردت الوثائق البريطانية بان شيخ البحرين كان واقعا تحت تأثير والي البصرة العثماني[٢] . وفي ذات الوقت جددت بريطانيا تحذيراتها للدولة العثمانية من مغبة مد نفوذها الى البحرين ولوحت باستخدام القوة العسكرية ضدها في احايين كثيرة[٣] ، ووفقا لما اوردته المصادر البريطانية فقد اصدرت حكومة لندن تصريحاً رسمياً عام ١٨٧٨ يحدد السيادة العثمانية على المنطقة الواقعة بين شط العرب الى جنوب القطيف بالاضافة الى الشريط الساحلي الممتد على طول مقاطعة الاحساء ، ولا يجوز التقدم الى المقاطعات الواقعة الى الجنوب من الدمام ومما يعزز ماذهبنا اليه انه عندما اقدمت استانبول عام ١٨٧٩ على اتخاذ البحرين مستودعاً لتزويد السفن بالوقود والماء نظرا لندرة المياه في موانئ القطيف والعقير ، فقد صدرت التعليمات للسفير البريطاني في العاصمة العثمانية بان يطلب من الدولة ان تتجنب مثل ذلك المشروع ، كما بعثت حكومة الهند تعليماتها الى

---

٢ ـ انظر العقاد ، حملة مدحت ، ص٩٢٨ .

١ ـ قاسم ، الخليج ، ص٢٢٧ ، الخطيب ، المصدر السابق ، ص١٣٤ .

٢ ـ E. C. Ross; The Persian Gulf Administration Reports, Vol. VIV (1879-1883), Calcutta, 1880, (Archive Editions, 198)) P. 4 .

بروس Bruss المقيم البريطاني في الخليج العربي بان يطلب من شيخ البحرين بان يرفض الموافقة على انشاء ذلك المستودع[1] .

ولكن السلطات العثمانية في الخليج العربي لم تكف عن محاولاتها المتعددة لادخال البحرين في دائرة نفوذها واتباعها للاحساء ، وقد نهجت في ذلك طرقاً عدة واستغلت كل الظروف التي تبرر لها حق التدخل في البحرين ، ففي اواخر عام ١٨٨٠ وصلت الى البحرين احدى سفن نقل البريد العثمانية وطلب قائدها من حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي اذناً بانشاء مستودع للفحم في الجزيرة ، وعند استفسار شيخ البحرين عما اذا كان ذلك الطلب هو مبادرة خاصة منه او بايعاز من السلطات العثمانية ، فاجأب بانه قدم طلبا بناء على اوامر صادرة اليه وذكر في معرض حديثه بان البصرة سوف تعلن ولاية منفصلة عن بغداد وسوف يتم تعيين والي جديد في الاحساء ، وان هذا الوالي يعتزم زيارة البحرين في وقت قريب ، وقد رد عليه شيخ البحرين بانه سوف يدرس هذا الموضوع عند وصول الوالي العثماني الجديد الى المنطقة ، وعندما علم (بروس) المقيم البريطاني في الخليج العربي بهذا الموضوع ، كلف وكيل الممثلية البريطانية في البحرين بتذكير الشيخ بالتعهد الذي اعطاه للمقيم البريطاني في شهر حزيران من عام ١٨٧٩ بعدم السماح للعثمانيين بانشاء مستودع للفحم في البحرين قبل عرض الموضوع على الحكومة البريطانية[2] .

على ان الحكومة البريطانية كانت تواقة الى تكبيل الشيخ عيسى بن علي

---

٣ ـ Gurzon, George, persia and persian Question , vol . II,P.545

١ ـ Aitchison,C.U; A Collections of Treaties, Engagements and sands Relating to India, Neighbouring Countries, Vol . X, Calcutta, pp.104-105 ؛ قاسم ، الخليج ، ص٢٥٠

٢ ـ كليلي ، المصدر السابق ، ص٧٤٣ .

آل خليفة بمعاهدات والتزامات جديدة ، اذ انتزعت من الاخير في عام ١٨٨٠ تعهداً جاء فيه بألا يقدم على عقد اية معاهدة كانت او أي اتفاق مع اية دولة والا يمنح أي امتياز كان لاية دولة كانت بتأسيس قنصليات او محطات مالم يحصل على موافقة الحكومة البريطانية[١] ، الامر الذي اثار رد فعل السلطات العثمانية التي اخذت تمارس ضغوطاً على شيخ البحرين لاجباره على الاعتراف بالسيادة العثمانية ، الا ان الاخير ظل حريصاً على إدامة صلاته مع الجانب البريطاني لدرجة انه كان يبعث بالعروض العثمانية الى المقيم البريطاني ، والذي كان يرسلها بدوره الى حكومة الهند التي راحت تخوله صلاحية المحافظة على استقلال البحرين ولو ادى ذلك الى استعمال القوة ضد السلطات العثمانية في الاحساء[٢] .

وعلى الرغم من ان اتفاقية عام ١٨٨٠ لم تحرم الشيخ عيسى بن علي من مراسلات الصداقة المعتادة مع القوى المحلية والدول المجاورة ومنها الدولة العثمانية في موضوعات ثانوية ، الا انها كانت بداية لخطوات لاحقة منعته من حرية العمل كشخص مستقل ، فيما راحت وزارة الخارجية البريطاينة تذكر السفير العثماني في لندن باعلان اللورد جرانفيل في ايار عام ١٨٨٣ الذي جاء فيه انه مادام العثمانيون لايتحركون عمليا خارج حدود مدينة البدع القطرية فاننا معترفون بسيادة اسمية للباب العالي ، لكن القيام باية محاولة لتوسيع هذه السيادة سوف يواجه بالمقاومة[٣] .

---

١ ـ قدري قلعجي ، الخليج العربي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٥ ، ص ص ٤١٨-٤١٩ .

٢ ـ محمد عرابي نخلة ، تاريخ الاحساء السياسي (١٨١٨-١٩١٣) الكويت ، ١٩٨٠ ، ص٢١٩ .

٣ ـ انظر د .محمد الرميحي ، البحرين مشكلات التغير السياسي والاجتماعي ، بيروت ، ١٩٧٦ ، ص٢٤ ؛ الخطيب ، المصدر السابق ، ص١٤٣ .

وبسبب اقدام بريطانيا عام ١٨٨٧ على مصادرة ممتلكات شيخ قطر قاسم بن محمد آل ثاني في البحرين وبومباي ، طلب الشيخ من احد وكلائه في البصرة المدعو عيسى بن قرطاس ان يطلب من الحكومة العثمانية ان تحتج على بريطانيا وتعمل على استعادة ممتلكاته منها ، وانتهز الباب العالي هذه الفرصة لمحاولة تاكيد السيادة العثمانية على شيخ البحرين ، فكتب محمد بن صالح حاكم الاحساء الى الشيخ عيسى بن علي يطلب منه رفع الحجز على اموال قاسم وسرعة اعادتها اليه محذرا اياه بتحمله دفع الفوائد المقررة عن أي تأخير يحدث في تسليم تلك الممتلكات التي قدرت باكثر من (٨١٠٠٠) ألف روبية[١] ، اما اذا كانت هنالك ادعاءات من شيخ البحرين او احد من رعيته لدى الشيخ قاسم فلابد في هذه الحالة من الالتجاء الى احدى المحاكم العثمانية في نجد او البصرة ، والواقع انها كانت مناورة بديعة قام بها صالح باشا ليؤكد بها السيادة العثمانية ، ولكن كان الرد قصيراً وحاسماً في الوقت نفسه ، فقد بعث الشيخ عيسى بناء على مشورة (بروس) المقيم البريطاني في الخليج العربي الى صالح يخبره بان المصادرة وقعت بامر من الحكومة البريطانية[٢] .

شهدت تسعينيات القرن التاسع عشر محاولات بريطانية لزيادة نفوذها في البحرين ، اذ وقعت في ١٣ اذار عام ١٨٩٢ اتفاقية بين تاليوت Talbout المقيم البريطاني والشيخ عيسى وعد فيها الاخير ان لايعقد أي اتفاق او يتبادل أي مراسلات مع اية دولة عدا الدولة البريطاينة ، وان يرفض اقامة أي ممثل لاية حكومة في الاراضي الواقعة تحت حكمه وان لايتنازل عن أي جزء من بلاده او بيعه او رهنه او يسمح باية صورة من الصور باحتلاله الا

---

١ ـ الروبية : عملة هندية كانت تساوي شلن وست بنسات .

٢ ـ قاسم ، الخليج ، ص٢٤٣ .

للحكومة البريطانية[1] . مما عد تطورا في العلاقات البريطانية ـ البحرينية في تلك الحقبة من تاريخ البحرين الحديث .

الا ان السنوات اللاحقة برهنت على وجود توتر في علاقات الجانبين وظهور حالة استياء من قبل سكان البحرين نتيجة قيام السفن البريطانية عام ١٨٩٤ بحرق بعض السفن البحرينية والتي كانت تعمل في الغوص على اللؤلؤ من قاع الخليج العربي ، اضافة الى المعاملة السيئة التي تلقوها من قبل السلطات البريطانية ، وقد تبلورت حالة الرفض هذه في ظهور حالات توقيع لاهالي البحرين واعيان الدولة العثمانية ، ومن ثم ارسلت تلك التواقيع والمستندات برفقة احد المواطنين الذي توجه الى استانبول لمناشدة السلطات العثمانية تقديم العون اللازم لابناء البحرين ، غير ان المسؤولين البريطانيون تعقبوا ذلك الشخص ودبروا عملية اودت بحياته وبذلك قطع الطريق على مشروع استهدف فرض السيادة العثمانية على البحرين[2] .

جددت الدولة العثمانية بحلول عام ١٨٩٥ مطالبتها بتبعية البحرين لها حين اصدر قائمقام القطيف امراً اعتبر فيه البحرين وعمان تابعة للسلطة العثمانية ، وقد ارسلت بريطانيا احتجاجا الى الباب العالي مشيرة فيه بانها لاتقبل زعم الدولة بالسيادة على الجزيرة ، فيما تظاهرت بالنفي من خلال مذكرتين بعثتهما الى الدولة في ١٢ و٢٢ آب بالعام ذاته ما تدعيه من احتفاظها بحق السيادة على البحرين[3] ، ومع ذلك استمرت المعارضة البريطانية للمطالبة العثمانية في السنوات التالية ، فعندما اقترح مكتب

---

١ ـ A.Foroughy; Bahrain Islands, New York , 1951 ,p. 125

٢ ـ خضير العبيدي ، المصدر السابق ، ص٥٤ .

٣ ـ ابراهيم خلف العبيدي ، الحركة الوطنية في البحرين (١٩١٤-١٩٧١) بغداد ، ١٩٧٦ ، ص٤٩ ؛ الخصوصي ، دراسات ، ص٥٤ .

الصحة في القسطنطينية عام ١٨٩٧ افتتاح مركز صحي في البحرين ، رفض المشروع بسبب عدم موافقة السلطات البريطانية والتي اعلنت صراحة بان البحرين تعد امارة مستقلة تحت الحماية البريطاينة ، ولتوكيد تلك الاهداف البريطانية عقدت الحكومة البريطاينة عام ١٨٩٨ معاهدة مع شيخ البحرين تضمت بنوداً لعل ابرزها تخويل السفن البريطانية حق تفتيش السفن الموجودة في المياه الاقليمية للبحرين[١] .

وما ان اطل القرن العشرون حتى كانت المصالح البريطانية قد نمت بصورة ملموسة في البحرين ، وكان من ابرز دعاتها اللورد (كيرزون) نائب الملك في الهند ، ففي عام ١٩٠٠ اسست الحكومة البريطانية وكالة سياسية هناك وعين (جاسكين) كمسؤول سياسي عن بريطانيا في البحرين ثم رفعت مرتبته الى وكيل سياسي[٢] ، واشارت الوثائق البريطانية لعام ١٩٠٣ الى تعهد الشيخ عيسى بن علي آل خليفة في المحافظة على ما أسمته السلطات البريطانية بالسلام في منطقة الخليج العربي التي باتت بحيرة بريطانية[٣] .

وفي خضم تصاعد التنافس العثماني ـ البريطاني في محاولة كل طرف فرض سيادته على البحرين ، يبدو ان الشيخ عيسى بن علي آل خليفة كان ميالاً الى اتباع سياسة الموازنة بين الدولتين المذكورتين متى تهيأت له الفرصة المتاحة لتحقيق اهدافه ، فنراه يلجأ الى طلب الدعم البريطاني لمواجهة الضغوط العثمانية المتزايدة عليه احياناً ، وفي ظل اوضاع اخرى كان يحاول

---

١ ـ انظر لوريمر ، المصدر السابق ، ص١٤٠٦ ، ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق ، ص٥١ .

٢ ـ محمود بهجت سنان ، البحرين درة الخليج العربي ، بغداد ، ص ١٣٦ ، الخصوصي ، المصدر السابق ، ص ص ٥٤-٥٥ .

٣ ـ J. A. Saldanha; Precis of Correspondence Regarding the Affairs of the (Persian Gulf) Vol. I-VIII (1872-1905) (Calcutta, 1906 (Reprinted in 1986) P. 100.

استمالة العثمانيين الى جانبه بغية مساندته ضد التدخلات البريطانية في شؤون بلاده . ويشير الدكتور محمود علي الداود الى انه حين طالب (كيرزون) عام ١٩٠٣ يمنح بريطانيا صلاحية اعادة النظر في ادارة حقوق الجمارك رفض الشيخ ذلك رغم تهديدات نائب الملك ، وقد عزز تصرفه مكانته لدى اهل البحرين الذين اكبروا شجاعة حاكمهم الذي وصفه (كيرزون) في احدى كتاباته بانه كان شيخاً عنوداً ذو شخصية متميزة لم يقبل التنازل عن آرائه ولم يقدم طلباً واحداً يقلل من كرامته او يمس كبريائه[١] .

وبعد تولي جمعية الاتحاد والترقي للحكم في الدولة العثمانية عام ١٩٠٩ عقب خلع السلطان عبد الحميد وتوليه اخيه محمد رشاد للسلطة محله ، والتي راحت تدعو الى عثمنة الولايات التابعة للدولة العثمانية مما ولد نزاعاً عربياً عثمانياً وجدت فيه بريطانيا فرصتها السانحة لاضعاف وشائج الدولة مع امارات الخليج العربي وتحويل المنطقة الى منطقة نفوذ بريطانية[٢] ، فقد اتبعت السياسة العثمانية اسلوب التفاوض مع الحكومة البريطانية بسبب المتاعب السياسية والعسكرية التي واجهها الباب العالي مع ايطاليا في صراعهما على ليبيا ومشاكله مع روسيا ، ومع ذلك ظلت علاقات الجانبين تتميز بانعدام الثقة والتشاحن . على ان الخلاف بين الدولة العثمانية وبريطانيا حول مناطق النفوذ في الخليج العربي لم يتخذ صورة جدية الا في تموز عام ١٩١٠ ، حينما ارسلت السلطات العثمانية في البصرة فرقة من الجنود لكي تسيطر على المواقع التي هي ابعد من الحدود المقررة للسيادة العثمانية جنوب العقير ، ومن جانبها اعترضت الحكومة البريطانية على تلك التحركات

---

١ ـ د . محمود علي الداود ، الخليج العربي والعمل العربي المشترك ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ٤٨ .

٢ ـ مصطفى عبد القادر النجار ، الحركة العربية السياسية في امارات الخليج العربي الشمالية ، مجلة كلية الاداب ، جامعة البصرة ، العدد ٥ ، ١٩٧١ ، ص ١٢٢ .

خوفاً من ان تكون مقدمة للسيطرة على ساحل قطر والبحرين ، ولعل موقف بريطانيا هذا يفسر لنا التعهد الذي قدمه شيخ البحرين عام ١٩١١ للمقيم البريطاني بان لا يسمح بتأسيس أي وكالة للبريد في بلاده دون موافقة المسؤول البريطاني[١] .

والراجح ان الدولة العثمانية لم تكن تستطيع ان تواصل سياستها المعارضة للوجود البريطاني في منطقة الخليج العربي ، وربما رأت بسبب ما صادفته من مشاكل في البلقان فضلاً عن ان الجيش العثماني كان لا يزال في طور التنظيم تحت اشراف خبراء عسكريين ألمان ، لذلك كان رجال الدولة يحبذون ان تسوي الاخيرة مشاكلها مع بريطانيا بالطرق السلمية املاً في الحصول على تأييد من الحكومة البريطانية ازاء ما يواجهه الباب العالي من مشكلات اخرى ، وانه في سبيل الحصول على هذه التسوية كانت الدولة مستعدة لأن تتنازل لمصلحة بريطانيا عن امتيازات محسوسة وخصوصاً في مناطق الخليج العربي ، كونها لم تكن في وضع يساعدها على مواصلة تصديها للسياسات والضغوط البريطانية الرامية الى احكام سيطرتها على المشيخات العربية ومنها البحرين[٢] .

وحقيقة الامر فان المفاوضات العثمانية البريطانية التي جرت قبل اندلاع الحرب العالمية الاولى وبهدف عقد معاهدة بينهما لحل خلافاتها حول امارات الخليج العربي قد مرت بمراحل كثيرة من التعثر ، ويرجع ذلك الى اصرار بريطانيا على عدم الاعتراف باكثر من ميناء العقير ليكون بمثابة الحد الجنوبي

---

١ ـ لوريمر ، المصدر السابق ، ص ١٢٥٠ ؛ قاسم ، النزاع ، ص ٣٦٤ ؛ المؤلف نفسه ، الخليج ، ص ٢٥٣ .

٢ ـ العقاد ، الاستعمار في الخليج ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ص ١٧٧ ، قاسم ، النزاع ، ص ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥ .

للنفوذ العثماني في المنطقة ، وكما اصرت بريطانيا انه لا بد من اخراج الحاميات العثمانية من البحرين وكذلك من شبه جزيرة قطر بكاملها ، واخيراً تم ابرام الاتفاقية العثمانية ـ البريطانية في ٢٩ تموز عام ١٩١٣ ، والتي وقعت من قبل ابراهيم حقي باشا عن الدولة العثمانية والسير (ادوارد جرى) عن الحكومة البريطانية وضمت خمسة بنود تناولت مواضيع شتى ، وفيما يتعلق بالبحرين اعلنت استانبول تنازلها عن كافة حقوقها في السيادة وعن جميع ادعاءاتها السابقة في البحرين ، واقرت بان رعايا الاخيرة يعدون بمثابة اجانب عن الدولة لا يحق للاخيرة تجنيدهم او اجبارهم على دفع الضرائب وان الذي يشرف على مصالحهم هو القنصل البريطاني في بغداد ، مع السماح لبريطانيا بممارسة حق تفتيش السفن العاملة في مياه الخليج العربي ، ومن جهة اخرى اكدت الحكومة البريطانية انها لا تنوي ان تضم البحرين اليها[١] .

لم تقف المكاسب البريطانية عند حدود بنود اتفاقية عام ١٩١٣ المشار اليها سلفاً ، ولعل اخر ما حصلت عليه بريطانيا من مكاسب سياسية واقتصادية وعسكرية قبيل اعلان الحرب العالمية الاولى تمثل في موافقة السلطان العثماني عام ١٩١٤ بان يكون لبريطانيا حق ادارة شط العرب والخليج العربي ووضع العوامات فيها والمحافظة عليهما تأميناً لسير السفن العاملة في عموم المنطقة[٢] ، ثم جاءت احداث الحرب العالمية الاولى والتي اسفرت عملياتها العسكرية عن انهيار المانيا وحليفتها الدولة العثمانية وانتصار بريطانيا وحلفائها مما ترك آثاره المباشرة على استمرار الوجود البريطاني في الخليج العربي والمقترن بتعاظم مكانة المقيم البريطاني الذي اصبح بحقيقة

---

١ ـ انظر العقاد ، التيارات ، ص ١٩٨ ؛ قاسم ، النزاع ، ص ٣٦٨ ؛ العقاد ، الاستعمار ، ص ١٧٧ .

٢ ـ د . عباس ياسر الزيدي ، القوى الاستعمارية في الخليج العربي ١٦٠٠ ـ ١٩١٤ ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ١٢ ، ١٩٨٠ ، ص ٤٥ .

الامر الحاكم الفعلي للامارات العربية في المنطقة .

على ان ما يمكن استخلاصه من ثنايا البحث توكيد حقيقة مفادها ان السياسة البريطانية في الخليج العربي كانت تتحكم فيها وتسيرها المدرسة الاستعمارية التي عد اللورد (كيرزون) نائب الملك في الهند احد اعمدتها ، وكان يعتقد ان الخليج العربي هو بحيرة بريطانية مقفلة لا يحق لشيوخها وبموجب الاتفاقيات المعقودة بين الاخيرين والسلطات البريطانية التعامل مع اية دولة اجنبية بصورة ثنائية بما فيها فارس والدولة العثمانية ، ويرى كيرزون انه ليس لأية دولة اوربية اخرى بما في ذلك روسيا القيصرية والمانيا وفرنسا الحق في تأسيس علاقات مع هذه الامارات او المتاجرة معها او تأسيس مشاريع تنتهي بموانئها[1] ، وعلى الجانب الاخر جاءت المحاولات العثمانية لتوكيد سيادتها على مناطق الخليج العربي مؤقتة ومتقطعة الى حد ما ومحكومة بمدى قدرة الباب العالي على تهيئة الحملات العسكرية وتوفير مستلزماتها الحربية وتعبئة الرأي العام في تلك المناطق بغية وقوفه الى جانب المطالبة العثمانية في معاودة نفوذها هناك ، ويظهر ان تلك المحاولات العثمانية السياسية والعسكرية جاءت متأخرة وبعد فوات الاوان خاصة بعد نجاح بريطانيا في احكام سيطرتها على امارات الخليج العربي من خلال وجودها العسكري الفعلي او عبر الاتفاقيات المعقودة بين بريطانيا وشيوخ تلك الامارات والتي كانت محصلتها النهائية ترسيخ الوجود البريطاني في عموم مناطق الخليج العربي ومنها البحرين .

---

١ ـ الداود ، المصدر السابق ، ص ٤٦ .

الخاتمة

أشرت المعلومات التي وردت بين دفتي هذا الكتاب وتضمنتها فصوله التسع جملة حقائق وثقتها الاحداث التاريخية التي زخر بها تاريخ البحرين الحديث ، ولعل في مقدمتها ما اداه الموقع الجغرافي لجزر البحرين وكثرة اللؤلؤ على سواحلها ، فضلاً عن ثرواتها الزراعية من تاثيرات مباشرة في تزايد اهميتها التجارية ودورها السياسي في شمال الخليج العربي ، وهو ما كان محفزاً للقوى المجاورة للبحرين بان ترنو بانظارها صوبها كالدولة السعودية وسلطنة عمان ، اذ بذلت كل منهما محاولات جادة على الصعيد السياسي والعسكري لفرض سيطرته على المشيخات العربية ومنها البحرين ، فيما تسارعت خطى الدولة العثمانية وفارس في خضم تنافسهما التقليدي للاستحواذ على ثروات البحرين والعمل على زيادة نفوذهم هناك ، مما انعكست آثاره السلبية على اوضاع البلاد الداخلية وعلاقاتها الخارجية على الرغم من عدم وجود أي نفوذ مباشر للفرس في البحرين ، وخلال تلك السنوات الطويلة التي اكتظت باحداث ذات اهمية في تاريخ هذه الامارة العربية وتميزت في غالبها بتصاعد حدة الصراع بين تلك الاطراف وفي محاولة كل جانب تحقيق اهدافه على حساب مصالح الطرف الاخر ، تحلى عتوب البحرين بالصبر والمطاولة وقد تعرضوا لشتى الضغوط من القوى المجاورة ، غير ان ذلك لم يثنيهم عن مواصلة مسيرتهم الدؤوبة ، فنراهم تارة وقد نجحوا في تقوية علاقاتهم السياسية مع العديد من القوى القبلية ، وتارة اخرى يمدون جسور التعاون التجاري مع سكان مدن وموانئ الخليج العربي الاخرى ، وربما اضطروا في بعض الاحيان وحسب ظروف واوضاع معينة الى

دفع اموال سنوية الى بعض تلك القوى المحلية درءاً لمخاطرها المحتملة على بلادهم وهي لا تزال في صيرورتها الاولى ولو بصورة مؤقتة لحين زوال تلك التهديدات المحدقة بوطنهم ، من ذلك دفع عتوب البحرين اموالاً عام ١٧٩٩ لآل مذكور حكام بوشهر وبندريق وهي لم تكن وسيلة للتعبير عن ولائهم لآل مذكور بقدر ما كانت وسيلة للتخلص من نفوذ آل سعود الذين اجتاحت قواتهم البحرين في اواخر القرن الثامن عشر هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى كان ذلك ذريعة للتخلص من الخطر العماني الذي تمثل باطماع سلطان مسقط في البحرين ، وبهذه السياسة تمكنوا من ابعاد العديد من تلك الاخطار والتي ارادت السوء بالبحرين واهلها والتدخل في شؤونها الداخلية والاستحواذ على خيراتها ، وكل ذلك اكسب اهالي البحرين القدرة بالمحافظة على بلادهم وسط موجة الصراع الاقليمي والدولي الذي تعرضت له الجزر المذكورة عبر سنوات تاريخها الحديث .

وفي الوقت ذاته خاضت البحرين صراعاً من طراز آخر تمثل هذه المرة في تصديها لاطماع القوى الاوربية وشركاتها التجارية التي راحت سفنها تجوب مياه الخليج العربي منذ بداية القرن السادس عشر والقرون اللاحقة وتتردد على موانئ البحرين لاغراض تجارية وسياسية معروفة ، وقد تعامل عتوب البحرين مع تلك القوى الاوربية وحسب ما تقتضيه مصالحهم وكيفية المحافظة عليها ووفق ظروف بلادهم واوضاع المنطقة ، ففي الوقت الذي اضطر فيه سكان البحرين على القيام بثورة ضد القوات البرتغالية التي كانت قد تمادت في تدمير سفنهم التجارية ومدنهم الآمنة بل وحرمتهم من مزاولة مصادر رزقهم اليومي بفرضها قيوداً قاسية على تجارتهم وتنقلهم ، اسوة باخوانهم في المدن الخليجية الاخرى عام ١٥٢١ نرى آل خليفة يلجأون هذه المرة الى اقامة علاقات تجارية مع شركة الهند الشرقية الهولندية التي ركزت في الغالب على

النشاط التجاري بغية تحقيق منافع متبادلة للجانبين ، وقد حققوا نجاحاً ملحوظاً في هذا المجال حتى صارت السفن الهولندية تنقل لؤلؤ البحرين وتعمل على المتاجرة به الى مناطق كثيرة ، فلا عجب ان تشهد موانئ ومدن شرق افريقيا وسواحل الهند لآلئ البحرين وهي معروضة في اسواقها التجارية ، وعلى الرغم من العراقيل التي وقفت امام التغلغل الفرنسي للمنطقة ونجاح بريطانيا في افشال المحاولات الفرنسية الهادفة مد نفوذها إلى الامارات العربية وخاصة فيما يتعلق باتصالات نابليون مع سلطان مسقط عام ١٧٩٩ والتي لم يكتب لها النجاح ، ومع ذلك يبدو ان البحرين قد شكلت محطة تجارية كانت ترتادها سفن شركة الهند الشرقية الفرنسية طيلة القرن الثامن عشر .

اما فيما يتعلق بطبيعة السياسة البريطانية التي اتبعتها حكومة بومباي في التعامل مع البحرين ، فمن المعلوم تاريخياً ان سفن شركة الهند الشرقية الإنكليزية كانت سباقة في ارساء علاقات تجارية ومنذ وقت مبكر ، وتجسد ذلك بوصول سفنها بداية القرن السابع عشر الى مدن وموانئ الخليج العربي الشرقية والغربية وهي تروم اقامة علاقات تجارية مع سكان تلك المناطق ، وعلى الجانب الآخر خاض البريطانيون صراعاً مريراً ضد البرتغاليون الذين نافسوهم على التجارة متحالفين مع الفرس في بعض الاحيان للتخلص من العدو المشترك ، وحدث ذلك حين حقق هذا التحالف انتصاراً على البرتغاليين في هرمز عام ١٦٢٢ ، غير ان السلطات البريطانية لم يهدأ لها بال اثر النجاح الذي حققه الهولنديون من خلال شركة الهند الشرقية في اقامة وكالات تجارية لهم في البحرين وغيرها من المدن العربية في القرن السابع عشر واستمر ذلك حتى منتصف ستينيات القرن الثامن عشر ، وراحت تقاوم الوجود الهولندي ، غير ان العامل الحاسم في خروج الهولنديين جاء على يد عرب

بندريق الذين نجحوا في طردهم من جزيرة خرج بقيادة زعيمهم مير مهنا عام ١٧٦٦ .

وهكذا تهيأت الظروف المحلية والدولية المناسبة لترسيخ الوجود البريطاني سياسياً واقتصادياً وعسكرياً في امارات الخليج العربي ومنها البحرين مع اطلالة القرن التاسع عشر ، بعد انحسار نفوذ معظم القوى المنافسة له اقليمياً ودولياً ، ونشطت السلطات البريطانية بالعمل على استثمار أية فرصة تتاح لها وبهدف تعزيز تواجدها هناك ، فقد وجدت في الحملة المصرية التي ارسلها محمد علي باشا الى الجزيرة العربية عام ١٨١٨ ونجاحها في تدمير الدرعية خير فرصة لضرب القواسم الذين هددوا مصالحها في الصميم ، اذ ان سقوط عاصمة الدولة السعودية قد ازاح اكبر نصير للقواسم كانت بريطانيا تتجنب الاحتكاك به ، فسارعت القوات البريطانية الى مهاجمة مدن القواسم وحصونهم حتى استطاعت احتلال رأس الخيمة عام ١٨١٩ ، مما فرض سيطرتها على باقي مشيخات الساحل العماني ، والتي تعاظمت بعد توقيعها لمعاهدة عام ١٨٢٠ مع الشيوخ العرب واصبح الوجود البريطاني حقيقة واقعة ، ثم لجأت سلطات حكومة بومباي الى ممارسة شتى الضغوط على أولئك الزعماء ومنهم شيوخ البحرين لدفعهم الى الانضمام الى معاهدات جديدة في الاعوام اللاحقة وبحجة الحفاظ على الامن والتجارة في مياه الخليج العربي ، وقد توجت بريطانيا مجهوداتها السياسية والعسكرية وللحيلولة دون ولوج اية قوة منافسة لها الى المنطقة في افشالها للتقدم المصري صوب البحرين والذي تصاعد خلال عامي ١٨٣٨ و ١٨٣٩ على اثر التأييد الذي اعلنه الشيخ عبد الله بن احمد آل خليفة للوجود المصري وقد برهنت عليه الاتفاقية المصرية ـ البحرانية التي وقعت بين الجانبين عام ١٨٣٩ ، ونجاحها بالتالي في اجبار القوات المصرية على الخروج من الخليج العربي ، بعد تهديد تلك القوات

في احتلال استانبول عام ١٨٣٩ ، وقد اثار ذلك رد فعل اوربي استثمرته بريطانيا في اقامة تحالف دولي شكل عامل ضغط اسهم في خروج المصريين فتهيأت الاجواء لانفراد بريطانيا لوحدها بالسيطرة على البحرين وباقي المشيخات العربية معظم القرن التاسع عشر وحتى اندلاع الحرب العالمية الاولى .

المصادر والمراجع

المخطوطات

- الذكير ، مقبل بن عبد العزيز ، العقد الممتاز في اخبار تهامة والحجاز ، مخطوط في دائرة المخطوطات ، بغداد ، تحت رقم (٤٠٣٥٤) .
- مؤلف مجهول ، العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية ، مخطوط في دائرة المخطوطات ، بغداد ، تحت رقم (٤٠٣٥٣) .

الوثائق غير المنشورة

- Foreign Office "Confidential" To sir A _ Layard , No . 13, Dated 5th Jan 1885 , This Document is the property Of Her Majest,s Secretury of State For India .

الكتب العربية والمعربة

- ابراهيم ، عبد العزيز عبد الغني ، بريطانيا وامارات الساحل العماني دراسة في العلاقات التعاهدية ، بغداد ، ١٩٧٣ .
- ابراهيم ، عبد الفتاح ، على طريق الهند ، بغداد ، ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥م .
- ابو حاكمة ، احمد مصطفى ، تاريخ الكويت الحديث ١٧٥٠ ـ ١٩٦٥ ، الكويت ، دار السلاسل ١٩٨٤ .

- ابو حاكمة ، احمد مصطفى ، محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

- ابو عليه ، د . عبد الفتاح حسن ، دراسة حول المخطوط التركي حجاز سياحتنامة سى ، الرياض ، ١٩٨٣ .

- آداموف ، السكندر ، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها ، جـ٢ ، ترجمة د . هاشم صالح التكريتي ، مركز دراسات الخليج العربي جامعة البصرة ، ١٩٨٩ .

- أمين ، د . عبد الامير محمد ، مقاومة امارات شرقي الجزيرة العربية وقبائل الخليج العربي للتغلغل الاستعماري الاوربي ١٥٠٠-١٨٢٠ ، من اعمال الندوة الخاصة بالتجارب العربية المعاصرة ، تجربة دولة الامارات العربية المتحدة ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، آذار ، ١٩٨١ .

- الانصاري ، محمد جابر ، لمحات من الخليج العربي ، ١٩٧٠ .

- اوزبران ، د . صالح ، الاتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤-١٥٨١ ، ترجمة وتعليق د . عبد الجبار ناجي ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ، ١٩٧٩ .

- بانيكار ، ك . م ، آسيا والسيطرة الغربية ، ترجمة عبد العزيز جاويد ، مراجعة احمد خالي ، القاهرة ، (د . ت) .

- البحراني ، الشيخ يوسف بن احمد ، لؤلؤة البحرين في الاجازات وتراجم رجال الحديث ، حققه وعلق عليه السيد محمد صادق بحر العلوم ، النجف الاشرف .

- البصري ، عثمان بن سند ، سبائك العسجد في اخبار احمد نجل رزق الاسعد ، بومباي ، ١٣١٥هـ / ١٨٩٧ م .

- بك ، محمد فريد ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، بيروت ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧ م .

- حراز ، د . السيد رجب ، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب (١٨٤٠ - ١٩٠٩) القاهرة ، ١٩٧٦ .

- حنظل ، فالح ، المفصل في تاريخ الامارات العربية المتحدة ، جـ١و٢ ، ابو ظبي ، ١٩٨٣ .

- الحمداني ، د . طارق نافع ، محاضرات ، طلبة الدراسات العليا ، الفصل التمهيدي ، بغداد ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٨٨ .

- الخصوصي ، د . بدر الدين عباس ، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، جـ ١ ، ١٩٧٨ .

- الخطيب ، مصطفى عقيل ، التنافس الدولي في الخليج العربي ١٦٢٢- ١٧٦٣ بيروت ، ١٩٨١ .

- الداود ، د . محمود علي ، احاديث عن الخليج العربي ، بغداد (د . ت) .

- الداود ، د . محمود علي ، الخليج العربي والعمل العربي المشترك ، بغداد ، ١٩٨٠ .

- الداود ، د . محمود علي ، محاضرات عن الخليج العربي والعلاقات الدولية ١٨٩٠ - ١٩١٤ ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

- دحلان ، احمد زيني ، خلاصة الكلام في بيان امراء البلد الحرام ، المطبعة الخيرية بمصر .

- الرميحي ، د . محمد ، البحرين مشكلات التغير السياسي والاجتماعي ، بيروت .

- الزيد ، خالد سعود ، الكويت في دليل الخليج ، جـ ١ ، السفر التاريخي ، ١٩٨١ .
- سعيد ، أمين ، الخليج العربي تاريخه السياسي ونهضته الحديثة ، بيروت (د . ت) .
- سلوت ، ب . ج ، عرب الخليج في ضوء مصادر شركة الهند الشرقية الهولندية ١٦٠٢-١٧٨٤ ، ترجمة عايدة خوري ، ابو ظبي ، ١٩٩٣ .
- سنان ، محمود بهجت ، البحرين درة الخليج العربي ، بغداد ، (د . ت) .
- سنان ، محمود بهجت ، تاريخ قطر العام ، بغداد ، مطبعة المعارف .
- سنان ، محمود بهجت ، الكويت زهرة الخليج العربي ، بيروت ، ١٩٥٦ .
- الشامي ، د . احمد ، العلاقات التجارية بين دول الخليج وبلدان الشرق الاقصى واثر ذلك في بعض الجوانب الحضارية في العصور الوسطى ، بحوث مؤتمر دراسات تاريخ شرقي الجزيرة العربية ، جـ ٢ ، لجنة تدوين تاريخ قطر ، الدوحة (٢١ ـ ٢٨ مارس / اذار) ١٩٧٦ .
- الشناوي ، د . عبد العزيز محمد ، المراحل الاولى للوجود البرتغالي في شرقي الجزيرة العربية ، بحوث مؤتمر دراسات تاريخ شرقي الجزيرة العربية ، لجنة تدوين تاريخ قطر ، اتحاد المؤرخين العرب ، الدوحة (٢١-٢٨ مارس (آذار) ١٩٧٦ .
- الشيخ خزعل ، حسين خلف ، تاريخ الكويت السياسي ، جـ ١ ، بيروت ، ١٩٦٢ .
- الشيخ ، د . رأفت غنيمي ، ارتباط النشاط المصري في الخليج بالنشاط المصري في الحجاز ونجد ، بحوث لجنة تدوين تاريخ قطر ، جـ ٢ ، الدوحة ، اتحاد المؤرخين العرب ، (٢١ ـ ٢٨ مارس / آذار) ١٩٧٦ .

- الصالح ، نورية محمد ، علاقات الكويت السياسية بشرقي الجزيرة العربية والعراق العثماني ١٨٦٦-١٩٠٢ ، الكويت ، ١٩٧٧ .
- صبحي ، احمد محمود ، البحرين ودعوى ايران ، تقديم ومراجعة د . محمود علي الداود ، الاسكندرية ، ١٩٦٢ .
- الصواف ، د . فائق بكر ، العلاقات بين الدولة العثمانية واقليم الحجاز ما بين (١٢٩٣-١٣٣٤ هـ/١٨٧٦ ـ ١٩١٦م) مكة المكرمة ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٨٢ م .
- الصيرفي ، نوال حمزة ، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، الرياض ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- العابد ، صالح محمد ، دور القواسم في الخليج العربي ١٧٤٧ ـ ١٨٢٠ ، بغداد ١٩٧٦ .
- العابد ، د . فؤاد سعيد ، سياسة بريطانيا في الخليج العربي خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر ، الكويت ، ١٩٨١ .
- العبيدي ، ابراهيم خلف ، الحركة الوطنية في البحرين (١٩١٤ ـ ١٩٧١) بغداد .
- العبيدي ، خضير نعمان ، البحرين من امارات الخليج العربي ، بغداد ، ١٩٦٩ .
- العزاوي ، عباس ، عشائر العراق ، جـ١ ، بغداد ، ١٩٣٧ .
- العصفور ، عباس احمد ، صراع الخليج العربي ضد المطامع الاجنبية في العصر الحديث ، بحوث المؤتمر الدولي للتاريخ ، بغداد ، ١٩٧٣ .
- العقاد ، د . صلاح ، الاستعمار في الخليج ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية .

- العقاد ، د . صلاح ، التيارات السياسية في الخليج العربي ، القاهرة ، ١٩٨٢ .

- العقاد ، د . صلاح ، حملة مدحت باشا في شبه الجزيرة العربية سنة ١٨٧١ وصداها في منطقة الخليج ، بحث لجنة تدوين تاريخ قطر ، جـ٢ ، اتحاد المؤرخين العرب ، الدوحة (٢١-٢٨ مارس / آذار ١٩٧٦) .

- علي ، كاظم باقر ، البحرية الفارسية في الخليج العربي دراسة لواقعها البحري ١٨٤٨-١٩٠٧ ، مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ، , ١٩٨٤

- قاسم ، د . جمال زكريا ، الخليج العربي دراسة لتاريخ الامارات العربية في عصر التوسع الاوربي الاول ١٥٠٧ - ١٨٤٠ ، القاهرة ، ١٩٨٥ .

- قاسم ، د . جمال زكريا ، دولة بو سعيد في عمان وشرق افريقيا (١٧٤١ - ١٨٦١) القاهرة ، ١٩٦٧ .

- قلعجي ، قدري ، الخليج العربي ، بيروت ، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٥ .

- القناعي ، د . نجاة عبد القادر ، د . بدر الدين عباس الخصوصي ، تاريخ صناعة السفن في الكويت وانشطتها المختلفة ، الكويت ، ١٩٨٢ .

- القنوجي ، ابو الطيب صديق بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري ، ١٢٢٨ - ١٣٠٧هـ / ١٨٣٢ - ١٨٩٠م ، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الاخر والاول ، وتصحيح وتعليق عبد الكريم شرف الدين ، بمباي ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .

- كيلي ، جون . ب ، بريطانيا والخليج ١٧٩٥-١٨٧٠ ، جـ١ ، ترجمة محمد أمين عبد الله ، سلطنة عمان ، ١٩٦٥ .

- لوتسكي ، تاريخ الاقطار العربية الحديث ، ترجمة د . عفيفة البستاني ، بيروت ، ١٩٨٠ .

- لوريمر ، ج ـ ج ، دليل الخليج القسم التاريخي ، جـ ٢ و٣ ، ترجمة ديوان امير قطر ، الدوحة ، ١٩٧٦ .

- لونكريك ، ستيفن هيمسلي ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط ، بغداد ، ١٩٦٨ .

- ما يلز ، س . ب ، الخليج بلدانه وقبائله ، ترجمة محمد امين عبد الله ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

- مجهول ، مؤلف ، كتاب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق د . احمد مصطفى ابو حاكمة ، بيروت ، ١٩٦٧ .

- مراد ، محمد عدنان ، صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي ، دار دمشق للطباعة ، ١٩٨٤ .

- النبهاني ، محمد بن خليفة ، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ، القاهرة ، ١٣٤٢هـ / ١٩٢٤ م .

- النجار ، د . مصطفى عبد القادر ، دراساتٌ في تاريخ الخليج العربي المعاصر ، بغداد ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٧ .

- نخلة ، محمد عرابي ، تاريخ الاحساء السياسي ١٨١٨ ـ ١٩١٣ ، الكويت ، منشورات ذات السلاسل ، ١٩٨٠ .

- النقيب ، د . خلدون ، المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٩ .

- نوار ، د . عبد العزيز ، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

- نوفل ، الدكتور سيد ، الاوضاع السياسية لأمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة ، الكتاب الاول ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

- هاو ، سونيا . ى ، في طلب التوابل ، ترجمة محمد عزيز رفعت ، مراجعة د . محمود النحاس ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

- وهبة ، حافظ ، جزيرة العرب في القرن العشرين ، القاهرة ، ١٩٦١ .

- ويلسون ، ارنولدت ، الخليج العربي ، نقله الى العربية وقدم له د . عبد القادر يوسف ، الكويت (د . ت) .

الكتب الأجنبية

- A. Holroyd, Egypt and Mohammed Ali pasha in 1837, London, 1838.

- Admiyat, Fereydaun; Bahrein Islands, Alegal Diplomatic Study of the British Iranian Controversy, New York, 1935

- Aitchison, c. u; A Collection Of Treaties Engagements and sands Relating To India and Nieghbouring Contries, vol. Xl, Calcutta, 1933.

- Alfouso, Alboquerque; The commentries of"Trans" into English by w- De Gray Birch Haki soc, vol. 1, London, 1973.

- Baker, Randal; king Husain and the kingdom of Hejaz, New York, u. s. A.

- Bathurst, R. B; The YÔarubi Dynasty in Oman, oxford, 1967.

- Belgrave, Sir Charles; The Pirate Coast, Beirut, 1972.

- Carruthers, Douglas; The Desert Route to India,London, 1929.

- Coke, Richard; The Heart of the Middle East, London, 1925.

- Crichon, Andrew, History of Arabia and Its People, London and Edinburah,1852.

- Danvers, Frederick. C; The portuguese in India, Ahistory of the Rise and Decline of their Empire, vol. 1, ll, London, 1894.

- Denis, M. Ferdinand; portugal, paris, 1846.

- Durate, Barbosa; The Book of Durate Barbosa, vol. I, London.
- Faroughy, Abbas; The Bahrein Islauds "750- 1951" New York,1951.
- Furber, Holden; Rival Empires of Trade in the Orient "1600-1800" Oxford University Press, 1976.
- George, Curzon; Persia and the Persian Question, vol. II, London, 1892.
- Haghes, Thomas; ed; Selections From the Records Bombay Government Historical and Other Information connected with the province Of Oman, Muscat, Bahrian, and Other places in the Persian - Arabian Gulf -"New Series, No. xxiv" Bombay, 1850.
- Haskins; Back Ground Of The British Position in Arabia,vol. 1, London.
- Hopkins, John; The Gulf States, London, 1981.
- Hurewits, J; Diplomacy In The Near and Middle East, vol. I.
- Lockhart, L; Nadir Shah, London, 1938.
- Lockhart, L; The Fall of the Safavi Dynasty and the Afghan Occpation of persia, Combridge, 1958.
- Marlowe, Jhon; The Gulf in the 2oth. Century, London.
- Niebouhr, M.C;Travls Through Arabia and the Other.Countries in the East, Vol.II,Trans into English by Robert Heron "Edinburah,1792".
- Naval Intelligence Division, Western Arabia and Read Sea, Oxford, 1946.
- Parsons, Abraham; Travels in Asia and Africa, London, 1808.
- Pelgrave, W. G, Narrative of A year Journey Through Central and Eastern Arabian"1862 _ 1863" Vol.11, London 1865.
- Pentz, George; Wahhabism and Saudi Arabia, in _the Arabian peninsula Society and Polities_,By Derek Hopwood, London, 1972.
- Richard, Nyrop; Area Hand Book For the Gulf states, Washinton, January 3, 1977.

- Ross, E.C; The persian Gulf Adminstration Report, vol. VIV, 1879-1883, Calcutta, 1880, "Archive Edition 1986".
- Salanha, J.A; precis of Correspondence Regarding the Affairs of the"persian Gulf" Vol.V111"1872-1905" Calcutta, 1906"Reprinted in 1986".
- Sousa, Faria; the History of Discovery and Conguest of india by the portugues, Translated into English by John Stevens, Vol. I,London, 1894.
- Tavernier, John Baptista; the Six Voyages Of John Baptista Tavernier and the East Indies, London, 1678.
- Whigham, N.J;The Persian Probleem, London, 1903.

الدوريات العربية

- أبا حسين ، علي ، دراسة في تاريخ العتوب ، مجلة الوثيقة ، البحرين ، مركز الوثائق التاريخية ، العدد ١ ، السنة ١ ، رمضان ١٤٠٢ هـ / يوليو (تموز) ١٩٨٢م .
- احمد ، د . ابراهيم خليل ، بدايات التوجه العثماني نحو منطقة الخليج ، مجلة المؤرخ العربي ، بغداد ، الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب ، العدد ٤٣ ، السنة ١٦ ، ١٤١٠ هـ /١٩٩٠م .
- احمد ، د .ابراهيم خليل ، موقع البحرين في محاولات محمد علي باشا لتأسيس دولة عربية موجودة ، مجلة الوثيقة ، العدد ٤ ، السنة ٢ ، ربيع الآخر ١٤٠٤ هـ / يناير(كانون الثاني) ١٩٨٤م .
- آداموف ، التجارة الدولية في الخليج العربي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ترجمة د .نوري عبد البخيت ، مجلة الخليج العربي ، العدد ٩ ، ١٩٧٨ .

- أمين ، د . عبد الامير محمد ، اضواء جديدة علي تاريخ الخليج العربي الحديث ، المجلة التاريخية ، بغداد ، الجمعية العراقية للتاريخ والاثار ، العدد ١ ، السنة ١ ، آب ١٩٧٠ .

- امين ، د . عبد الامير محمد ، المصالح البريطانية في الهند خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر واثرها في الخليج العربي ، مجلة الخليج العربي ، العدد ٨ ، ١٩٨٧ .

- أمين ، د عبد الامير محمد ، نظرة جديدة للانجازات السياسية والعسكرية والتجارية البرتغالية ، مجلة دراسات ، عمان ، المجلد ١٥ ، السنة ٧ ، الجامعة الاردنية ، ١٩٨٨ .

- اورهو نلو ، ى ، تقرير حول العثمانية على البحرين سنة ١٥٥٩ ، ترجمة د . حسين علي الداقوقي ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد ٢٤ ، السنة ٦ ، تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨٠ / ذو العقدة ١٤٠٠هـ .

- بوشرب ، احمد ، مساهمة الوثائق البرتغالية في كتابة تاريخ الغزو البرتغالي لسواحل المغرب والبحر الاحمر والخليج العربي وما تولد عنه من ردود فعل ، مجلة المناهل ، الرباط ، العدد ٢٦ ، السنة ١٠ ، جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ / مارس (اذار) ١٩٨٣م .

- تمام ، تمام همام ، خلفية البحرين التأريخية قبيل وجود محمد علي في الخليج العربي ، مجلة الوثيقة ، العدد ٩ ، ١٩٨٦ .

- جاسم ، د .عبد الجبار عطيوي ، ملاحظات حول تغلغل اساليب النفوذ الاوربي في الخليج العربي قبل الحرب العالمية الاولى ، مجلة الخليج العربي ، مركز دراسات الخليج ، جامعة البصرة ، العدد ١٠ ، ١٩٧٨ .

- الحمداني ، د . طارق نافع ، تجارة البصرة الخارجية ودورها في الخليج العربي خلال القرن السادس عشر ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة ، العدد ٣٤ ، السنة ٩ ، ابريل (نيسان)١٩٨٣م / جمادى الاخرة ١٤٠٣هـ .
- الحميدان ، د .عبد اللطيف ناصر ، التاريخ السياسي لأمارة الجبور في نجد وشرق الجزيرة العربية ، ٨٢٠/١٤١٧ ـ ٩٣١/١٥٢٥ ، مجلة كلية الاداب ، جامعة البصرة ، العدد ١٦ ، ١٩٨٠ .
- الخصوصي ، د .بدر الدين عباس ، الخليج العربي والمطامع الاجنبية ، مجلة كلية الاداب والتربية ، العددان ٣و٤ حزيران (يونيو) ١٩٧٣ـ جمادى الاولى ١٣٩٣/كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ـ ذو القعدة ١٣٩٣ .
- الخصوصي ، د . بدر الدين عباس ، دور الموانئ الخليجية في قيام المنافسات الدولية في منطقة الخليج ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، الكويت ، الندوة العلمية الثانية (١٢ ـ ١٦ ابريل (نيسان) ١٩٨٥ م .
- الخصوصي ، د .بدر الدين عباس ، الدولة الصفوية في مواجهة التحديات ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، جامعة الكويت ، العدد٤٤ ، السنة ١١ ، تشرين الاول١٩٨٥ .
- الخطيب ، د .مصطفى عقيل ، التنافس العثماني ـ البريطاني حول قطر (١٩٠٢-١٨٩٢) في ضوء الوثائق الروسية ، مجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق ، العددان ٦٥ ـ ٦٦(ايلول - كانون الاول) ١٩٨٨ .
- الخليفة ، خالد خليفة ، تجارة البحرين منذ فتح العتوب وحتى ظهور النفط ، مجلة الوثيقة ، العدد ٧ ، السنة ٤ ، شوال ١٤٠٥هـ / يوليو (تموز) ١٩٨٥م .

- آل خليفة ، الشيخ عبد الله بن خالد ، تعليق على مقالات البحرين قديماً وحديثاً لسيف مرزوق الشملان المنشورة في جريدة الوطن ، مجلة الوثيقة العدد ٣ ، السنة ٢ ، رمضان ١٤٠٣هـ /يوليو (تموز) ١٩٨٣م .

- آل خليفة ، الشيخ عبد الله بن خالد وابا حسين ، من تاريخ العتوب في القرن الثامن عشر ، مجلة الوثيقة ، العدد٤ ، السنة ٢ ، ربيع الآخر ١٤٠٤هـ / يناير(كانون الثاني) ١٩٨٤م .

- الداود ، د .محمود علي ، العلاقات البرتغالية مع الخليج العربي ١٥٠٧ - ١٦٥٠ ، مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد ، العدد ٢ ، شباط ١٩٦٠ .

- الداود ، د . محمود علي ، ملامح التاريخ السياسي الحديث لمنطقة الخليج العربي ، مجلة الخليج العربي ، العدد ٨ ، ١٩٧٧م .

- الدرويش ، د . جاسم ياسين ، تجارة البحرين في ظل الامارة العيونية ، مجلة الوثيقة ، العدد ٤١ ، السنة ٢١ ، شوال ١٤٢٢هـ / يناير (كانون الثاني) ٢٠٠٢م .

- دريد ، ابن ، صفحات مطوية من تاريخ الخليج العربي ، مجلة دراسات عربية ، بيروت ، العدد٩ ، السنة٢ ، يوليو (تموز) ١٩٦٦ .

- ربيع ، حامد ، النظام الدولي الاقليمي في منطقة الخليج خلال فترة الاستعمار البرتغالي ، مجلة الوثيقة ، العدد١٤ ، السنة ٧ ، جمادى الثانية ١٤٠٩هـ/ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٩م .

- الزيدي ، د . عباس ياسر ، القوى الاستعمارية في الخليج العربي ١٦٠٠ - ١٩١٤ ، مجلة الخليج العربي ، العدد ١٢ ، ١٩٨٠ .

- سلوت ، ب .ج ، سطور من تاريخ البحرين والخليج اعتماد على الوثائق الهولندية ، مجلة الوثيقة ، العدد١١ ، السنة ٦ ، ذو العقدة ١٤٠٧هـ/ يوليو (تموز) ١٩٨٧م .

- الشيخ ، د . رأفت غنيمي ، التوجه العثماني نحو الخليج العربي من خلال محمد علي ، مجلة الوثيقة ، العدد١٦ ، السنة ٨ ، جمادى الثانية ١٤١٠هـ/ يناير (كانون الثاني) ١٩٩٠م .

- الصباح ، د . ميمونة خليفة ، علاقات الكويت الخارجية خلال القرن الثامن عشر ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٣٤ ، السنة ١٣ ، بغداد ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .

- الصباح ، د . ميمونة خليفة ، نشأة الكويت وتطورها في القرن الثامن عشر ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد ٤٦ ، السنة١٢ ، رجب١٤٠٦هـ/ ابريل (نيسان) ١٩٨٦م .

- عبد الرحمن ، د .عبد الرحيم ، دور البصرة في احداث نجد وشرقي الجزيرة العربية في عهد محمد علي ١٨١٩-١٨٤٠ من خلال الوثائق العثمانية ، مجلة حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية ، جامعة قطر ، العدد ٤ ، ١٤١٠هـ/١٩٨١م .

- عبد الله ، د . محمد مرسي ، الخلفية التاريخية لموانئ الخليج ، مجلة الخليج العربي ، العدد٢٨ ، السنة ١١ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

- عبد الله ، د . محمد مرسي ، وثائق القلعة محمد علي في الجزيرة العربية وعلاقاته بالخليج العربي ١٨٠٧ - ١٨٤٢ ، مجلة الوثيقة ، العدد١٦ ، السنة ٨ ، جمادى الثانية ١٤١٠هـ/ يناير (كانون الثاني) ١٩٩٠ م .

- العقاد ، د .صلاح ، السياسة الايرانية والاستعمار الجديد ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة ، مؤسسة الاهرام ، العدد ٤ ، السنة ٢ ، ١٩٦٦ .

- العناني ، احمد ، الاوربيون في الخليج (البرتغاليون ٣) مجلة الدوحة ، ذو العقدة ١٣٩٦هـ/ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٦م .

- العناني ، احمد ، البرتغاليون في البحرين وحولها خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ، مجلة الوثيقة ، العدد٤ ، السنة٢ ، ربيع الآخر ١٤٠٤ هـ/ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤م .

- العناني ، احمد ، الشيخ قاسم بن محمد ثاني ومشكلات الزعامة المحلية في الخليج العربي خلال القرن التاسع عشر ، مجلة الخليج العربي ، المجلد ١٣ ، العدد ٢ ، ١٩٨٠م .

- عيسى ، رؤوف افندي ، مغاصات اللؤلؤ ، مجلة لغة العرب ، المجلد ١ ، جـ١٢ ، جمادى الاخرة ١٣٣٠/ ايار ١٩١٢ .

- غنام ، علي ، احلال النفوذ الاجنبي بالخليج العربي (دور الدولة الصفوية) مجلة الخليج العربي ، المجلد ١٧ ، السنة ١٣ ، ١٩٨٥ .

- قاسم ، د .جمال زكريا ، الاوضاع السياسية في الخليج العربي أبان الغزو البرتغالي ، مجلة الوثيقة ، العدد١٢ ، السنة ٦ ، جمادى الاولى ١٤٠٨هـ/ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٨م .

- قاسم ، د .جمال زكريا ، النزاع البريطاني ـ العثماني في الخليج العربي قبل نشوب الحرب العالمية الاولى ، المجلة التاريخية المغربية ، السنة ١٠ ، العدد (٢٩-٣٠) جويلية ، تونس ، ١٩٨٣ .

- قطينة ، رندة المصري ، الكويت دراسة تحليلية لقيام الدولة ، مجلة الوثيقة العدد١ ، السنة ١ ، رمضان ١٤٠٢هـ / يوليو (تموز) ١٩٨٢م .

- القهواتي ، د . حسين احمد ، اضواء على تجارة البصرة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، مجلة الخليج العربي ، المجلد ١٢ ، العدد ٢ ، ١٩٨٠ .

- القيسي ، د . عبد الوهاب ، موقف العثمانيين من الغزو البرتغالي للمياه العربية ، مجلة الخليج العربي ، المجلد ١٢ ، العدد ١ ، ١٩٨٠ .
- القيسي ، نوار عبد الوهاب ، الخليج العربي الاهمية الاستراتيجية وملامح السياسة البرتغالية ، مجلة الوثيقة ، العدد ١٤ ، السنة ٤ ، جمادى الثانية ١٤٠٩هـ /يناير (كانون الثاني) ١٩٨٩م .
- الكيالي ، محمد عارف ، الاسس الاقتصادية للاستعمار البرتغالي في الخليج العربي ، مجلة الوثيقة ، العدد ١٤ ، السنة٧ ، جمادى الثانية ١٤٠٩هـ/ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٩م .
- متولي ، د . احمد فؤاد ، البحرية العثمانية والبرتغالية في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي على ضوء الوثائق التركية ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، العدد ، الرياض ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
- النجار ، مصطفى عبد القادر ، الحركة العربية السياسية في إمارات الخليج العربي الشمالية ، مجلة كلية الاداب ، جامعة البصرة ، العدد ٥ ، ١٩٧١ .
- النجار ، د . مصطفى عبد القادر ، شركة الهند الشرقية ملامحها وابرز سماتها في الخليج العربي ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد١٥ ، السنة ٤ ، ١٩٧٨ م / رجب ١٣٩٨هـ .

الدوريات الاجنبية

- Abir , A[a] The Arab Rebellion Of Amir Chalib Mecca "1788 _ 1813" Middle Eestern Studies , Vol.2 , May 1916 .
- Kumar , Pilia and Mahendra [a] The Political Legal Status Kuwait , International and Comprative Law Quarterly , Vol.11

, Part ,1 London , Jânuary , 1962 .

- Lockhart , Laurance ª Outline Of The History Of Kuwait , The Royal Central Asian Society Journal , Voi.xxxiv , "July _ October 1947" .

المحتويات

- المقدمة ٣

- الفصل الاول :

البرتغاليون والبحرين ١٥٠٧ ـ ١٦٠٢ ..... ٢٩

- الفصل الثاني :

الدولة العثمانية والبحرين في القرن السادس عشر ٢٩

- الفصل الثالث :

السياسة الفارسية نحو البحرين عبر التاريخ الحديث ٤٧

- الفصل الرابع :

الأصول التاريخية لآل خليفة في البحرين ٦٩

- الفصل الخامس :

البحرين في مخططات محمد علي باشا (١٨١٩ ـ ١٨٤٠) ٨٩

- الفصل السادس :

العلاقات البحرينية ـ الكويتية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .. ١١٩

- الفصل السابع :

تجارة البحرين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ١٣٣

- الفصل الثامن :

الاهتمام البريطاني في البحرين حتى عام ١٨٤٠ ..... ١٥٣

- الفصل التاسع :

المطالبة العثمانيـة بالسيادة على البحرين حتى عام ١٩١٣ ..... ١٨١

- الفصل العاشر :

التنافس العثماني ـ البريطاني على البحرين (١٨٧١ ـ ١٩١٤) ١٩٧

- الخاتمة ٢١٩

- المصادر والمراجع ٢٢٥

- المحتويات ٢٤٣